

دكتور
إسماعيل السيد زغلول
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

حياة ابن مسعود المصري والأديب

الطبعة الأولى
١٩٨٦ - ١٩٨٧ م



دار المعارف



عبد الله بن مسعود
المربي والاحيب

عبد الله بن ميسرة حوارة

المربي والأديب

دكتور
أحمد السيد خليل
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٨٦



دار المعارف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا »

سورة طه آية : ١١٤

المقدمة

بعد أن فرغت من كتابي «عبد الله بن مسعود : الشخصية والسيرة» ،
وضّح لي أن الشخصية العظيمة تتميز بالعشق والبراء ، فهي بعيدة الغور ،
متعددة الجوانب ، ولذلك فإن الباحث كلما مد نظره إليها ، انضحت له منها
أمور كانت غائبة . . .

وهنا أحسست بخيرة ، هل من الأفضل أن أتجه بقلبي إلى مجال آخر
أرتاده ، وأكتب فيه . أم أغير موقعي من عبد الله بن مسعود ، وأنظر إليه
من زاوية ثانية ، فربما استطعت أن أقف منه على أمور لم يتحها لي موقعي
الأول منه حين كنت أكتب عن شخصيته وسيرته .

ولم أدع صعوبة الاختيار تغلبني على نفسي ، فقد أحسست أن
مسئوليتنا أمام عظمة الصحابة تقتضي ألا ندع شيئاً من عظمتهم خافياً ، وأن
واجبنا أمام الأجيال المعاصرة التي تفتقد القدوة الإسلامية أن نبصرها بهؤلاء
الرجال الذين أعطوا الإسلام أنفسهم ، فأعدناهم عز الدنيا ونعيم الآخرة .

ولم يطل بي التفكير ، فما إن أعدت النظر إلى عبد الله بن مسعود حتى
وجدتني أمسك القلم ، وأقول بصوت مسموع : هذه هي : لقد وجدتها :
إنها رؤية معاصرة لعبد الله بن مسعود مزياً ومعلماً وأديباً .

وأصدقك القول ، لقد أحسست براحة عندئذ ، لا لأنني أمسكت بخيط
سيقودني إلى نسيج جديد ، ولا لأنني عثرت على موضوع يفرض نفسه ،
ويلح على المتصدين للدرس الإسلامي أن يقبلوا على أعمال عقولهم في قضاياها ،
ولكنني مع قناعتني بذلك سعدت به ، لأنه يتصل بأسباب كثيرة مع عملي
سنوات عدة مدرساً للتربية وأصولها ونظرياتها في معاهد التعليم المختلفة ، وكان

الفكر المستورد هو مدار المناهج المقررة ، ولكم كنت أتساءل : ألا يوجد في الفكر الإسلامي نظرية تربوية إسلامية يمكن أن تأخذ حقها من الدرس إلى جانب ما يسود المناهج من نظريات ؟ وهل يصح أن نقنع بأن نجد إلى موائد غيرنا لنقتات مما يضعونه عليها غثا كان أم سمينا ؟

و كنت عندئذ أشعر أن أدوات البحث غير مكتملة لدى ، فكتمت الفكرة في صدرى لتظل حبيسة اللاشعور ، حتى حركها هذا الموقف ، فتفتق الدهن عنها فجأة . وقلت نعم ، ولتكن محاولة أقدم فيها نموذجا إسلاميا خالصا تربى على القرآن والسنة ، وعلم العربية وأدبها ، ثم تأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتخلق بخلقه القرآنى ، وأقبل بعد ذلك بصوغ مما علم ومما تعلم نظاماً تربوياً ، أخذ به تلاميذه ، فنشروا العلم في الآفاق من بعده .

ولا أزعج أن بحثى يقدم نظرية تربوية متكاملة ، أو تقييما شاملا لجهد عبد الله بن مسعود في مجال التربية ، ومجال الأدب ، ولكن يكفيه أن قدم اتجاهها تربويا إسلاميا ، وحسبه أنه قدم قطوفا من أدب عبد الله بن مسعود ، وكشف عما فيها من عمق الإحساس ، ودقة الأداء ، ولم يكن ذلك إلا لأن عبد الله عرف كيف يفيد مما تعلم ، ثم عرف كيف يوصل فكره وحسه إلى تلاميذه ، فيقنعهم بفكره ، ويمتعهم بشعوره ، وهو في هذا وذاك نعم المربي ونعم الأديب .

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة .

الباب الأول : وقد عرضت فيه لثقافة عبد الله بن مسعود ، وجعلته من أربعة فصول .

الفصل الأول : قدمت فيه ثقافة عبد الله القرآنية بوصفها الرافد الأول ،
وصاحبة الأثر الغالب في تكوينه الفكري .

فتتبعت صلة عبد الله بالقرآن ، وشغفه به . ورغبته في تعلمه منذ اليوم
الأول لإسلامه ، وأوضحت أن ملازمة عبد الله للرسول صلى الله عليه وسلم
أتاحت له أن يأخذ من فيه عددا كبيرا من السور مما أوقفه على شروط التلاوة
الصحيحة وضوابطها ، وقد قدر له الصحابة ذلك ، فأجمعوا على أنه أقرأهم
للقرآن .

وعالجت بعد ذلك قضية علم عبد الله بالقرآن ، فأوردت آراء الأطراف
المختلفة فيها ، وانتهيت من ذلك إلى أن علم عبد الله بالقرآن في حياة الرسول
صلى الله عليه وسلم أمر أقره عليه الصحابة في حياته ، ولم ينازعه في ذلك منازع ،
ثم بينت أن علم عبد الله بالقرآن لم يقف عند حد قراءته والإحاطة به ، فقد
جمع إلى ذلك حفظه . ولم يكن حفظه اختزانا واستظهاراً ، وإنما كان بصرا
وعملا ، وحياسة لكل الأدوات التي تعين على فهمه وتدبره .

الفصل الثاني : أوضحت فيه أن السنة تمثل الرافد الثاني في ثقافة عبد الله
ابن مسعود ، وكما أتاحت له صحبته أن يتعلم القرآن ، كذلك أتاحت له أن يسمع
الحديث ، ويتعلم السنة ، وقد ذكروا أن له ثمانمائة وثمانية وأربعين حديثا .
وكان حديث التشهد ، وخطبة الحاجة مما تعلمه عبد الله من الرسول صلى
الله عليه وسلم بلا واسطة ، كذلك تعلم منه الوضوء ، كما تعلم منه ما كان
يفعله في صلاته ، ولم يكن عبد الله يسكت عن شيء يريد أن يتعلمه ، كما أن
الرسول صلى الله عليه وسلم كان من جانبه يستشير فيه الرغبة لتعليمه ما يود
له أن يعرفه .

الفصل الثالث : وقد خصصته للدرس اللغوى ومكانته بين مكونات ثقافة عبد الله .

وقد بينت فيه أن تصدى عبد الله لإقراء القرآن وتعليمه ، ثم بيان آيه ، وتفسير سورة ، فرض عليه أن يأخذ نفسه بدراسة اللغة .

والواقع أن موقف ابن مسعود من الدرس اللغوى قد تشعب به ، فأنتجده قد وقف على لغة هذيل بالمربى ، ولغة هذيل عندئذ كانت تمثل إحدى اللغات التى نزل بها القرآن ، كذلك كانت لغة هذيل من اللغات التى اتجه إليها العلماء عند جمع اللغة ، وما ذكروه من وجوه الغرابة فيها إنما هو أمر نسبي .

وقد عرضت لما قيل عنه أنه من خصائص لغة هذيل ، وناقشت الآراء التى وردت فيه ، ثم تبعت ما يمكننا أن نستشفه من هذه الخصائص فى قراءات عبد الله . ثم إننا نجد أن عبد الله قد أخذ اللغة من بيئته كما استقها من قبيلته ، وأعنى بذلك بيئة الحجاز ، وقد ظهر ذلك فى أن كثيرا من خصائص اللغة الحجازية قد ظهر فيما روى عنه من قراءات .

ولما كانت هناك لغة أدبية اصطنعها الشعراء والخطباء ، ونزل بها القرآن ، فقد فرض ذلك أن ندرس هذه اللغة التى خلقت من الشوائب اللهجية ، واتى ضمت كثيرا من لغات القبائل ، ونرصد ما جاء منها فى قراءات عبد الله .

الفصل الرابع : وقد عرضت فيه لثقافة أهل الكتاب ، وتحريث الأسباب التى قربت عبد الله منها ، وكان من ذلك أن عبد الله عاش فى المدينة ، وكان اليهود من أبنائها يقرأون ما بين أيديهم من التوراة ، وقد لى ما وافق القرآن

ففيها هوى في نفوس المسلمين بعامية ، كذلك كانت بعض معارف أهل الكتاب تتاح لعبد الله بن مسعود حين يعرضها أصحابها على الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو يسألونه في شيء منها وهو في مجلسه ، والأمر نفسه في عهد الخليفين الأولين وبخاصة عمر ، فقد كان عبد الله يحضر مجالسه التي يشهد بها من أسلم من اليهود .

ثم بينت بعد ذلك أن الكتب السماوية في أصولها الحقيقية لا تتعارض ، ولكن لإقدام أصحاب الكتب السابقة على القرآن بالتغيير في كتبهم هو الذي أدى إلى هذا التعارض .

وقد قسمت بعد ذلك نصوصاً لعبد الله بن مسعود تحدد موقفه من ثقافة أهل الكتاب بعامية ، ثم أوردت نماذج لما حمل عليه منها ، وما أسنده الرواة إليه مما ذكره المفسرون في كتبهم ، وقررت أن معظم هذه الإسرائيليات كذب وباطل ، وما تصحح نسبته منها لا يخرج عن أن عبد الله قد رواه من جهة التحديث بالغرائب دون أن يأخذ ذلك حكم الحديث الموقوف .

وقد انتهيت إلى أن عبد الله كان إيجابياً في موقفه من ثقافة أهل الكتاب ، لم يقبلها بكل ما فيها من غث وسمين ، وإنما عرضها على محك الشرع والعقل فرفض منها كل ما يتنافى مع مبادئها ، ولذلك ظل أثر هذه الثقافة بعيداً عن العقيدة .

الباب الثاني : وقد تكلمت فيه عن عبد الله بن مسعود : المربي والأديب وقسمته إلى ثلاثة فصول

الفصل الأول : خصصته للدرس القرآن ، وأوضحت فيه أن الدولة ممثلة في عمر وكلت إلى عبد الله بن مسعود مهمة القيام على تعليم القرآن في العراق ،

وأنه قدر المسئولية ، وأعطاهما جهده ، فأقبل عليه تلاميذه كثيرون ، يأخذون القرآن عنه وفق ضوابط القراءة وأحكامها ، فقد علمهم أن يرتلوه، ويتأنوا في قراءته ليتدبروه حتى يعملوا بما فيه ، ويتخلقوا بأخلاقه .

وقد اتخذ عبد الله من المسجد مكانا للتعليم ، واقتدى بمنهج رسول الله صلى الله عليه وسلم في القراءة والإقراء ، كما أقبل يفسر القرآن للقوم، وكان ينهج في ذلك نهجا تربويا يعين على بيان آي القرآن وتفهمه، وهو في ذلك إنما كان يستهدي أيضا ما كان يصنعه الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومما عرف به عبد الله أنه كان يتخرج القول بالأي في القرآن، ويأخذ بمنهج التفسير بالمأثور مما جعل تفسيره مصدرا أصيلا أفاد منه كثير من المفسرين .

الفصل الثاني : وقد أفردته لدرس الحديث وبينت فيه أن عبد الله حدث في العراق بما أخذه عن الرسول صلى الله عليه وسلم مما هياه له طول ملازمته له ، ومع هذا فإن ما روى عنه قليل بالنسبة لما روى عن غيره ممن لم تتح لهم ظروف مثل ظروفه ، وقد رد بعضهم ذلك إلى أن عمر أمره بالإقلال من الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وتزيد هؤلاء فذهبوا إلى أنه سجنه في نفر من الصحابة سنة حتى استشهد فأطلقهم عثمان .

والموقف في جملة لا يتحمل ذلك ، فمفهوم الخبر على فرض صحته أنه استبقاهم بالمدينة ليتثبت مما لديهم من الحديث .

وعندى أن السبب يتصل في جانب كبير منه بعبد الله بن مسعود نفسه ، فقد كان لديه من الورع والحشية ما يجعله يفرض على نفسه منهجا متشددا في

الرواية حتى لا يقع في خطأ ، فكان يلتزم اللفظ ، ويصحح ما يرويه على القرآن ، ويدلل على صدقه بآيات منه ، وهو في ذلك إنما ينهج نهج النبي صلى الله عليه وسلم ، ويسلك سبيل سنته .

وقد كان لجهود عبد الله أثرها ، فسبقت الكوفة غيرها في العناية بالحديث وكثرت تلاميذه بها ، وحملوا علمه عنه .

الفصل الثالث : وقد جعلته عن المفاهيم الإسلامية في التعلم في فكر ابن مسعود ، وقد أوضحت فيه أن عبد الله فطن إلى أثر الرغبة في التعلم ، وأن علينا أن نجعل الغاية من التعلم سامية على العرض الدنيوي الزائل ، وأن نراعى المستوى العقلي لمن نريد تعليمهم حين نقوم بوضع المناهج العلمية لهم .

وقد لاحظت أن عبد الله فسر عمليات التعلم تفسيراً دينياً ، وربما كان ذلك أثراً للروافد التي استمد منها ثقافته بعامة . ومع هذا فهناك ما يلفت إلى توصله إلى بعض المبادئ المتقدمة في مجال التربية ، فسبق عصره بها ، لقد أدرك - فضلاً عما سبق - أن العلم بالتعلم ، وأن وجود الدافع يؤثر في العملية التعليمية ، وأن إيجابية المتعلم وما تثيره من نقاش لها فعاليتها في تعلمه ، ثم إن الهدف من التعلم لا يقف عند حد اختزان المعلومات ، وإنما في العمل بها ، والإفادة منها ، وأن المذاكرة أدعى إلى حفظ العلم والتثبت منه .

وقد أخذ عبد الله موقفاً من العلم بعامة هو موقف الإسلام نفسه منه ، فكان يدعو إلى نشره . ولا يرضى عن حبسه . كذلك أعطى للقلوة الحسنة أهمية في مجال التربية ، فيها يقتدى الطلاب ، ويحتذى التلاميذ .

وقد عرف الصحابة فضل عبد الله ومكانته في العلم ، وعرفوا له دوره في إقامة مدرسة متميزة في الحديث والفقه ، حمل لواءها أصحابه من بعده .

الباب الثالث :

«أدب عبد الله بن مسعود : الخصاص والسمات» .

ولا أود في حديثي هنا أن أقحم عبد الله بن مسعود في عداد الأدباء ، أو أن أزعم أن له إنتاجاً أدبياً في وسع المرء أن يعرض له بالمقاييس النقدية المتعارف عليها ، ذلك لأن ما جاءنا عنه لا يخرج في مجموعه عن أن يكون تفسيراً أو فتوى مما يوسع له مكاناً بين المفسرين والفقهاء .

ولكني أحببت أن أقف على الحس الأدبي عنده ، وأقف على نتاج الثقافة التي تأتت إليه من روافد متعددة في مجال الإبداع الأدبي ، ولو أننا أمام أديب من ذوى الأعمال الأدبية التي كملت معالمها لكان التصدى لعرضها على قواعد النقد أمراً ميسوراً ، لكن ما نجده لعبد الله في محيط الأدب نادر قليل ، ومن هنا نشأت الصعوبة ، وفرض الموقف علينا أن نمد البصر في مروياته بجملة لنقف على ما يتصل منها بالأدب بسبب ، وقد توفر لنا قدر إن لم يكن وفيراً . فهو يقدم مادة أدبية يمكن التعرف من خلالها على الخصاص التي تميز أدبه من حيث موضوعاته وأفكاره وأساليبه ، كما يمكن أن تعيننا على الاقتراب من الحس اللغوي لديه .

ولقد جاء هذا الباب في فصلين :

الفصل الأول : في الموضوعات و الأفكار و الأساليب .

يلحظ النارس أن السمة البارزة في أدب عبد الله بن مسعود أنه أدب الزهد الذي غذته الروح الإسلامية ، ولذلك نجده يكثر الحديث عن الدنيا الزائلة ، والفقر ، والثراء الحقيقي ، والعمل الصالح ، والتأهب للموت . أما من حيث الأفكار ، فإننا نجد عليه الطابع الديني ، وقد وضح ذلك فيما قدمت

له من خطب ، وفيما عرضت له من عظات ، وهي في مجموعها تسير على نهج العصر من حيث الإيجاز والعمق ، والإيقاع السريع ، فكل فكرة عنده إن هي إلا خفقة قلب أو دفقة شعور. وكان عبد الله يركز على أفكار معينة لا يمل من تناولها ، غير أنه ما إن يعرض لها حتى يضيف إليها ، أو يفصل فيها مما يضيق عليها شيئاً من الجدة ، والمدقق في أفكار عبد الله يمكنه أن يردّها إلى أصولها من القرآن والحديث ، وكثيراً ما تتداخل الأفكار عنده حتى ليصبح من العسير وضع حد بين ما هو له ، وما هو للنبي صلى الله عليه وسلم ، بل وما كان في كتب أهل الأديان الأخرى .

ولقد عمدت إلى اختيار بعض الأساليب التي وجسدت أنها تستوقف القارئ في أدب عبد الله بن مسعود ، فأوضحت أنه فيما درج عليه من أسلوب القسم إنما كان يتحرى نهج القرآن في التعبير ، فقاً أقسم بذات الله كما أقسم بصفاته ، وبخاصة صفة الوحدانية ليثبتها في القلوب .
وأما عن أسلوب الدعاء فقد وضحت فيه العناصر الإسلامية ، فالمسألة فيه لا تتصل بعرض فان ، وإنما تتعلق بما هو خير وأبقى ، وعلى الداعي أن يخلص في دعائه ، وأن يدعو من قلبه .

الفصل الثاني : الحس اللغوي :

وقد بينت فيه أن عبد الله بن مسعود قد فطن بحسه المتفرد إلى الفروق اللغوية الدقيقة بين الألفاظ ، فأعانه ذلك على الوقوف على الأسرار البلاغية والبيانية في القرآن ، وقد أفاد عبد الله كثيراً من ثقافته اللغوية في تحديد الدلالة المقصودة من الألفاظ عندما يتقارب استعمالها اللغوي ، كذلك فإن عبد الله

كان يلوذ بإحساسه الدينى الذى غذاه القرآن ، وتولته السنة فى الوقوف على دلالة بعض الكلمات ويمكن أن تحمل قراءات عبد الله التفسيرية فى طياتها دليلا على علمه باللغة ، وبصره بها ، فأنت تجد فى ألفاظه طاقة فكرية وشعورية هائلة ، يقف القارئ على ما فيها من معنى بقدر ما يلتقى النظر فيها ، وربما كان هذا سببا فى أن الصوفية حاولوا أن يلوذوا بها ليصححوا عليها ما حملوا ألفاظهم عليه .

الخاتمة : وقد أوجزت فيها أهم النتائج التى عرضت لتفصيل القول فيها خلال صفحات البحث .

الباب الأول

ثقافة عبد الله بن مسعود

«قالوا للذين (١) أوتوا العلم ماذا قال آنفا»

«سورة محمد آية ١٦»

١ — قال ابن بريدة : هو عبد الله بن مسعود .

الزمخشري : الكشف ج ٤ ص ٣٢٣ .

السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٦ ص ٤٩ .

الفصل الأول

القرآن

كانت الحياة العلمية في عهد النبوة تقوم في جانب كبير منها على مقومات دينية استحدثها الإسلام .

فلقد أقبل المسلمون بعامة على القرآن والسنة ، يتخفون منهما زادا دينيا وفكريا ، وانتشرت تعاليم الدين بانتشاره ، ووقف المسلمون على كثير من أخبار الأمم السابقة من خلال ما حدثهم به القرآن عنها ، وكانت الأحكام الدينية مناط تنظيم شئون المسلمين في معاشهم ، ووردت في القرآن آيات كثيرة تحث العقل على التأمل ، وتدعو الفكر إلى النظر .

قال تعالى (١) : «إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب»

لقد غلب الاهتمام بالقرآن والسنة على مجرى الحياة العلمية عندئذ فعنى المسلمون بهما توثيقا لنصوصهما ، ورغبة في الوقوف على ما فيهما من معان وأحكام ، وكان سبيلهم إلى ذلك بيان الرسول صلى الله عليه وسلم ، والبصر بما عرف عن العرب في عاداتهم وأعرافهم وتقاليدهم ، ثم ما ورد في أدب القوم ولغتهم .

«ولقد (٢) كان العرب يعرفون العربية على تفاوت فيما بينهم ، وإن كانت العربية لغتهم ، فمنهم من كان يعرف كثيرا من الأدب الجاهلي ويعرف غريبه ، ويستعين بذلك في فهم مفردات القرآن ، ومنهم من كان دون ذلك» وثقافة الفرد حصيلة مكونات عدة ، وللتعلم وطرائقه أثر كبير في تنميتها.

١ - سورة آل عمران : آية ١٩٠ .

٢ - أحمد أمين : فجر الإسلام ج ١ ص ٢٣٧ - مطبعة الاعتماد سنة ١٩٢٨ .

ومعيار التفوق الحقيقي لا يقف عند محد القدرة العامة وحدها، فالذكاء وإن غلبت عليه الوراثة ، فهو لا ينمو إلا بالتعلم .

وفي هذا الباب سنعرض لثقافة عبد الله بن مسعود ، وسنبحاول أن نتعرف على روافدها ، والعوامل التي اشتركت في تكوينها ، والواقع أن رصد سلوك عبد الله في المواقف التي واجهته ، وتتبع تصرفه خلالها يعيننا على أن نقف على ما كان لديه من ذكاء وافر شحذه العلم الإسلامى فتوقد ، ووصل إلى الغاية مما أكسبه طاقة علمية متفردة يمكننا أن نميزها بسماها بين الصحابة جميعا.

القرآن

كان القرآن أهم الروافد التي أمدت شخصية عبد الله بن مسعود بعوامل تكوينها ، ونحن لا نغالى حين نذهب إلى أن مده قد تجاوز غيره في بنائها ، فحين يذكر عبد الله بن مسعود يرتبط اسمه بالقرآن ، ولو أنك قلت عنه إنه رجل القرآن ما عدت الحقيقة ، وما عدت أن تكون قد قصدت أحدا غيره . فحين لقيه الرسول صلى الله عليه وسلم أول مرة ، وهو يرعى غنم عقبة بن أبي معيط شاعت إرادة الله أن تمس كلمات القرآن مراكز الحس في قلبه وعقله فيسأل الرسول صلى الله عليه وسلم أن (١) يعلمه من هذا القول ، فيقول الرسول له «إنك غلام معلم» ، ويذهب عبد الله إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في غار حراء ، وبينما هو عنده يحدث أول اتصال له بالقرآن .

١ -- ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٣ ص ١٥١ ط بيروت سنة ١٩٥٧ .

— ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣ ص ٩٨٨ — مطبعة هفنة مصر .

-- ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين ج ١ ص ١٦ .

عن زر عن عبد الله قال (١) : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار حراء ، فنزلت عليه «المرسلات عرفا» فأخذتها من فيه ، وإن فاه لرطب بها ، فلا أدري بأيها ختم (٢) «فبأي حديث بعده يؤمنون» أو (٣) «وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون» .

وليس المراد أن ابن مسعود شك في معرفة آخر السورة ، إنما شك (٤) في أى الآيتين وقف عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعبد الله أول (٥) من أفشى القرآن بمكة من في رسول الله صلى الله عليه

-
- ١ - أحمد بن حنبل : المسند : الحديث رقم ٣٥٧٤ .
 - صحيح البخارى : ج ٦ كتاب التفسير ص ٢٠٤ ، ص ٢٠٥ ، ج ٤ كتاب بدء الخلق ص ١٥٧ ط . الشعب .
 - صحيح مسلم بشرح النوى ج ١٤ ص ٢٣٣ .
 - ابن سيد الناس : عيون الأثر في فنون المغازى والشمال والسير ج ١ ص ١٢١ ط . سنة ١٩٧٧ .
 - القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٣١٤ ط . سنة ١٩٥٢ .
 - السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٦ ص ٣٠٢ .
 - ٢ - سورة المرسلات : آية ٤٨ .
 - ٣ - سورة المرسلات : آية ٥٠ .
 - ٤ - أحمد شاكر : شرح المسند ص ١٩٩ .
 - ٥ - ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٣ ص ١٥١ ط . بيروت .
 - المقدسي : البدء والتاريخ ج ٥ ص ٩٧ ط باريس سنة ١٩١٦ .
 - ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ص ٢٣٤ ط . دار الثقافة العربية .
 - ابن الجزرى : غاية النهاية في طبقات القراء ج ١ ص ٤٥٨ .

وسلم ، فجهر (١) به لينسمعه قريشا ، وهو يعلم أنه ليس في منعة منها ، ففي أول الإسلام كانوا المشركون إذا سمعوا الرسول صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بالقرآن في صلاته بأصحابه يسبونهم ، كما كانوا (٢) يسبون القرآن ، ومن أنزله ، ومن جاء به ، فنزل قوله تعالى (٣) «ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ، وابتغ بين ذلك سبيلا» . والقصد من ذلك أن يسلم القرآن من المهانة ، وينجو الرسول والذين معه من الأذى .. :

كان هذا والرسول صلى الله عليه وسلم في مكة يدعو إلى الإسلام في خفية . من القوم ، ولقد رغب الصحابة لو أنهم استطاعوا أن يجهروا بالقرآن ، وودوا لو أن أحدهم ممن له عشيرة تحميه فعل ذلك ، ولكن عبد الله بن مسعود نخال أنه المعنى ، وندب نفسه طائفا العمل ، ولو أنه سكت مما كان عليه في هذا الأمر شيء ، فكلهم يعلم أنه لا سند له . ولكن صاحب النفس الكبيرة يعرف للموقف أثره ، أو قل إنه الإسلام الذي جعل الحياة ترخص ، والدنيا تهون .

قال ابن إسحق (٤) : اجتمع يوماً أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط ، فمن رجل يسمعه موه ؟ فقال عبد الله بن مسعود : أنا ، قالوا : إنا نخشاهم عليك ،

١ - ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ١٦٢ - مكتبة المعارف - بيروت .

- الزركلي : الأعلام ج ٤ ص ٢٨٠ - الطبعة الثالثة .

- دائرة المعارف الإسلامية : ج ١ ص ٢٧٥ .

٢ - ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين ج ٣ ص ١٤٤ .

- السيوطي : أسباب النزول ص ١١٤ .

٣ - سورة الإسراء آية ١١٠ .

٤ - ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ ص ٤٧ - مؤسسة نبع الفكر العربي للطباعة .

- الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ٢ ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ ط . دار المعارف .

المقدس : البدء والتاريخ ج ٥ ص ٩٧ . ط سنة ١٩١٦ .

البويري : نهاية الأدب في فنون الأدب ج ١٦ ص ٢٢٨ .

إنما نريد رجلاً له عشرته يمنعونه من القوم إن أرادوه ، قال : دعوني .
 فإن الله سيمنعني . قال : فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى ، وقريش
 في أنديتها حتى قام عند المقام ثم قرأ « بسم الله الرحمن الرحيم » — رافعاً بها
 صوته « (١) الرحمن . علم القرآن » قال : ثم استقبلها يقرأها قال : فتأملوه .
 فجعلوا يقولون . ماذا قال ابن أم عبد ؟ قال : ثم قالوا : إنه ليتلو ببعض
 ما جاء به محمد ، فتأملوا إليه ، فجعلوا يضربون في وجهه . وجعل يقرأ حتى
 بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ، ثم انصرف إلى أصحابه . وقد أثروا في وجهه ،
 فقالوا له : هذا الذي نخشينا عليك ، فقال : ما كان أعداء الله أهون على
 منهم الآن ، ولئن شتم لأغادينهم بمثلها غدا . قالوا : لا ، قد أسمعتهم ما
 يكرهون .

وقد تعهد الرسول صلى الله عليه وسلم عبد الله بالدرس القرآن ، فقد روى عنه
 قوله (٢) : . لقد أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وسبعين سورة ..

-
- ١ - سورة الرحمن : آية ١ ، ٢ .
 - ٢ - القسطلاني : إرشاد السائر إلى شرح صحيح البخاري ج ٧ ص ٥١٩ .
 - أحمد بن حنبل : المسند ج ٥ ص ٣٢٥ ط . دار المعارف سنة ١٩٤٨ .
 - وانظر الحديث رقم ٣٦٩٧ ص ٢٥٨ ، ص ٢٥٩ .
 - وقيل «بضعة وسبعين سورة» .
 - راجع - ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء ج ١ ص ٤٥٨ .
 - ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٣٤٤ ط بيروت سنة ١٩٥٧ .
 - صحيح البخاري : باب القراء من أصحاب النبي ج ٦ ص ٢٢٩ .
 - مسلم : الجامع الصحيح بشرح النووي ج ٦ ص ١٦ .
 - وقيل «سبعين سورة» .
 - راجع - ابن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب ص الطبعة الأولى سنة ١٣٦٩ .
 - ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣ ص ٣٩٣ .
 - ابن الجوزي : صفوة الصفوة ص ١٥٥ .
 - الذهبي : معرفة القراء الكبار ج ١ ص ٣٤ .
 - ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٣ ص ١٥١ ط . بيروت .
 - أبو نعيم : حلية الأولياء : ج ١ ص ١٢٥ ط . السعادة سنة ١٩٢٣ م .

و (١) بضعا وتسعين سورة — من فمه إلى فمى .

وإذا كانت هذه الرواية لم تخصص لنا هذه السور فإن روايات أخرى .
قد حددت سور (٢) صح أن عبد الله قد تلقاها من الرسول صلى الله عليه
وسلم مباشرة ، وأخذها عنه . قال عبد الله (٣) : «إنا قد سمعنا القراءة ، وإني
لأحفظ القرآن التي كان يقرأ بها النبي صلى الله عليه وسلم ثمانى عشرة سورة
من المفصل ، وسورتين من آل حم» وأخرج البخارى (٤) عن عبد الرحمن
ابن يزيد قال : سمعت ابن مسعود يقول فى بنى إسرائيل والكهف ، ومريم ،
والأنبياء : إنهن من العتاق الأول ، وهن من تلادى ، يريد من قديم ما كسب
وحفظ من القرآن كالمال التلاد .

وقد عرض عبد الله القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى تفسير
القرطبي (٥) أنه قرأ عليه من البقرة إلى قوله تعالى (٦) : «إن الله يحب التوابين ،
ويحب المتطهرين» .

وروى البخارى (٧) وأحمد (٨) أنه قرأ عليه النساء حتى قوله : فكيف
إذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيد ، قال عبد الله ،

-
- ١ - ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٣٥٥ .
 - ٢ - انظر ما ورد فى شأن سورة المرسلات فيما سبق من البحث .
 - ٣ - البخارى : الجامع الصحيح : ج ٦ باب الترتيل فى القراءة ص ٢٤٠ .
وانظر ج ٦ ص ٢٢٩ .
 - ٤ - البخارى : الجامع الصحيح : ج ٦ باب تأليف القرآن ص ٢٢٨ .
 - راجع : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٤٧ ص ٤٣٠٦ .
 - ٥ - القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٥٨ .
 - ٦ - سورة البقرة : آية ٢٢٢ .
 - ٧ - البخارى : الجامع الصحيح ج ٦ كتاب التفسير ص ٥٧ ، وباب قول المقرئ للقارئ
حسبك ص ٢٤١ ، وباب البكاء عند قراءة القرآن ص ٢٤٣ ط . دار الشعب .
 - ٨ - أحمد بن حنبل : المسند ج ٥ ص ١٨٦ حديث رقم ٣٥٥١ .
 - ابن ماجه : السنن ج ٥ كتاب الزهد ص ١٤٠٣ .

قال لى النبي صلى الله عليه وسلم : اقرأ على ، قلت : اقرأ عليك وعليك أنزل
قال : فلانى أحب أن أسمعه من غيرى ، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت
«فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيدا» ، قال :
أمسك ، فإذا عيناه تذرفان .

وروى مسلم (١) أنه قرأ عليه سورة يوسف ، وعن أبي وائل عن عبد الله
ابن مسعود قال (٢) : هيت لك ، قال : وإنما نقرأها كما علمناها .

وحسبنا من ذلك أن نقول إن عبد الله بن مسعود قد أتيح له أن يتعلم القرآن
وفق منهج لم يتح لغيره من الصحابة ، فمعيشتة فى بيت النبوة وملازمته المستمرة
لرسول صلى الله عليه وسلم قد ساعدته على أن يتلقى عنه هذا القدر من القرآن ،
ويقرأ عليه ما يتيسر منه فيقف على أحكام القراءة وضوابطها .

فقد وضع الله شروطا لقراءة القرآن على كل مسلم أن يصحح قراءته عليها
وفى مقدمة هذه الشروط (٣) .
— الطهارة .

— ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين ج ٤ ص ٢٤٣ .

-- السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٢ ص ١٦٣ .

١ -- مسلم : صحيح مسلم بشرح النووي ج ٦ ص ٨٧ المطبعة المصرية .

٢ -- البخارى : الجامع الصحيح ج ٦ كتاب التفسير ص ٩٦ .

٣ - قسم طاش كبرى زاده آداب التلاوة إلى قسمين :

الآداب الظاهرة : الأول : فى حال القارئ وهو أن يكون على وضوء . الثانى : فى
المقدار . الثالث : فى القسمة . الرابع : الكتابة ، الخامس : البكاء ، السادس : الترتيل .
السابع : رعاية حق الآيات ، الثامن : أن يتعوذ قبل القراءة ، التاسع : إسماع النفس ،
العاشر : تحسين القراءة من غير تمطيط بغير النظم . الآداب الباطنة . الأول : فهم عظمة
الكلام وعلوه ، الثانى : تعظيم المتكلم ، الثالث : حفور القلب وترك حديث النفس ،
الرابع : التدبر ، الخامس : التفهم ، السادس : التخلّى عن موانع الفهم ، السابع :
التخصّص ، الثامن : التأثر بتأثر مختلفة بحسب اختلاف الآيات . التاسع : التوقى إلى أن
يسمح الكلام من الله عز وجل : العاشر : التبرى من حوله وقوته .
مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم ج ٣ ص ١٠٥ - ١١٢ .

قال تعالى (١) : «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ، لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ»
من الجنابة والحديث .
— التعوذ في بداية القراءة .

قال تعالى (٢) : «فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» وهذا
أمر من الله تعالى لعباده على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا قراءة
القرآن أن يستعينوا بالله من الشيطان الرجيم ، وهذا (٣) أمر ندب ليس يوجب ،
حكى الإجماع على ذلك أبو جعفر بن جرير الطبري وغيره من الأئمة .
— الترتيل .

والمقصود به أن تأخذ الحروف حقها في النطق .

قال تعالى (٤) : «وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا» والقراءة على مهل تكون عوناً على
فهم القرآن وتدبره ، وكذلك كان يقرأ الرسول صلى الله عليه وسلم . قالت
عائشة (٥) : كان يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها .
وفي صحيح البخاري عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال : كانت مداً ، ثم قرأ «بسم الله الرحمن الرحيم» بمد بسم الله : ويمد
الرحمن ، ويمد الرحيم .

١ — سورة الواقعة : آية ٧٩

٢ — سورة النحل آية ٩٨

٣ — العصابوني : مختصر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٤٦

٤ — سورة المزمل : آية ٤

٥ — العصابوني : مختصر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٦٢

— فهم المقروء ، والتمعن فيه ، وتدبره . .

قال تعالى : كتاب (١) أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته ، ولتذكروا أولو
الألباب» .

والقصد ألا يكتفى المسلم بقراءة القرآن ، وحفظ سورته ، وإنما يجب عليه
أن يفيد منه في حياته ، فيتخلق به ، ويعمل بموجبه .

قال الحسن البصري (٢) : «والله ما تدبره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده
حتى إن أحدهم ليقول : قرأت القرآن كله ما يرى له القرآن في خلق ولا
عمل» .

— الاستماع والإنصات عند سماع القراءة حتى يعي المرء ما يسمع .

قال تعالى (٣) : «وإذا قرأ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون»
وقد أمر (٤) الله تعالى بالإنصات عند تلاوة القرآن إعظاماً له واحتراماً ،
لا كما كان يعتمد كفار قريش المشركون في قولهم (٥) : «لا تسمعوا لهذا
القرآن والغوا فيه» .

ولقد تعلم عبد الله من الرسول صلى الله عليه وسلم أصول التلاوة ، فأجاد
ضبطها ، وأتم أحكامها . وقد حسن (٦) الرسول صلى الله عليه وسلم قراءته ،

١ -- سورة ص : آية ٢٩ .

٢ -- الصابوني : مختصر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٠٢ طبعة دار القرآن الكريم - بيروت
سنة ١٩٨١ .

٣ -- سورة الأعراف : آية ٢٠٤ .

٤ -- الصابوني : مختصر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٩ .

٥ -- سورة فصلت : آية ٢٦ .

٦ -- صحيح مسلم بشرح النووي ج ٦ ص ٨٧ المطبعة المصرية .

وكان (١) يشتهي أن يسمع القرآن منه ، ووصفه أنه يقرأ القرآن غضا كما أنزل ، ففي حديث عمر بن الخطاب أنه قال (٢) : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررنا بعبد الله بن مسعود ، وهو يصلي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من هذا الذي يقرأ القرآن» ف قيل له : هذا عبد الله بن أم عبد ، فقال : إن عبد الله يقرأ القرآن غضا كما أنزل . وقيل في معنى قوله «غضا» كما أنزل «أى» (٣) أنه كان يقرأ الحرف الأول ، وعن أبي ظبيان قال ، قال لي عبد الله بن عباس : أى القراءتين تقرأ ؟ قلت : القراءة الأولى قراءة ابن أم عبد ، فقال لي : بل هى الآخرة .

-
- ١ - أحمد بن حنبل : المسند ج ٥ ص ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ .
 - ٢ - القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٥٧ .
 - ٣ - البخاري : خلق أفعال العباد : رسالة نشرت ضمن كتاب عقائد للسلف ص ١٥٩ ، ص ٢٠٣ ط ١٩٧١ .
 - الباقلاني : الإنصاف . فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص ٨٤ .
 - الذهبي : معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ج ١ ص ٣٥ .
 - أبو نعيم : حلية الأولياء ج ١ ص ١٢٤ .
 - راجع روايات أخرى للمحدث .
 - من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد .
 - ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء ج ١ ص ٤٥٩ .
 - من أحب أن يسمع القرآن غضا فليسمعه من ابن أم عبد .
 - ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣ ص ٩٨٩ مطبعة نهضة مصر .
 - وفي رواية «من سره أن يقرأ القرآن رطبا» ...
 - أبو نعيم : حلية الأولياء ج ١ ص ١٢٤ .
 - أبو داود السجستاني : المصاحف ص ١٣٧ طبع القاهرة سنة ١٩٣٧ .
 - ٣ - القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٥٧ .
 - السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ١ ص ١٠٦ .
 - البخاري : خلق أفعال العباد ص ١٧٩ .

وقال الحسين بن علي الجعفي (١) : «معناه أنه ليس يريد به حرفه الذي يخالف المصحف ، إنما أراد ترتيله» .

وقال مكى أبو طالب (٢) : لا ينكر أن يكون صلى الله عليه وسلم أراد حرفه الذي كان يقرأ به . ونحن نقرأ بذلك من قراءته ، ونتولى ذلك ونرويه ، ونرغب اليوم فيه . ما لم تخالف قراءته المصحف ، فإن خالفت المصحف لم نكذب بها ، ولم نقرأ بها ، لأنها خارجة عن الإجماع ، منقولة بخبر الآحاد ، والإجماع أولى من خبر الآحاد . ولأننا لا نقطع أنها قراءة ابن مسعود على الحقيقة ، إذ لم يصححها إجماع ، ولذلك قال مالك وغيره : القراءة التي تنسب إلى ابن مسعود ، فقال : «تنسب إليه» ولم يقل «قراءة ابن مسعود» والشيء قد ينسب إلى الإنسان وهو غير صحيح عنه .

كذلك تعلم عبد الله كيف يبدأ التلاوة ، فقد روى عنه قوله (٣) : قرأت على رسول الله (ص) فقلت أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي : «يا ابن أم عبد . قل : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، هكذا أقرأني جبريل عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ (٤) . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصحح له قراءته . عن الأسود بن يزيد عن عبد الله قال : قرأت على النبي (ص) : فهل من مذكر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم (٥) : فهل من مذكر .

١ - راجع : مكى أبو طالب : الإبانة عن معاني القراءات ص ٧٢ .

٢ - المصدر نفسه ص ٧٣ .

٣ - الزمخشري : الكشف ج ٢ ص ٦٣٤ نشر دار الكتاب العربي بيروت .

٤ - القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٨٧ .

٥ - السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٦ ص ١٣٥ .

٥ - سورة القمر : آية ٢٢ .

وقد علم الصحابة أن عبد الله أقرؤهم (١) لكتاب الله ، فقلدوا له تلقيه من الرسول صلى الله عليه وسلم ، وشهدوا له بتجويده وتحقيقه ، وشهدهم إليه أنه كان يرتله بصوت حسن . قال أبو عثمان النهدي (٢) : «صلى بنا ابن مسعود المغرب بقل هو الله أحد ، ولوددت أنه قرأ بسورة البقرة من حسن صوته وترتيله . وقال علقمة (٣) : «بت مع عبد الله في داره ، فنام ، ثم قام ، فكان يقرأ قراءة الرجل في مسجد حيه ، لا يرفع صوته . ويسمع من حوله .

وكان عبد الله لا يدع آية يتلوها الرسول عليه ، وفيها شيء لا يعرفه إلا ويسأل عنه ، من ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم تلا قوله تعالى (٤) : «أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ، فقال له عبد الله (٥) يا رسول الله كيف انشرح صدره ، قال : إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح ، قال عبد الله : يا رسول الله . فما علامة ذلك ، قال : الإجابة إلى دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والتأهب للموت قبل نزول الموت» وحسبنا مما ذكرنا أننا تتبعنا خطوات درسه القرآن ، ووقفنا على خطته في تعلمه ، أما أن يفهم من هذا التخصيص في الإقراء والقراءة أو التلقي

١ - ابن الجزرى : غاية النهاية في طبقات القراء ج ١ ص ٤٥٩ .

٢ - اللهبي : معرفة القراء الكبار ج ١ ص ٣٥ .

٣ - ابن الجزرى : غاية النهاية في طبقات القراء ج ١ ص ٤٥٩ .

٤ - ابن الجزرى : غاية النهاية في طبقات القراء ج ١ ص ٤٥٩ .

راجع حديث البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «زينوا القرآن بأصواتكم» ، وعنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «حسنوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا» .

الدارى : سنن الدارمى نسخة مصورة ، نشر دار إحياء السنة النبوية .

٥ - سورة الزمر : آية ٢٢ .

٥ - السيوطى : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٥ ص ٣٢٥ .

والعرض أن عبد الله بن مسعود لم يتعلم القرآن كله ، ولم يجمعه (١) في حياة الرسول ، وأن علمه به قد وقف عند هذا الحد فهذا أمر مردود ومرفوض .
فقول عبد الله إنه أخذ هذا العدد من السور من في رسول الله دون أن ينازعه فيه أحد من مناقبه ، ثم إنه ورد في معرض تمسكه بقراءته ، وعدم رغبته في أن يتركها ، لكن ما بقي من القرآن ، فربما شاركه غيره في تلقيه ، أو أنه تعلمه من غير رسول الله في عهده ، وقد ورد ذكر لذلك فيما أورده القرطبي من أن عبد الله قد تعلم (٢) قلدا من القرآن من مجمع بن جارية الأنصاري .

هذا وقد تظاهرت الروايات بأن عبد الله بن مسعود قد علم القرآن كله ، ووقف عليه سورة سورة ، وآية آية .
قال عبد الله بن عباس (٣) : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبريل في كل عام مرة ، فلما كان العام الذي قبض فيه رسول

-
- ١ - راجع قول مكي بن أبي طالب القيسي : « ولم يختلف في أن ابن مسعود لم يكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم جمع القرآن كله » .
 - ثم راجع قواه : « أما ما بقي « على عبد الله » من القرآن فيجوز أن يكون قرأه بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم على من قرأ على النبي ، فأسنده إلى النبي .
 - « ويجوز أن يكون قرأه على النبي تلقينا ، ولم يكمل له إثنان حفظه إلا بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم » . الإبانة عن مآل القراءات ص ٧١ ، ٧٧ .
 - ٢ - القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٥٨ .
 - ٣ - القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٥٧ .
 - راجع البخاري : شمل أفدال العباد : رسالة نشرت ضمن كتاب عقائد السلف ص ١٧٩
 - وانظر : قول ابن الجزري : إن عبد الله بن مسعود عرض القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم . غاية النهاية في طبقات القراء ج ١ ص ٤٥٨
 - : وما أورده السيوطي في هذا الصدد : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ١ ص ١٠٦ .

الله صلى الله عليه وسلم عرضه عليه مرتين ، فحضر ذلك عبد الله ، فعلم ما نسخ من ذلك وما بديل ، وتأكد ذلك في قول عبد الله نفسه (١) : لقد كنت أعلم أنه يعرض عليه القرآن في كل رمضان ، حتى كان عام قبض ، فعرض عليه مرتين ، فكان إذا فرغ أقرأ عليه فيخبرني أني محسن .

ثم إن هناك ما يقطع بأن عبد الله قد أتم أخذ القرآن في عهد النبوة ، فلقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من طرق عدة أنه قال : استقرئوا (٢) القرآن من أربعة : «من عبد الله بن مسعود ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وأبي ابن كعب ، ومعاذ بن جبل» ، وفي رواية : نخلوا (٣) القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود ، فبدأ به ، ولم يكن ذلك إلا لأن هؤلاء الأربعة قد (٤) باينوا غيرهم من الصحابة في جودة القراءة ، وصحتها والعلم بها .

وقد ذكر النووي (٥) أن السبب أن هؤلاء كانوا أكثر ضبطاً لألفاظه ، وأتقن لأدائه ، أو لأن هؤلاء الأربعة تفرغوا لأخذه منه صلى الله عليه وسلم

-
- ١ - أبو شامة : المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ص ٨٦ . -
 - أحمد بن حنبل : المسند ج ٥ ص ٣٢٤ حديث رقم ٣٨٤٥ .
 - ٢ - البخاري : الجامع الصحيح ج ٥ باب مناقب عبد الله بن مسعود ص ٣٤ ، ٣٥ .
: وانظر ج ٦ باب القراء من أصحاب الرسول ص ٢٢٩ ط . الشعب .
 - القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٥٨ .
 - ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين ج ١ ص ١٧ .
 - ٣ - البخاري : الجامع الصحيح ج ٥ باب مناقب أبي بن كعب ص ٤٥ .
 - ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٣٥٢ .
 - ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ١ ص ٩٨٩ .
 - ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ص ٢٣٤ ط . دار الثقافة العربية
 - الشوكاني : نيل الأوطار ج ٢ ص ٢٣٧ المطبعة العثمانية سنة ١٣٥٧ هـ .
 - ٤ - الباقلائي : الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص ٨٣ .
 - ٥ - شرح النووي على صحيح مسلم ج ١٦ باب فساقل عبد الله بن مسعود ص ١٧ .

مشافهة ، وغيرهم اقتصروا على أخذ بعضهم من بعض ، أو لأن هؤلاء تفرغوا لأن يؤخذ عنهم ، أو أنه صلى الله عليه وسلم أراد الإعلام بما يكون بعد وفاته صلى الله عليه وسلم من تقدم هؤلاء الأربعة وتمكنهم ، وأنهم أقعد من غيرهم في ذلك فليؤخذ عنهم .

ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم ليطلب من الصحابة أن يقصدا عبد الله إذا طلبوا القرآن لو أنه قصر في شيء منه ، أو فاته بعضه ، فما بالك والأدلة قد تضافرت لتؤكد أنه لم يكن هناك من ينازعه السبق في العلم به ، ومعرفة أسباب النزول ومواضعه لكل آية من آياته ، بل إن الصحابة قد شهدوا له بذلك . ولم ينكر عليه أحد منهم أنه أعلمهم بكتاب الله . . .

روى البخارى عن شقيق بن سلمة ، قال (١) : خطبنا عبد الله فقال : والله لقد علم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أني من أعلمهم بكتاب الله ، وما أنا بخيرهم . قال شقيق : فجلست في الحلق أسمع ما يقولون ، فاسمعت ردا يقول غير ذلك .

وأخرج ابن الأنباري عن ابن مسعود قال (٢) : لو أعلم أحدا أحدث بالعرضة الأخيرة مني لرحلت إليه .

١ - البخارى : الجامع الصحيح ج ٦ باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (ص) ٢٢٩ ط . الشعب .

... ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣ ص ٩٩١ .

-- ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين ج ١ ص ١٧ .

- ابن حزم : الإحكام في أصول الأحكام ج ٥ ص ٧٩٥ .

٢ -- السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ١ ص ١٠٦ .

وعن مسروق قال ، قال عبد الله (١) : «والله الذى لا إله غيره ، ما أنزلت سورة من كتاب الله ، إلا أنا أعلم أين أنزلت ، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيما أنزلت ، ولو أعلم أحدا أعلم منى بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه .

وقال أبو مسعود البارى (٢) وقد قام عبد الله بن مسعود : ما أعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك بعده أعلم بما أنزل الله من هذا القائم ، فقال أبو موسى : لقد كان يشهد إذا ما غبنا ، ويؤذن له إذا ما حجبنا .

وقال عبد الله بن بريدة فى قوله تعالى (٣) : حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا قال (٤) : هو عبد الله بن مسعود .

ولا يمنعنا هذا من أن ننظر فى أقوال من يعارضون هذا رأى ، وينذهب بهم الظن إلى أن عبد الله لم يتم نجم القرآن فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم .

١ - البخارى : الصحيح ج ٦ باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ص ٢٣٠ ط الشعب .

- ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٣٤٤ ط . بيروت .

- الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن ج ١ ص ٨٠ ط . دار المعارف .

- ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء ج ١ ص ٤٥٩ .

-- القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٣٥ .

- النووى : تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ٢٠٩ .

- أحمد بن حنبل : المسند ج ٥ ص ٣٢٤ حديث رقم ٣٨٤٥ .

٢ - صحيح مسلم بشرح النووى : ج ١٦ : باب فضائل عبد الله بن مسعود ص ١٥ .

--- ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين ج ١ ص ١٧ ، ج ٢ ص ٢٣٨ .

٣ - سورة محمد : آية ١٦ .

٤ - ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين ج ١ ص ١٧ .

قال أبو إسحق (١) : سألت الأسود ما كان عبد الله يصنع بسورة الأعراف ؟ فقال : ما كان يعلمها حتى قدم الكوفة ، قال : وقد قال بعض أهل العلم : مات عبد الله بن مسعود قبل أن يتعلم المعوذتين . فلهذه العلة لم توجد في مصحفه ، بل (٢) إنه حجدهما .

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن معدي كرب قال (٣) : أتينا عبد الله بن مسعود نسأله عن طسم الشعراء ، قال : ليست بمعى ، ولكن عليكم بمن أخذها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عليكم بأبي عبد الله . خباب بن الارت . وهذه الأقوال ليست بصحيحة ، ويكفى في التدليل على ذلك ما ذكرناه من أن الرسول صلى الله عليه وسلم بدأ بتبليغ الله حين أراد أن يبين المتميزين من الصحابة في العلم بالقرآن ، وصحة قراءته ليتسنى للمسلمين أن يأخذوه عنهم . ولم نجد الرسول صلى الله عليه وسلم قد استثنى من القرآن سورة ما طالت أم قصرت . وذكر أبو بكر الأنباري (٤) . أن حديث محمد بن كعب القرظي الذي عبد الله بن مسعود ممن ختموا القرآن ورسول الله صلى الله عليه وسلم على مقصور على محمد بن كعب ، فهو مقطوع لا يؤخذ به ، ولا يعول عليه . لكن يدل على صحة الحديث قوله عليه السلام : خلو القرآن من أربعة من ابن أم عبد . كذلك أسند (٥) عاصم قراءته إلى علي وابن مسعود ، وهما قد قرآ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يستثن من جملة القرآن شيئا .

١ - القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٥٨ .

٢ - أسند ابن قتيبة هذا الرأي إلى النظام ، وتولى الرد عليه .

انظر تأويل مختلف الحديث ص ١٨ - ٢١ .

٣ - السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٥ ص ٨٢ ، ص ١١٩ .

٤ - القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٥٨ .

٥ - القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٥٨ .

وقد أقبل عبد الله على حفظ القرآن ، وأعانتته على ذلك ذاكرة قوية .
فأتم حفظه (١) على عهد الرسول (٢) صلى الله عليه وسلم ، وعرف بهذا الفضل ،
وتلك المنقبة .

قال علقمة (٣) : جاء رجل إلى عمر وهو بعرفات ، فقال : جئتك من
الكوفة ، وتركت بها رجلا يحكى المصحف عن ظهر قلب ، فغضب عمر
غضبا شديدا ، وقال : ويحك ، ومن هو ؟ قال : عبد الله بن مسعود ، قال :
فذهب عنه ذلك الغضب . وسكن ، وعاد إلى حاله . وقال : والله ما أعلم
من الناس أحدا هو أحق بذلك منه ، وقال الزركشى (٤) : إن جمع عبد الله
ابن مسعود القرآن أمر لا نشك فيه ، والدلائل على ذلك متظاهرة .

وقد نبه عبد الله أن حفظ القرآن لم يقف عند حد اختزانه واستظهاره ،
ولما تجاوز ذلك إلى الإفادة منه ، والعمل به ، فتحلى بأدابه ، وتخلّى عن
نواهيه ، قال (٥) : كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى

-
- ١ - ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء ج ١ ص ٤٣٢ ، ٤٥٨ .
 - القسطلانى : إرشاد السارى إلى شرح صحيح البخارى ج ٧ ص ٥٠٩ .
 - ٢ - الذهبى : معرفة القراء الكبار ج ١ ص ٣٤ .
 - ٣ - ابن عبد البر : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ج ٣ ص ٩٨٩ .
 - أبو نعيم الأصبهاني : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج ١ ص ١٢٤ .
 - ٤ - الزركشى : البرهان فى علوم القرآن ج ١ ص ٢٣٩ ، ٢٤٣ .
 - ٥ - الطبرى : جامع البيان عن تأويل اى القرآن ج ١ ص ٨٠ .
 - السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ١ ص ٣٤٩ .
 - ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء ج ١ ص ٤٥٨ .
 - ابن تيمية : مجموعة الرسائل والمسائل ج ١ ص ١٨٨ .
 - القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٣٩ .

يعرف معانيهن . والعمل بهن . وقال (١) : ما كنا نتجاوز عشر آيات حتى نعرف حكمها ونهياها .

ولم يقف عبد الله بجهد عند حد قراءة القرآن وإقراءه ، وحفظه والعمل به ، وإنما حاز الأدوات التي تعين على الوقوف على معانيه ، فعرف أسباب النزول ، وأماكنه . وكان يقول (٢) : سلوني عن كتاب الله ، فوالله ما من آية إلا أنا أعلم أبليغ نزلت أم بنهار . في سهل نزلت أم في جبل . وكان لهذه المعرفة أثرها في الوقوف على مقاصد الآيات ومعانيها فإن (٣) العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب .

ومن الشواهد على ذلك ما نجده في قوله (٤) : لما صرف نبي الله صلى الله عليه وسلم نحو الكعبة بعد صلاته إلى بيت المقدس ، قال المشركون من أهل مكة : تحير على محمد دينه ، فتوجه بقبيلته إليكم . وعلم أنكم كنتم أهلى منه سبيلا ، ويوشك أن يدخل في دينكم ، فأنزل الله جل ثناؤه (٥) «لثلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني» . وعن شيبان عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال (٦) : أخر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة صلاة العشاء . ثم خرج إلى المسجد ، فإذا الناس

-
- ١ - الصنعاني : سبل السلام ج ٢ ص ٤٧ .
 - ٢ - القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٣٥ .
 - ٣ - السبوطي : أسباب النزول ص ٥ .
 - ٤ - الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن ج ٣ ص ٢٠٣ .
 - ٥ - سورة البقرة : آية ١٥٠ .
 - ٦ - انظر شواهد أخرى لما روى عن عبد الله بن مسعود في أسباب النزول .
- السبوطي : أسباب النزول ص ١٠ ، ٨٠ ، ٩١ ، ١٠٣ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٥١ طبع القاهرة سنة ١٣٨٢ هـ .
- ٦ - النيسابوري : أسباب النزول ص ٧٩ ، ص ١٦٠ ، ص ١٧٢ ، ص ١٧٨ ، ص ١٨٠ دار الاتحاد العرب للطباعة .

ينتظرون الصلاة فقال : إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله في هذه الساعة غيركم ، قال : فأنزلت هذه الآيات — ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون ... إلى قوله : والله عليم بالمتقين .

ويمكننا أن نرد كثيرا من مرويات عبد الله إلى أصولها القرآنية ، فحين نقرأ قوله (١) «كذب النسابون» يتبادر إلى ذهنك قول الله تعالى (٢) «ألم يأتكم نبي الدين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله» وأنت تجده في قوله (٣) «العسل شفاء من كل داء ، والقرآن شفاء لما في الصدور» متأثرا بقوله تعالى (٤) «فيه شفاء للناس» .

وفي قوله (٥) : «من أراد العلم فليثور القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين» تراه قد تظر إلى قوله تعالى (٦) : «الم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب»

١ — الزخشرى : الكشف ج ٢ ص ٥٤٢ .

٢ — سورة إبراهيم : آية ٩ .

٣ — الزخشرى : الكشف ج ٢ ص ٦١٩ .

٤ — سورة النحل : آية ٦٩ .

٥ — الطوسي : المجمع تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود مطبعة السعادة سنة ١٩٦٠ .

٦ — سورة البقرة : آية ٣٠٢، ٣٠١

الفصل الثاني

السنة

السنة

يتمثل الرافد الثاني الذي أسهم في تكوين ثقافة عبد الله بن مسعود فيما تعهده به النبي صلى الله عليه وسلم من تعليم الحديث والسنة على أفضل ما يطمح إليه الداعون إلى التربية الصحيحة ، والتعلم المشمر ، قال علي : وقد سئل عنه (١) : علم القرآن والسنة ، وكفى بذلك علماً . وقد عده ابن حزم من أصحاب المئين (٢) فذكر أن له ثمانمائة حديث وثمانية وأربعين حديثاً . وقد جمعت (٣) أحاديث عبد الله في مسند أحمد .

وقد أتيح لعبد الله أن ينال كثيراً من الدرس الديني ، وهو يجلس إلى الرسول صلى الله عليه وسلم . قال (٤) : علمني رسول الله التشهد كفى بين كفيه كما يعلمني السورة من القرآن . وفي رواية (٥) : علمنا رسول الله (ص) إذا قعدنا في الركعتين أن نقول «التحيات لله وذكر التشهد» ، وفي

-
- ١ - ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٢٤٦ .
 - ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣ ص ٩٩١ .
 - الشيرازي : طبقات الفقهاء ص ٤٣ .
 - ٢ - ابن حزم : جوامع السيرة ، وخمس رسائل أخرى له : الرسالة الثانية : أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد ص ٢٧٦ .
 - ٣ - دائرة المعارف الإسلامية : مادة ابن مسعود ج ١ ص ٢٧٥ .
 - ٤ - صحيح مسلم بشرح النووي ج ٤ ص ١١٨ ، ج ٣ ص ٢٥٧ المطبعة المصرية .
 - فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ٣ ص ٥٦ .
 - البخاري : الجامع الصحيح ج ٨ كتاب الاستئذان ص ٧٣ ط . الشعب .
 - أحمد بن حنبل : المسند حديث رقم ٣٧٣٨ .
 - النووي : تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ٢٨٨ ط . بيروت .
 - ٥ - الترمذي : سنن الترمذي ج ٢ ص ٨١ .
 - النيسابوري : معرفة علوم الحديث ص ٣٩ ، ٤٠ الطبعة الثانية سنة ١٩٧٧ .
 - وانظر رواية أخرى عند أحمد بن حنبل : المسند : حديث رقم ٣٨٧٧ .

أخرى ، قال (١) : كنا نصلي خلف النبي (ص) فنقول السلام على الله .
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله هو السلام ، ولكن قولوا : التحيات
لله والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام
علينا ، وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا
عبده ورسوله . .

وقد تحرى (٢) الصنعاني لفظ التشهد ، وجزم بأنه ورد بلفظ «عبده
ورسوله» في جميع روايات الأئمة السنت . وذكر أن ابن الأثير وهم في
جامع الأصول فساق حديث ابن مسعود بلفظ : «وأن محمدا رسول الله» .
ونسبه إلى الشيخين وغيرهما ، وتبعه على وجهه صاحب تفسير الوصول ، وتبعها
على الوهم الجلال في ضوء النهار ، وزاد أنه لفظ البخاري .

وفي ضوء الأسس المنهجية التي وضعها المسلمون لنقد الخبر فإن حديث
عبد الله في التشهد قد رجح (٣) على غيره لأسباب عدة فطن إليها الأقدمون
قال (٤) البزار : أصبح حديث عندي في التشهد حديث ابن مسعود ، يروى
عنه من نيف وعشرين طريقا ، ولا نعلم أنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
في التشهد أثبت منه ، ولا أصبح إسناداً ، ولا أثبت رجلاً ، ولا أشد تظافراً
بكثرة الأسانيد والطرق . .

-
- ١ - البخاري : الجامع الصحيح : كتاب التوحيد ج ٩ ص ١٤٢ .
 - ابن ماجه : سنن ابن ماجه ج ١ ص ٢٩٠ .
 - النسائي : سنن النسائي ج ٢ ص ٢٤٠ .
 - ٢ - محمد بن اسماعيل الصنعاني : سبل السلام ج ١ ص ٣٦٩ .
 - ٣ - مالك : الموطأ : ص ٦٨ الطبعة الأولى ١٩٦٧ .
 - ٤ - محمد بن اسماعيل الصنعاني : سبل السلام ج ١ ص ٣٦٩ - ٣١٠ .

وقال مسلم : إنما أجمع الناس على تشهد ابن مسعود لأن أصحابه لا يخالف بعضهم بعضا ، وغيره قد اختلف عنه أصحابه .

وقال محمد بن يحيى الذهلي : هو أصح ما روى في التشهد ، وقد روى حديث التشهد أربعة وعشرون صحابيا بالفاظ مختلفة . اختار الجماهير منها حديث ابن مسعود .

وقد ذكر القرطبي (١) أن الثوري والكوفيين ، وأكثر أهل الحديث اختاروا تشهد ابن مسعود . ثم أضاف أنه إذا كانت قد وردت نصوص أخرى من التشهد عن عمر وابن عباس تختلف في بعض كلمات منها ، فهذا كله اختلاف في مباح ليس شيء منه على الوجوب .

وقد علمه الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقول بعد أن يفرغ من التشهد اللهم (٢) إني أسألك من الخير ما علمت منه ، وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه ، وما لم أعلم ، اللهم إني أسألك من خير ما سألك منه عبادك الصالحون . وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبادك الصالحون . ربنا آتنا في الدنيا حسنة... الآية .

وقد علم الرسول عبد الله خطبة الحاجة ، وقد ورد ذكر ذلك في سنن (٣) النسائي ، وسنن ابن ماجه .

١ . القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٣٦٤ .
٢ . محمد بن إسماعيل الصنعاني : سبل السلام ج ١ ص ٢٧٠ .
وانظر دعاء آخر كان يعلمه الرسول لعبد الله ليدعو به بعد التشهد أيضا .

المرجع السابق ص ٢٧٧ .

٣ . النسائي : السنن ج ٣ كتاب الجمعة ص ١٠٥ ، ج ٦ باب النكاح ص ٨٩

انظر حاشية السندى على سنن النسائي ج ٦ ص ٨٩

٤ . ابن ماجه : السنن ج ١ ص ٦٠٩ ، ٦١٠

قال عبد الله (١) : علمنا خطبة الحاجة ، الحمد لله نستعينه ، ونستغفره ،
ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ،
ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده
ورسوله ، ثم يقرأ ثلاث آيات (٢) : «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته
ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . يا أيها (٣) الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من
نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا
الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا . (٤) يا أيها الذين
آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا .

وكان الوضوء مما تعلمه عبد الله من الرسول صلى الله عليه وسلم . قال
علامة (٥) ، قال لي عبد الله بن مسعود : قم فصب على أريك وضوء
النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي : قم فصب
على حتى أريك وضوء جبرائيل عليه السلام .

-
- ١ - النسائي : السنن ج ٣ كتاب الجمعة ص ١٠٥ ،
ج ٦ باب النكاح ص ٨٩ .
وانظر حاشية السندی على سنن النسائي ج ٦ ص ٨٩ .
 - ٢ - ابن ماجه : السنن ج ١ ص ٦٠٩ ، ٦١٠ .
 - ٣ - وانظر السيوطي . الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٢ ص ١١٧ في تفسير قوله تعالى
(وبث منهما رجالا) سورة النساء : آية ١ .
 - ٤ - سورة آل عمران : آية ١٠٢ .
 - ٥ - سورة النساء : آية ١ .
 - ٦ - سورة الأحزاب : آية ٧٠ .
 - ٧ - انظر بقية الحديث : النيسابوري : معرفة علوم الحديث ص ٣٩ ، ٤٠ الطبعة الثانية
سنة ١٩٧٧ .
 - ٨ - راجع ما أورده البخاري في صحيحه : كتاب الاستئذان ج ٨ ص ٦٣ ، ص ٦٤ ط .
الشعب .

كذلك تعلم عبد الله من النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يفعله في صلاته ، وما كان يقوله فيها . قال (١) : مر بي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا واضع يدي اليسرى على اليمنى ، فأخذ بيدي اليمنى ، فوضعها على اليسرى . وقال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يكبر في كل رفع ووضع ، وقيام وقعود ، ويسلم عن يمينه وعن شماله ، السلام عليكم ورحمة الله ، السلام عليكم ورحمة الله ، حتى أرى بياض خده .

وكان عبد الله لا يحس بشيء حاك في صدره إلا وسأل الرسول صلى الله عليه وسلم عنه ، ولم يكن (٢) يسأله عن شيء حتى يحدث إليه ، وقد وضحت رغبته في التعلم منذ بدء إسلامه ، قال (٣) : سألت النبي صلى الله عليه وسلم : أى الذنب أعظم عند الله ، قال : أن تجعل لله ندا وهو خلقك ، قلت إن ذلك لعظيم ، قلت : ثم أى ، قال : ثم أن تقتل ولدك تخاف أن يطعم منك . قلت : ثم أى ، قال : ثم أن تزاني بحليلة جارك ، فأنزل الله تصديقها (٤) : «والذين لا يدعون مع الله إله آخر ، ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما» ، وعنه أنه قال (٥) : سألت رسول

١ - ابن ماجه : السنن ج ١ ص ٢٦٦ .

- النسائي : السنن ج ٢ كتاب الافتتاح ص ١٢٦ .

- ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين ج ٢ ص ٤٠١ .

- ابن حنبل : المسند : حديث ٣٧٣٦ .

٢ - ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٦٨٩ ط بيروت سنة ١٩٦٦ .

٣ - البخارى : الجامع الصحيح : ج ٩ كتاب التوحيد ص ١٨٦ ، ١٩٠ .

: ج ٨ كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة ص ٢٠٤ ط . الشعب .

٤ - سورة الفرقان : آية ٦٨ .

٥ - البخارى : الجامع الصحيح : ج ٤ كتاب الوصايا ص ١٦ .

- أحمد بن حنبل : المسند ج ٥ ص ٢٤١ حديث رقم ٣٨٩٠ .

- السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٢ ص ٢٢٠ .

الله صلى الله عليه وسلم . قلت : يا رسول الله : أى العمل أفضل ؟ قال : الصلاة على ميقاتها ، قلت : ثم أى ؟ قال : ثم بر الوالدين . قلت : ثم أى ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله ، فسكت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو استزدت لزدنى .

وكان النبی صلى الله عليه وسلم من جانبه يستثير فيه الرغبة فى معرفة ما يورد أن يعلمه له . سأله (١) مرة : كيف بك يا عبد الله إذا كان عليك أمراء يضيحون السنة ويؤخرون الصلاة عن ميقاتها . قال : كيف تأمرنى يا رسول الله ؟ قال : تسألنى ابن أم عبد ، كيف تفعل ؟ لا طاعة لمخلوق فى معصية الله عز وجل . وقال عبد الله (٢) : قال لى رسول الله «ص» يا عبد الله ابن مسعود ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال ، أتدري أى الناس أفضل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإن أفضل الناس أفضلهم عملا إذا فتيهوا فى دينهم ، قال : يا عبد الله ابن مسعود ، قلت : لبيك يا رسول الله . قال : أتدري أى الناس أعلم ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : أعلم الناس أبصرهم بالحق . إذا اختلف الناس ، وإن كان مقصرا فى العمل . وإن كان يزحف على إسته .

وقد وضح أثر الحديث فى فكر عبد الله وعقله . فكان يصبر عنه فى كثير مما يسأل فيه ، قال (٣) عون بن عبد الله . سألت الأسود بن يزيد هل

١ - أحمد بن حنبل : المسند ج ٥ ص ٢٤٠ حديث رقم ٢٨٨٩ .

٢ - ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص ٥٣ .

- السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٦ ص ١٧٥ .

٣ - السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٥ ص ٧٨ .

كان ابن مسعود يفضل عملاً على عمل ، قال : نعم ، سألت ابن مسعود ،
قال : سألتني عما سألت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت يا رسول
الله أي الأعمال أحبها إلى الله ، وأقربها من الله ، قال : الصلاة لوقتها ...
....الحديث .

الفصل الثالث

الدرس اللغوى

كان عبد الله بن مسعود يدرك عظم المسؤولية التي يتحملها من يوقف نفسه على النص القرآني ، ويتصدى لإقراءه وتعليمه ، ذلك لأن الخطأ في قراءة النص الديني بعامته ، والقرآن بخاصة أمر فاحش ومستهجن .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل لحن (١) : «أوشدوا أخاكم فإنه قد ضل» فسبى اللحن ضلالا ، وقال عليه السلام : «رحم الله امرأ أصلح من لسانه» .

ولما كانت لهجات الكلام عند القبائل (٢) «لا تلتزم الإعراب على الصورة التي رويت لنا في كتب النحاة ، وإنما التزم الإعراب على تلك الصورة في اللغة الأدبية التي نزل بها القرآن ، ونظم بها الشعر» ، فقد أقبل عبد الله على التفقه في اللغة مثلما أقبل على التفقه في الدين ، وعكف على الشعر يقرأه ليزداد بصرا بطرائق العرب في أسلوبهم ، ومناحيهم في اللغة ، يقول ابن سعد (٣) : «كان ابن مسعود يعنى بالعربية والشعر ، وقد كان يسأل في ذلك زر بن حبيش ، وكان أعرب الناس» .

وفي رواية أن نيف على أبعاد الدرس اللغوي لعبد الله بن مسعود ، ولن نجد صعوبة في رد عناصره إلى أصولها ، ويمكن أن نجد منها لغة هذيل ، ولغة

١ -- ابن جني : الخصائص ج ٣ ص ٢٤٦ دار الهدى للطباعة والنشر بيروت الطبعة الثانية .
حدث بهذا الحديث عمر رضى الله عنه ، وكان مر على قوم يسيتون الرى فقرعهم فقالوا :
إنا قوم متعلمين ، فأعرض عنهم ، وقال : والله نخطوكم في لسانكم أشد على من خطوكم في
رؤسكم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : فذكر الحديث . انظر هامش
الخصائص ج ٣ ص ٢٤٦ .

٢ -- إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية ص ٨٤ .

٣ -- ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٦ ص ٧١ .

.. ابن قتيبة : المعارف ص ٤٢٧

الحجاز ، ثم اللغة المشتركة ، ومع أنها تختلط فيما بينها إلا أننا نستطيع أن نتبين ملامح كل منها في ثقافته :

أولا : لغة هذيل (١) :

لا يمكننا أن نحيط بما كانت عليه هذيل حين تنطق لغتها ، كما لا يمكننا القطع بخصائصها فيما كانت تتكلم به ، فالميراث الثقافي لها شأنها في ذلك شأن سائر القبائل العربية قد وصلنا مدونا ، وبذلك يصعب الاستدلال منه على الطريقة التي كان يؤدي بها ، ولو أن امكانات العصر ساعدت على نقل اللغة مسموعة ، وسجلتها منطوقة بأصوات أصحابها لأدى ذلك إلى معرفة نظامهم فيها وأدائهم لها ، وعندئذ كانت تتحدد خصائصها وسماتها ، وحيث أن ذلك لم يكن ، فليس أمامنا من سبيل إلى تبين لغة هذيل ، ورصد مستوياتها إلا بالتنقير عن الظواهر التي تميزها في شعر الهذليين بعامة ، وفيما تضمنته كتب اللغة ومعاجمها ، وعلينا بعد ذلك أن نتبعها في قراءة عبد الله .

والواقع أن هذيلاً كانت ضمن القبائل التي نزل القرآن بلغاتها لما عرفت به من صفاء اللغة ، وفصاحة اللسان ، وسلامة النطق .

فقد ورد في معنى (٢) الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن أن المقصود سبع لغات من لغات العرب هي أرقاها إذ كان (٣) معلوما أن ألسنتها ولغاتها

١ — كان القدماء يسمون عما نسميه الآن باللهجة بكلمة «اللغة» حيناً ، و «بالحن» حيناً آخر انظر دكتور إبراهيم أليس ، في اللهجات العربية ص ١٦ المطبعة الفنية الحديثة سنة ١٩٧٣

٢ — راجع بحثاً وافياً في الأحرف السبعة في كتابنا الاتجاهات الفكرية في التفسير .

ص ٢٨ — ٤٦ .

٣ — الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١ ص ٤٦ ، ٤٧ .

أكثر من سبعة بما يعجز عن إحصائه ، وتجمع المصادر المتاحة على اعتبار هذيل إحدى هذه القبائل السبع التي نزل القرآن بلغتها ، وقيل هي (١) : قريش وكنانة ، وأسد ، وهذيل ، وتميم ، وضبة ، وقيس وقيل (٢) هي قريش ، وهذيل ، وثقيف ، وهوازن ، وكنانة ، وتميم ، واليمن .

وقد كان ما تميزت به هذيل من سلامة النطق سببا في موقف عثمان حين عزم على كتابة المصاحف ، قال للرهط الذين وكل إليهم العمل (٣) : اجعلوا المملى من هذيل ، والكاتب من ثقيف .

كذلك ورد ذكر هذيل ضمن القبائل التي خلصت لغاتها ، فاتجه العلماء إلى أخذها عنها ، قال الفارابي (٤) «والذين عنهم نقلت اللغة العربية ، وبهم اقتدى ، و عنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب ، هم قيس ، وتميم ، وأسد . فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ، ومعظمه ، وعليهم اتكل في الغريب ، وفي الإعراب والتصريف ، ثم هذيل وبعض كنانة ، وبعض الطائيين ، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم .

-
- ١ - القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٤٥ .
 - راجع ما أورده السيوطي في شأن تحديد القبائل السبع و ورود هذيل في كل الآراء التي ذكرها .
 - السيوطي : الإتيقان في علوم القرآن ج ١ ص ٤٩ .
 - ٢ - ابن الجزري : النشر في القراءات العشر ج ١ ص ٢٤ مطبعة مصطفى محمد .
 - ٣ - ابن فارس : الصحاح ص ٢٧ ، ٢٨ . مطبعة المؤيد سنة ١٩١٠ .
 - ٤ -- انظر السيوطي : المزهري ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

وفيا يخص أمر هذيل ، فإن رواة اللغة. بعامه وأبا عمرو بن العلاء بخاصة كانوا يتجهون إليها ليأخذوا اللغة من أبنائها لأن (١) شبهات الخضر بعدت عنها . فهي من (٢) أهل السروات ، كذلك كان الأصمعي (٣) حريصا على شعر الهذليين ، فلما سمع (٤) بالشافعي ، وكان أحسن الناس معرفة بأشعار هذيل رحل إليه ، وصححه عليه .

وقد غلبت الغرابة على لغة هذيل ، لكن الأمر فيها ليس كما حكم القزويني في قوله (٥) : «أما فصاحة المفرد فهي خلوصه من تنافر الحروف والغرابة» فالغرابة (٦) ليست مما يفسد فصاحة الكلمة ، وما يدرينا أن هذه الألفاظ التي ننكر غرابتها اليوم لم تكن كذلك على عهد القوم بها ، وقد يرجح ذلك ما نحسبه فيها من مهابة حين نقف على معانيها . يقول أحمد زكي : «أما (٧) الهذليون فكانوا يتكلمون عن طبع أصيل ، وبكلمات يتداولونها في باديتهم فجاءت غرابتهم عن أصالة تحمل من معاني الحياة جمالا كثيرا» وقد ظلت هذه السمة تلازم أبناء هذيل في الإسلام ، فكان الخضر مومنها يؤثرونها .

-
- ١ - دكتور عبد الحميد الشلقاني : مصادر اللغة ص ٩٩ مطبعة جامعة الرياض سنة ١٩٨٠ .
 - ٢ - الأصفهاني : الأغاني ج ١ ص ٣٨٤ ط . دار الكتب .
 - ٣ - الدكتور جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ص ٥٣٥ طبعة سنة ١٩٧٠ .
 - ٤ - راجع منازل هذيل وديارها وجبالها :
 - ٥ - عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ج ٣ ص ١٢١٣ مادة هذيل .
 - ٦ - دكتور عبد الحميد الشلقاني : مصادر اللغة ص ١٠٢ ، ١٧٨ .
 - ٧ - ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج ١٧ ص ٢٨٦ ، ٢٩٩ .
 - ٨ - القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ج ١ ص ٣٠ مطبعة محمد علي صبيح .
 - ٩ - أحمد كمال زكي : شعر الهذليين في العصر الجاهلي والإسلامي ص ٢٣٧ .
 - ١٠ - المصدر نفسه ص ٢٣٩ .

وقد حدثتنا المصادر عن غرابة لغة هذيل ، وأن القوم كانوا يتوقفون فيها عندما تقابلهم في القرآن ، وربما سألوا فيها ، فيأتيهم من هم من هذيل بخبرها عندهم ، ودلالاتها في لغتهم ، فيتضح المعنى عندئذ ويستقيم فهمه .

روى أن عمر قال على المنبر (١) : ما تقولون في قوله تعالى (٢) : «أو يأخذهم على تخوف» فسكتوا ، فقام شيخ من هذيل ، فقال : هذه لغتنا ، التخوف : التنقص ، فقال عمر : هل تعرف العرب ذلك في أشعارها ، قال : نعم . شاعرنا أبو كبير يصف ناقته فيقول :

تخوف الرجل منها تامكا قردا

كما تخوف عمود النبعة السفن

كذلك وقف (٣) ابن عباس أمام كلمة «تخوف» نفسها ، حتى جاءه هذا يشكو أخاه إليه قائلا :

تخوفني مالي أخ لي ظالم

فلا تخلفني المال ياخير من بسقي

فقال ابن عباس : تخوفك : تنقصك ؟ قال : نعم ، قال : الله أكبر ، «أو يأخذهم على تخوف» أي تنقص من خيارهم .

١ - البيضاوي : تفسير القرآن الكريم ص ٢٦٧ الطبعة الثانية سنة ١٩٢٥ م .

٢ - سورة النحل : آية ٤٧ .

٣ - التامك : المرتفع من السنام ، القرد : المتلبد بفضه على بعض ، السفن : المبرد .

٤ - القالي : الأمال ج ٢ ص ١١٢ مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٦ .

- السيوطي : المزهرة ج ٢ ص ٢١١ ط . الحلبي سنة ١٩٥٨ .

وجاء رجل من هذيل ، فقال له ابن عباس(١) : ما فعل فلان ؟ قال : مات وترك أربعة من الولد ، وثلاثة من وراء ، فقال ابن عباس : «فبشرناها باسحق ومن وراء إسحق يعقوب» قال : ولد الولد .

وقد كانت لغة هذيل ، وما تفردت به من خصائص مثار لفت للعلماء فعكفوا عليها ، ودرسوها ، وأنتج تجد في كتاب الخصائص إشارة إلى ما اضطلع به ابن جني(٢) في هذا الصدد، وهو يعرض لتعارض السماع والقياس ، فقد ذكر أنه استوفى هذه الظاهرة فيما أسماه «كتابنا في شعر هذيل» .

وكذلك عندما تحدث عن تخصيص العليل أشار إلى أنه عرض لبعض ما ذكره في الباب في كتابه(٣) «ديوان هذيل» .

وقد عرف عن الهذليين أنهم يجرون في لغتهم على استبدال حرف بآخر ، ويجعلون العين الساكنة نوناً قبل طاء ، أو ما سمي بالفحفة والاستنطاء ، فأما الفحفة ، فهي(٤) إبدال الحاء عينا فتنتطق حتى «عتى» ، جاء في اللسان عتى(٥) : بمعنى حتى هذلية وثقفية ، وإبدال الهاء عينا فتقول في هل «عل» .

١ - الزركشي : البرهان في علوم القرآن ج ١ ص ١١٣ طبعة دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٥٧ .

٢ - ابن جني : الخصائص : ج ١ ص ١٢٤ الطبعة الثانية دار الهدى للطباعة .

٣ - ابن جني : الخصائص : ج ١ ص ١٥١ .

٤ - الزبيدي : تاج العروس ج ١ المقدمة ص ٨ .

٥ - السيوطي : المزهري في علوم اللغة وأنواعها ج ١ ص ٢٢٢ ط . دار إحياء الكتب العربية

٥ - ابن منظور : لسان العرب : مادة عتا ج ١٥ ص ٢٨ .

- ابن جني : المختص : ج ١ ص ٣٤٣ .

وقد انحصرت ظاهرة الفحفة فيها روى عن عبد الله بن مسعود في قلب
الحاء عينا في كلمة حتى وحدها ، فقرأ قوله تعالى «حتى حين» عتي (١) حين
في جميع (٢) المواضع ، وأقرأ بذلك (٣) ، فأرسل إليه عمر (٤) إن الله عز
وجل أنزل هذا القرآن فجعله عربيا ، وأنزله بلغة قريش ، فأقرىء الناس
بلغة قريش ، ولا تقرئهم بلغة هذيل .

ومما يعد من هذه الظاهرة أنه قرأ على المنبر (٥) «وطلع منضود» بالعين
في موضع (٦) «وطلع منضود» قال ابن سيده (٧) : «والطلع لغة في الطلع» .
وقد ثار شك حول نسبة هذه الظاهرة لهذيل ، ويدل من (٨) يذهب إلى

-
- ١ - ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٦٣ .
 - ٢ - راجع المواضع التي ورد فيها قوله تعالى «حتى حين» .
 - سورة يوسف : آية ٣٥ ، سورة المؤمنون آية ٢٥ ، ٥٤ ، سورة الصافات آية ١٧٤ ،
١٧٨ ، سورة الذاريات آية ٤٣ .
 - ٣ - أبو حيان : البحر المحيط ج ٥ ص ٣٠٧ .
 - ونحن بذلك نختلف مع من يقول : لعل ابن مسعود سمع من النبي صلى الله عليه وسلم هذه
القراءة في هذه الآية فحسب بدليل أن هذه القراءة لم تكن في غير سورة «يوسف» مع تكرار
(حتى حين) في غيرها . الدكتور عبد العال سالم علي : أثر القراءات في الدراسات النحوية
ص ٣٥ .
 - ٤ - ابن جني : المحتسب ج ١ ص ٨٣ .
 - السيوطي : المزهر ج ١ ص ١٠٩ .
 - الزنجشري : الكشف ج ٢ ص ٤٦٨ .
 - ابن منظور : لسان العرب مادة عتا ج ١٥ ص ٢٨ .
 - ٥ - أبو حيان : البحر المحيط : ج ٨ ص ٢٠٦ .
 - ٦ - سورة الواقعة : آية ٢٩ .
 - ٧ - ابن منظور : لسان العرب : مادة طلع ج ٢ ص ٥٣٣ .
 - ٨ - إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية ص ١٠٨ ، ١٤٩ .

ذلك بما كان بين هذيل وقريش من صلة وثيقة قبل الإسلام ، تجلت فيما رواه ابن الكلبي من تقديس قريش «مناة» وقد كان صنم هذيل ، وتقديس هذيل هبلًا ، وقد كان صنم قريش ، هذا إلى قرب مساكنهم من الحجاز ، واحتمال تأثرهم بلهجات تلك البيئة . كما أن التسمية عنده ، تحمل على الشك في وصف القدماء لهذه الظاهرة ، فكلمة الفحفحة إذا نظر إليها في ضوء مصطلحات الكشفية ، والعججة تكشف عن أن الحرف التالي في كل من هذين المصطلحين هو الحرف المقلوب إليه ، وكان مقتضى هذا أن يكون معنى الفحفحة قلب العين إلى الحاء لا العكس .

كذلك ثار شك في نسبة هذه الرواية إلى ابن مسعود ، فقد روى عنه ما يفيد عكس ظاهرة الفحفحة ، أي قلب العين إلى حاء في قوله تعالى (١) : «قالوا نعم» قرأه ابن مسعود «قالوا نحم» ، وفي قوله تعالى (٢) : «إذا بعث ما في القبور» قرأه (٣) «إذا بخر ما في القبور» .

ولنا أن نتساءل عن السبب في اتخاذ موقف الشك من هذه الظاهرة وإفراد هذيل بها .

الواقع أن تأثر هذيل بلهجة البيئة الحجازية لا يعني نفي تفردا بخصائص لغوية عرفت بها ، كما أن قراءة ابن مسعود «عنى حين» تظاهرت المصادر على إثباتها ، ونسبتها إليه ، أما ما روى عنه مما يخالف هذه الظاهرة ، فتعليقه أن عبد الله كان معلماً للقرآن في وسعه أن يراوح بين اللهجات شأن المعلم المقتلر .

١ - سورة الأعراف : آية ٤٤ .

٢ - سورة العاديات : آية ٩ .

٣ - ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ١٧٨ .

لكن ماذا نقول في أن قلب الحاء وهو صوت مهموس إلى العين وهو صوت مجهور لا يتفق مع ما كانت عليه هذيل من تحضر .

أكبر الظن أن هذا الاعتراض ربما يزول لو أننا أدركنا أن رصد هذه الظاهرة وتتبعها يكشف (١) عن انحصارها في هذا النطاق الضيق ، فلقد قلب عبد الله الحاء في «حتى» بينما تركها دون قلب في «حين» مما يشير إلى أنها لم تكن فاشية .

ويمكن تفسير الموقف بأن الفحفة (٢) لم تكن عند كل بطون هذيل ، ونطق بها بعضها قليلا فلم تنتشر .

وربما كانت فيه (٣) دلالة على أنه كان من المرغوب فيه دائماً أن يعمل عبد الله على نشر النص القرآني خالياً من الخصائص اللهجية .

ولم يكن هذا الالتزام يقتصر عليه وحده ، وإنما كان حكماً عاماً يأخذ المسلمون أنفسهم به وبخاصة بعد أن استقر القرآن على حرف واحد في العرصة الأخيرة ، ففي قوله تعالى (٤) «وطلح منضود» روى عن علي أنه قال (٥) «ما شأن الطلح ؟ إنما هو «وطلح منضود» ثم قرأ (٦) «طلعها هضم» فقال له

١ - انظر أدلة وافية عند الدكتور عبد الصبور شاهين : تاريخ القرآن ص ١٣٨ - ١٤٠ .

٢ - الدكتور أحمد كمال زكي : شعر الهذليين ص ٣٠١ .

٣ - الدكتور عبد الصبور شاهين : تاريخ القرآن ص ١٤٠ .

٤ - سورة الواقعة : آية ٢٦ .

الطلح شجر الواحدة طلحة - الراغب الأصفهاني : مفردات ألفاظ القرآن ص ٣١٥ دار الكتاب العربي .

٥ - الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٧ ص ٩٣ .

٦ - وزروع ونخل طلحها هضم (سورة الشعراء آية ١٤٨) أي ما طلع منها ، والنخل باسقات لها طلع نضيد «سورة ق : آية ١٠» أي ما طلع منها .

الراغب الأصفهاني : مفردات ألفاظ القرآن ص ٣١٥ .

الحاضرون : هل تريد أن تحولها إلى هذا المعنى ، فقال على : إن القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول .

وناحية أخرى قد يحتملها الموقف وهي أن ابن مسعود غلب عليه لسانه الهللي فقرأ (١) «حتى حين» كما قرأ من غير أن يسمعها من النبي صلى الله عليه وسلم ، فنبهه عمر إلى أن القرآن الكريم نزل بلغة قريش لا بلغة هذيل ، ومعنى ذلك أن عمر أراد أن يسد باب القراءة الواسع باللغات المختلفة من غير أن تكون هناك روايات تسند إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

وأنت حين تقرأ ديوان الهذليين لتقف على الصفات التي عرفت بها لهجة هذيل (٢) «لا تكاد تعثر على أثر لها في أشعارهم ، وكل الذي نراه في الديوان مما ينسب إلى هذيل وحدها لا يعدو أن يكون بضع كلمات قيل لنا إنها بلفظها ومعناها قد اختصت بها هذيل» . غير أننا يجب ألا ننسى أن اللغة الأدبية المشتركة ربما كانت السمة الغالبة عليها أنها نخلت من الخواص المميزة للغات القبائل .

كما أن الأمر في حتى أوضحه ابن منظور في قوله (٣) : حتى بمعنى حتى هذلية وثقافية ، مما يقطع بأن نطقها بالعين لم يكن خاصة تفردت بها لغة هذيل وحدها ، وربما استعارتها من ثقيف لأن الظواهر اللغوية تنفشي بالاحتكاك والمخالطة ، وربما جرت على لسان عبد الله كأثر لنضح البيئة في لغته أو لما ذكرناه من تصديه للتعليم ، ولا يمنعنا ذلك من النظر في رأى من يقولون (٤) :

-
- ١ - الدكتور عبد المال سالم على : أثر القرآن في الدراسات النحوية ص ٣٥ .
 - ٢ - الدكتور إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية ص ٤٣ ، ٤٤ .
 - ٣ - ابن منظور : لسان العرب : مادة عتا ج ١٥ ص ٢٨ .
 - ٤ - الدكتور عبد الهادي الفضلي : القراءات القرآنية : تاريخ وتعريف ص ٦٤ الطبعة الثانية ١٩٨٠ .

إن قراءة ابن مسعود «عنى حين» اقتضت على الآية ٣٥ من سورة يوسف مع مجئ حتى في مواضع عدة ، فإن ذلك يدل على أن القراء ليست اجتهدا ، ولو أنها كانت كذلك لا طردت قراءة حاء حتى عينا في جميع مواضعها من القرآن الكريم من قبل ابن مسعود أو غيره من القراء ، وعلى ذلك يكون ابن مسعود قد سمع هذه القراءة من النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية فقط ، ولذا تقيدها في موضعها فحسب .

وأما ما سمي الاستنطاء فهو ظاهرة صوتية ذكر الزبيدي (١) أنها لغة خمس قبائل هي : سعد بن بكر ، وهذيل ، والأزد ، وقيس ، والأنصار ، وهؤلاء من قبائل اليمن ماعدا هذيل ، يجعلون العين الساكنة نونا إذا جاوزت الطاء كأنطه في أعطه ، ومنطى في معطى ، وفي الحديث «اليد المنطية خير من اليد السفلى» (٢) ، ومن العسير أن نبرر استنطاء هذيل في فعل واحد من بين أفعال اللغة ، وليس في مجاورة العين للطاء أمر غير عادي ، فقد رويت هذه المجاورة في كثير من الأمثلة ، ومع هذا فلم ينسب لها استنطاء . ويظهر أن الأمر لم يكن مقصوراً على الفعل أعطى ، بل يتعلق بنطق كل «عين» سواء ولها «طاء» أو صوت آخر ، فلعل من القبائل من كانوا ينطقون بهذا الصوت بصفة خاصة نطقاً أنفمياً ، وذلك بأن يجعلوا مجرى النفس معه من الفم والأنف معاً ، فتسمع العين ممتزجة بصوت النون ، وليست في الحقيقة نوناً بل هي «عين»

-
- ١ - الزبيدي : تاج العروس : المقدمة ص ٨ .
 - وراجع مادة نطو ج ١٠ ص ٣٧٣ من المصدر نفسه .
 - وراجع اللسان في مادة «نطا» ج ١٥ ص ٣٣٢ .
 - والسيوطي : المزهري في علوم اللغة وأنواعها ج ١ ص ٢٢٢ .
 - ٢ - إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية ص ١٤١ ، ١٤٢ .

أنفمية ، وعلى هذا فيمكن أن يقال إن الرواة قد سمعوا هذه الصفة ممثلة في الفعل أعطى «فأشكلت عليهم ، ولم يصفوها لنا على حقيقتها» .

ومما يرجح ذلك أن الاستنطاء لم يظهر (١) في شعر هذيل ، فإذا صح ما قبل من أن هذيلًا كانت بمن تأخذ به فلا يبعد أن يكون من يعنى به رهط صغير منها جاور اليمن ، أو تكون هذيل اليمن ، فقد كانت ثمة قبيلة يمنية تحمل هذا الاسم .

على أية حال فإن هذه الظاهرة قد ظهرت في قراءة عبد الله (٢) «إنا أنطيناك في موضع (٣) «إنا أعطيناك» وفي قراءته (٤) «وأنطاهم تقواهم» يريد «وأعطاهم في موضع (٥) «وأتاهم تقواهم» .

ومما عرف من إبدال هذيل ما ذكره ابن دريد من أن هذيلًا تبدل الواو المكسورة التي في أول الكلمة همزة ، فتقول (٦) : إشاح في معنى وشاح ، وتقول في وفادة (٧) : إفادة ، وفي وسادة : إسادة ، وقد قرر أبو حيان (٨)

-
- ١ - أحمد كمال زكي : شعر الهذليين ص ٣٠١ ، ص ٣٠٢ .
 - ٢ - أبو حيان : البحر المحيط ج ٨ ص ٥١٩ .
 - ٣ - سورة الكوثر : آية (١) .
 - ٤ - ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ١٤١ .
 - ٥ - سورة محمد : آية (٧) .
 - ٦ - ابن دريد : جمهرة اللغة ج ٢ مادة حشو ص ١٦١ .
 - ابن السكيت : كتاب الإبدال : باب الهمزة والواو ص ١٣٨ ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية سنة ١٩٧٨ م .
 - ٧ - انظر حاشية الصيان على الأشموني ج ٤ ص ٢٢٢ مطبعة مصطفى محمد ، وانظر ابن جني : سر صناعة الاعراب ص ١٠٤ .
 - ٨ - أبو حيان : البحر المحيط : سورة يوسف آية ٧٦ ج ٥ ص ٣٣٢ .

أن ذلك مطرد في لغة هذيل ، غير أن إشاح (١) لم ترد في شعرهم ، ولا يعثر عليها في شيء منه .

وقد نسب صاحب اللسان هذه الظاهرة إلى بني تميم فقال (٢) : «الوقط والوقيطة حفرة في غلط أو جبل يجتمع فيه ماء السماء والجمع وقطان ووقاط وإقاط ، والهمزة بدل الواو ، ولغة تميم في جمعه إقاط مثل إشاح ، يصيرون كل واو تجيء على هذا المثال ألفا .

كذلك لم أقف على هذه الظاهرة في قراءات عبد الله ، ولا سبيل إلى التوفيق بين كل ما ذكرناه إلا أن نقول : إن هذه الظاهرة إن صحت نسبتها إلى هذيل فإن هذيل المعنية ليست الأصيلة ، ولكنها اللصيقة التي ذكروا أنها كانت في اليمن .

وتجمع العرب كل اسم على وزن فعلة المعتلة العين جمعا مؤنثا سالماً إذا كان مفتوح الفاء ، وعينه واو ساكنة أو ياء ساكنة كجوزة وبيضة على فعلات كجوزات ، وبيضات بإسكان العين بعد الفاء المفتوحة ، قال تعالى (٣) «في روضات الجنات» ، ولكن (٤) هذيلاً تفتح عين جوزات ، وبيضات ونحوهما . ومن ذلك قراءة بعضهم (٥) «ثلاث عورات لكم» بفتح الواو ، وجاء على هذا قول الهذلي :

١ - أحمد كمال زكي : شعر الهذليين ص ٣٠٢ .

٢ - ابن منظور : لسان العرب ج ٩ ص ٣١٢ .

٣ - سورة الشورى : آية ٢٢ .

٤ - ابن عقيل : المساعد على تسهيل الفوائد ج ١ ص ٦٩ .

٥ - ابن هشام : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ج ٣ ص ٢٥٣ .

٥ - سورة النور : آية ٥٨ ...

أخو بيضات رائح متأوب رفيق بمسح المنكبين سبوح
ولو كانت فعلة المعتلة العين صفة نحو جونة وغيلة ، فقد قال النحاة إن
هذيلاً جرت مع سائر العرب على القياس في تسكين العين .

وقد استقصيت البحث في كتب التفسير والقراءات فلم أعر على قراءة
تم عن نسبة هذه الظاهرة إلى هذيل ، كما أن نسبة (١) الشاهد الذي نسبوه إلى
شاعر هذلي ، ولم يعينوه غير صحيحة ، فهو غير موجود في أشعار الهذليين ،
كذلك لم أعر على قراءة لابن مسعود تقوم عليها ، وكنت أتوقع أن يسمح
الدرس اللغوي له أن يقرأ «عورات» ، و «روضات» بفتح الواو جرياً على
ما قيل من أن ذلك لسان هذيل ، مما جعل شيئاً يحيك في صدرى حتى وقعت
على رأى لابن خالويه نسب فيه هذه الظاهرة إلى تميم ، فغلب عندى ، قال
بعد أن أورد قراءة عورات بفتح الواو (٢) «سمعت ابن الأنباري يقول : قرأ
به الأعمش ، وسمعت ابن مجاهد يقول : هو لحن ، فإن جعله لحناً وخطأً من
قبل الرواية ، وإلا فله مذهبه في العربية ، بنو تميم تقول : روضات ،
وجوزات ، وعورات ، وسائر العرب بالإسكان ، وهو الاختيار لثلاث تنقلب
الواو ألفاً لتحركها ، وانفتاح ما قبلها .

وقد عرفت هذيل كسر حرف المضارعة ، قال أبو جعفر الطوسي (٣) :
«إن كسر حرف المضارعة لغة هذيل» ومع هذا لم يظهر في قراءات عبد الله ،
كذلك استعملت هذيل الكسر حيث تستعمل لهجات أخرى الضم ، يقول (٤)

١ - انظر محمد محيى الدين عبد الحميد : هداية السالك إلى تحقيق أوضح المسالك ج ٣ ص ٢٥٣
مطبعة السعادة .

٢ - ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ١٠٣ .

٣ - أبو حيان : البحر المحيط : ج ١ ص ٢٤ .

٤ - الفراء : معاني القرآن ج ١ ص ١٧٤ .

الفراء : «فأما الضم فكثير ، وأما الكسر فلهذيل ، وقرأ عبد الله(١) :
«فصرهن» بكسر الصاد في(٢) «فصرهن إليك» بضم الصاد.

كما أن المشهور في «نعمنا» كسر النون وإسكان العين ، ولكن(٣) هذيل
تحرك العين ، وتتبع حركة النون بحركتها ، وهذا وجه قراءة الجمهور قوله
تعالى(٤) : «إن الله نعمنا يعظكم به» ولم يرد عن عبد الله ما يخالفها .

ولكن لهجة هذيل لم تخل من الضم ، فعند بناء الفعل الثلاثي المعتل العين نحو
قال وباع للمجهول ، يقال : قيل وبيع بإخلاص الكسر ، ولكن هذيل(٥)
تشارك بني دبير ، وبني فقمس ، وهما من فصحاء بني أسد في إخلاص ضم
ما قبل العين ، وقلب العين واوا ، يقولون : قول ، بوع .

وتقول العرب في جمع «الذي» الذين مطلقا ، فيكون بالياء رفعاً ، ونصبها
وجرا ، أما هذيل(٦) فلغتها «النون» رفعاً ، أى يكون بالواو رفعاً ، وبالياء
جرا ونصبها .

والأمر نفسه في اللاتين : فبعض هذيل(٧) يقولون اللاعون في الرفع ،
واللاتين في النصب والجرا .

وربما كانت نسبة(٨) هذه الظاهرة لعقيل أدق أو أرجح لأنها من القبائل

١ - ابن منظور : «لسان العرب» ج ٦ ص ١٤٩ .

٢ - سورة البقرة : آية ٢٦٠ .

٣ - أبو حيان : البحر المحيط ج ٢ ص ٣٢٤ .

٤ - سورة النساء : آية ٥٨ .

٥ - راجع شرح ابن عقيل وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد ج ١ ص ٤٤٤ - ٤٤٦ .

- ابن هشام : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ج ١ ص ٣٨٥ .

- أبو حيان : البحر المحيط ج ١ ص ٦١ .

٦ - ابن عقيل : المساعد على تسهيل الفوائد ج ١ ص ١٤٢ .

٧ - ابن عقيل : المساعد على تسهيل الفوائد ج ١ ص ١٤٤ .

٨ - إبراهيم أنيس : في اللهجات المربية ص ٩٣ .

البعيدة عن البيئة الحجازية ، فهي أقرب إلى التأثير بلهجة تميم ومن على شاكلتهم
ممن كانوا يميلون إلى الضم .

وعرف عن هذيل أنها قلب (١) ألف المقصور ياء وتدغمها في ياء المتكلم ،
وتفتح ياء المتكلم ، فتقول عصي في عصاي ، وفي فتى في فتى ، وهوى في
هوى ، ويستشهدون على ذلك بقول أبي ذؤيب (٢) .

سبقوا هوى وأعتقوا لهواهم فتخرموا وكل جنب مصرع

وقال أبو حيان (٣) في تفسير قوله تعالى «فمن تبع هداى فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون» قرأ عاصم الجحدري ، وعبد الله بن أبي إسحاق ، وعيسى بن
أبي عمر : «هدى» بقلب الألف ياء ، وإدغامها في ياء المتكلم إذ لم يكن كسر
ما قبل الياء ، لأنه حرف لا يقبل الحركة ، وهي لغة هذيل .

والأمر من خلال الدرس اللغوى الحديث لا يعلم أن قبيلة هذيل (٤)
التزمت الطور الأول لصوت اللين المركب ولم يتطور فيها .

وكان عبد الله يحمل الألفاظ على دلالتها في لغة هذيل ، ففي قوله تعالى :
«أو (٦) لامستم النساء» قال (٥) : اللمس ما دون الجماع ، والقبلة منه ، وفيها
الوضوء ، وفي قول هو الغمز ، وهذيل تقول : اللمس باليد .

-
- ١ - شرح ابن عقيل ج ٢ ص ٩٠ مطبعة السعادة الطبعة ١٤ سنة ١٩٦٥ .
 - ابن منظور : لسان العرب مادة هوا
 - ٢ - السكرى : شرح أشعار الهذليين ج ١ ص ٧ .
 - الديوان : ج ١ ص ٢ .
 - ٣ - أبو حيان : البحر المحيط : ج ١ ص ١٦٩ .
 - ٤ - انظر الأدوار التي مر بها صوت اللين المركب . الدكتور إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية
ص ١٤٣ ، ١٤٤ .
 - ٥ - سورة النساء : آية ٤٣ .
 - ٦ - السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٢ ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

ولعل سائلا يسأل عن السبب في أن بعض الظواهر اللغوية التي عرفت بها هذيل قد ظهرت في قراءة عبد الله في حين أن بعضها الآخر لم يرد فيما نسب إليه من قراءات .

الواقع أن هذا الملحظ يؤكد حقيقة نود لها أن تقر في النفوس ، وهي أن أحدا من الصحابة الذين اشتهروا بالإقراء لم يكن حرا في أن يقرأ القرآن بلغته أو بغيرها ، وإنما مدار الأمر هو السماع (١) من النبي صلى الله عليه وسلم ، والأمر يحتمل أن غلبة الظاهرة ، وتفشيها في هذيل بعامة ، إنما يعنى أن عبد الله قرأ بها ، ويترتب على ذلك ما نذهب إليه من أن نشأة القراءات ترجع إلى اللهجات أو اللغات التي نزل بها القرآن وليس إلى لغات القبائل دون ما قيد أو ضابط .

ثانيا : لغة الحجاز :

هناك خصائص غالبة على لغة الحجاز تكاد تسلك قبائله على تفاوت بينها ، وليس من قصدي أن أحصر هذه الخصائص هنا ، ولكني أود أن أعرض لجانب منها يمكن تتبعه في قراءات عبد الله لنرى الروافد التي امتدت بينه وبين بيئته ، ومدى تمثله للغتها ، وتمثيله لها ، ذكر النحاة أن إعمال «ما» عمل «ليس» طجة الحجاز ، وأن إهمالها طجة تميم ، يقول سيبويه (٢) : «هذا باب ما أجري

١ - ابن حجر المسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ٩ ص ٢٢ المطبعة البهية سنة ١٣٤٨ هـ .

- راجع بحثا وافيا عن نزول القرآن على سبعة أحرف في كتابنا : الاتجاهات الفكرية في التفسير ص ٢٨ - ٤٥ الطبعة الثانية سنة ١٩٧٥ .

٢ . سيبويه : الكتاب ج ١ ص ٢٨ الطبعة الأولى - مطبعة بولاق سنة ١٣١٦ هـ .

- يوضح ابن الأنباري وجه الشبه بين ما وليس في لغة أهل الحجاز . فيقول إن وجه الشبه بينهما من وجهين : أحدهما أن «ما» تنفي الحال كما أن «ليس» تنفي الحال ، والوجه الثاني أن ما تدخل على المبتدأ والخبر كما أن «ليس» تدخل على المبتدأ والخبر . ويقوى هذه المشابهة بينهما دخول الباء في خبرها كما تدخل في خبر «ليس» «أسرار العريضة» ص ١٤٣ .

مجرى ليس فى بعض المواضع بلغة أهل الحجاز ، ثم يصير إلى أصله ، وذلك الحرف «ما» تقول : ما عبد الله أخاك ، وما زيد منطلقا ، وأما بنو تميم فيجرونها مجرى أما وهل ، وهو القياس لأنها ليست بفعل ، وليس ما كليس ولا يكون فيها إضمار ، وأما أهل الحجاز فيشبهونها بليس إذ كان معناها كعناها .

وقد أوضح ابن جنى علة إعمال ما عند الحجازيين ، وإهمالها عند التميميين فى قوله : فكأن (١) أهل الحجاز لما رأوها داخلة على المبتدأ والخبر دخول ليس عليها ، ونافية للحال نفيها إياها ، أجروها فى الرفع والنصب مجراها إذا اجتمع فيها الشبهان بها ، وكأن بنى تميم لما رأوها جرفا داخلا بمعناه على الجملة المستقلة بنفسها ، ومباشرة لكل واحد من جزأيا كقولك ما زيد أخوك وما قام زيد ، أجروها مجرى هل ، ألا تراها داخلة على الجملة لمعنى النفي دخول «هل» عليها للاستفهام ، ولذلك كانت عند سيبويه لغة التميميين أقوى قياساً من لغة الحجاز ..

ولكن العرب قد تنطق (٢) بما يخالف القياس الذى يقول به النحويون ولم يهتم هؤلاء بالخطأ ، وقد كثر استعمال اللغة الحجازية فى «ما» وجاء ذلك فى القرآن ، قال تعالى (٣) «ما هذا بشراً» ، لكن الزمخشري يقول (٤) «إن إعمال ما عمل ليس هى اللغة القدى الحجازية ، وبها ورد القرآن ، ومنها قوله تعالى (٥) «ماهن أمهاتهم» ، ويعلق أبو حيان على ذلك بقوله :

١ - ابن جنى : الخصائص ج ١ ص ١٦٧ .

٢ - الدكتور عبد العزيز برهام : الخطام المتناثر فى تضاعيف اللغة العربية ص ٥ .

٣ - سورة يوسف : آية ٣١ .

٤ - الزمخشري : الكشاف ج ٢ ص ٤٦٦ .

٥ - سورة المجادلة : آية ٢ .

(١) «ولما قال القدي لأن الكثير في لغة الحجاز إنما هو جرح الخبز بالياء فتقول ما زيد بقائم ، وعليه أكثر ما جاء في القرآن ، وأما نصب الخبر فمن لغة أهل الحجاز القديمة» .

ويقول الفراء (٢) : «لا يكاد أهل الحجاز ينطقون إلا بالياء ، فلما غلب على أهل الحجاز النطق بالياء ، قال الزمخشري : اللغة القدي الحجازية .
هذا ، وقد جاءت قراءة عبد الله بن مسعود باللغة الحجازية الحديثة ، فقرأ :
(٣) «ما هن بأمهاتهم» في موضع (٤) «ما هن أمهاتهم» .

فإن قيل (٥) : فلم دخلت الباء في خبرها نحو «ما زيد بقائم» قيل لوجهين ، أحدهما أنها أدخلت توكيدا للنفي ، والثاني أن يقلر أنها جواب لمن قال : «إن زيدا لقائم» فأدخلت الباء في خبرها لتكون بإزاء اللام في خبر إن .

ومن خصائص لغة أهل الحجاز الفلك (٦) أو الإظهار ، فقد كان (٧) الحجازيون يعترضون من تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض ؛ وهذا لا يتأتى إلا بمراعاة الدقة في النطق والتأني والتؤدة في الأداء بحيث يظهرون كل صوت ، ويعطونه حقه من جهر وهمس ، أو شدة ورخاوة .

-
- ١ - أبو حيان : البحر المحيط ج ٥ ص ٣٠٤ .
 - راجع شرح ابن عقيل ج ١ ص ٢٠٣ .
 - القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٩ ص ١٨١ .
 - ٢ - الفراء : معاني القرآن ج ٢ ص ٤٢ .
 - ٣ - الزمخشري : الكشاف ج ٤ ص ٤٨٥ .
 - ٤ - سورة المجادلة : آية ٢ .
 - ٥ - ابن الأنباري : أسرار العربية ص ١٤٥٠ مطبعة الترقى بدمشق سنة ١٩٥٧ .
 - ٦ - شرح ابن عقيل ج ٢ ص ٥٩١ ط ١٤ مطبعة السعادة .
 - ابن هشام : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ج ٣ ص ٣٥٠ .
 - ٧ - إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية ص ٧٥ .

وهم عند اتصال الفعل المضعف بضمير الرفع «نون النسوة» ، أو نا الدالة على المتكلمين ، أو تاء الفاعل» يفكون(١) فيقولون : رددن ، يرددن ، . ارددن ، رددنا ، رددت ، كما أنهم(٢) يفكون آخر الفعل المضعف المحزوم ، فيقولون لم يردد ، لأن الجزم(٣) يترتب عليه نقل النبر من موضعه إلى المقطع الذى قبله ، فعندما نقول «يكتب» يحدث النبر على المقطع «ت» . لكن عندما نقول «لم يكتب» يقع النبر على المقطع «يك» ، ومن هذا نجد أن الحجازيين يفكون الإدغام ليجمعوا بين أمرين : نقل النبر إلى الورا بسبب الجزم ، وإظهار تضعيف الفعل ، وعلى ذلك جاء قوله تعالى (٤) : «ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة» ، كذلك يفكون آخر الفعل الذى حكه البناء على السكون فيقولون اردد ، وفى رأى سيبويه(٥) أن الفلك هو اللغة العربية القديمة الجيدة . وفى وسعنا أن نتبع هذه الظاهرة فى قراءات عبد الله فقد كان يظهر ، ومن قراءاته :

• «أعدت للكافرين»(٦) فى موضع «أعدت للكافرين»(٧) .

-
- ١ - سيبويه : الكتاب ج ٢ ص ٤٢٤ الطبعة الأولى - مطبعة بولاق .
 - ابن جنى : الخصائص ج ١ ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .
 - ابن هشام : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ج ٣ ص ٣٥١ .
 - ٢ - الاسترأبادى : شرح شاقية ابن الحاجب ج ٣ ص ٢٤٦ حيث قال : لغة أهل الحجاز فيه ترك الإدغام .
 - ٣ - إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية ص ١٥٠ .
 - ٤ - سورة البقرة : آية ٢١٧ .
 - ٥ - سيبويه : الكتاب ج ٢ ص ٤٢٤ .
 - ٦ - ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٤ المطبعة الرسنانية بمصر سنة ١٩٣٤ .
 - ٧ - سورة البقرة : آية ٤ .

- «فتدارأتم فيها» (١) على الأصل في موضع «فادرأتم فيها» (٢) .
- «ولا يضارر» (٣) بالفك وفتح الراء الأولى في موضع «ولا يضار» (٤) .
- وأنخذ أصحابه عنه قراءتهم «يبشر» (٥) بالتخفيف على وزن ينصر في قوله تعالى «إن الله يبشرك» (٦) .
- «إلا أن تتصدقوا» (٧) في موضع «إلا أن يصدقوا» (٨) .
- «مكلبين» (٩) بالتخفيف في موضع «مكلبين» (١٠) .
- «كأنما يتصعد في السماء» (١١) في موضع «كأنما يصعد» (١٢) .
- وقرأ عبد الله (١٣) «جدث» في قوله تعالى (١٤) «من كل حذب ينسلون» قال (١٥) أبو الفتح هو القبر بلغة أهل الحجاز .

-
- ١ - ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٨
 - ٢ - سورة البقرة : آية ٧٢ .
 - ٣ - أبو حبان : البحر المحيط ج ٢ ص ٣٥٣ .
 - ٤ - سورة البقرة : آية ٢٨٢ .
 - ٥ - الفراء : معاني القرآن ج ١ ص ٢٢٢ .
 - ٦ - سورة آل عمران : آية ٣٩ .
 - ٧ - ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٢٨ .
 - ٨ - سورة النساء : آية ٩٢ .
 - ٩ - ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٣١ .
 - ١٠ - سورة المائدة : آية ٤ .
 - ١١ - ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٤٢ .
 - الزمخشري : الكشاف ج ٢ ص ٦٤ .
 - أبو حيان : البحر المحيط ج ٤ ص ٢١٨ .
 - ١٢ - سورة الأنعام : آية ١٢٥ .
 - ١٣ - ابن جني : المحتسب ج ٢ ص ٦٦ .
 - ١٤ - سورة الأنبياء : آية ٩٦ .
 - ١٥ - ابن جني : المحتسب ج ٢ ص ٦٦ .
 - راجع قول الراغب «الحذب هو ما ارتفع من ظهر الأرض»
 - مفردات ألفاظ القرآن ص ١٠٨ مطبعة التقدم العربي .
 - وراجع قوله تعالى : «فلذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون» سورة يس آية ٥١ .

ومن خصائص اللغة الحجازية الميل (١) إلى الفتح في حين أن الإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس، وقد قيل إن الأصل هو الفتح، ولذلك فإن من فتح فإنه راعى كون الفتح أمناً أو الأصل، وقد وضحت هذه الظاهرة في بعض قراءات عبد الله :

- فقرأ «يطهرن» (٢) بالتخفيف، وفتح الهاء في «يطهرن» (٣).
- وقرأ «مجرها ومرساها» (٤) بفتح الميمين في «مجرها ومرساها» (٥).
- وقرأ «السقاية» (٦) بتضعيف السين وفتحها في «جعل السقاية في رجل أخيه» (٧).

- وقرأ «عتيا» (٨) بفتح العين في «وقد بلغت من الكبر عتيا» (٩).
- وقرأ «صليا» (١٠) بفتح الصاد في «أولى بها صليا» (١١).
- وقال (١٢) ابن مجاهد : لا أعرف لهما في العربية أصلاً.

-
- ١ — أبو حيان : البحر المحيط ج ٥ ص ١١٥ ، ج ٨ ص ١١ .
 - ابن الجزرى : النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٢٩ ، ٣٥ .
 - السيوطى : الإتيان في علوم القرآن ج ١ ص ٩١ .
 - ٢ — الزمخشري : الكشاف ج ١ ص ٢٦٥ .
 - ٣ — سورة البقرة : آية ٢٢٢ .
 - ٤ — أبو حيان : البحر المحيط ج ٥ ص ٢٢٥ .
 - ٥ — سورة هود : آية ٤١ .
 - ٦ — الفراء : معاني القرآن ج ٢ ص ٥٠ .
 - ٧ — سورة يوسف : آية ٧٠ .
 - ٨ — الزمخشري : الكشاف ج ٣ ص ٦ .
 - ٩ — سورة مريم : آية ٨ .
 - ١٠ — ابن جنى : المحتسب ج ٢ ص ٣٩ .
 - ١١ — سورة مريم : آية ٧٠ .
 - ١٢ — ابن جنى : المحتسب ج ٢ ص ٣٩ .

وقال أبو الفتح : لا وجه لإنكار ابن مجاهد ذلك لأن له في العربية أصلاً
ماضياً ، وهو ما جاء من المصادر على فعيل نحو الحويل والزويل .

— وقرأ «من خلاله» (١) بفتح الحاء في «فترى الودق يخرج من خلاله» (٢)
— وقرأ «ونسقيه» (٣) بفتح النون في «ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسي
كثيراً» (٤) .

وكان تخفيف الهذرة (٥) لغة قريش وأكثر أهل الحجاز ، ذلك لأنها
مالت إلى التسهيل (٦) في اللهجات الحضرية ، وقد وضحت هذه الظاهرة في
قراءات عبد الله ، فقد قرأ :

— الكبرياء (٧) في «وتكون» (٨) لكما الكبرياء .

— التائبين (٩) في «التائبون» (١٠) .

— قرات أعين (١١) — بغير همز في أعين — في (١٢) «قرة أعين» .

-
- ١ — ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ١٠٢ .
 - ٢ — سورة النور : آية ٤٣ .
 - ٣ — ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ١٠٥ .
 - ٤ — سورة الفرقان : آية ٤٩ .
 - ٥ — ابن الجزري : النشر في القراءات العشر ج ١ ص ٤٢٨ ، ٤٢٩ طبعة التجارية سنة ١٩٦٢ م .
 - راجع السيوطي : الإتيقان في علوم القرآن ج ١ ص ٢٨ الطبعة الثانية .
 - ٦ — إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية ص ١١٢ .
 - ٧ — ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٥٨ .
 - ٨ — سورة يونس : آية ٧٨ .
 - ٩ — ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٥٥ .
 - ١٠ — سورة التوبة : آية ١١٢ .
 - ١١ — ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ١٠٥ .
 - ١٢ — سورة الفرقان : آية ٧٤ .

— يخرج الحب (١) ، على تخفيف الهمزة بالحذف ، والحباء على تخفيفها بالقلب في «ألا» (٢) يسجلوا لله الذي يخرج الحبء في السموات والأرض .
— إلا الخاطون (٣) ، بغير همز ، فحذف الهمزة ، وضم ما قبلها ليناسب الواو في (٤) «إلا الخاطون» .

ويمكننا أن نلفت إلى أن تخفيف الهمز (٥) يرد بكثرة في القراءات التي تنهى طرقها إلى أهل الحجاز ، وتلك التي ترجع إلى عبد الله بن مسعود .
ويقول أهل الحجاز (٦) ظل ظلمت بكسر اللام الأولى ، ثم يحذفونها ويكسرون الظاء على كسرتها فيقولون ظلت ، وظلنا ، وظلمت ، وقرأ عبد الله (٧) «الذي ظلت عليه عاكفا في موضع» (٨) «الذي ظلت عليه عاكفا» .
وقرأ «فشرذ بهم من خلفهم» (٩) بالذال في موضع «فشرذ بهم من خلفهم» (١٠) .

-
- ١ — الزمخشري : الكشاف ج ٣ ص ٣٦٢ .
 - ٢ — سورة النمل : آية ٢٥ .
يخرج الحبء : يقال ذلك لكل مدخر مستور .
الراغب : مفردات ألفاظ القرآن ص ١٤١ مطبعة التقدم العربي سنة ١٩٧٢ م .
 - ٣ — ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ١٦١ .
 - ٤ — سورة الحاقة : آية ٣٧ .
 - ٥ — يقول ابن الجزري : «كانت قريش وأهل الحجاز أكثرهم لتخفيفا» ، ولذلك أكثر ما يرد تخفيفه من طرقهم ... وكذلك حاصم من رواية الأعمش عن أبي بكر بن حيث أن روايته ترجع إلى ابن مسعود . النشر في القراءات العشر ج ١ ص ٤٢٨ ، ٤٢٩ .
 - ٦ — ابن منظور : لسان العرب ج ١٣ ص ٤٤١ .
— راجع شرح ابن عقيل ج ٢ ص ٥٨٤ .
 - ٧ — ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٨٩ .
 - ٨ — سورة طه : آية ٩٧ .
 - ٩ — ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٥٠ .
 - ١٠ — سورة الأنفال : آية ٥٧ .

وقرأ «فهل من مذكر» (١) بالذال المعجمة في موضع «فهل من مذكر» (٢) والذال من الحروف الرخوة ، والذال من الحروف الشديدة ، ولذلك فإن النطق بالذال ينسب إلى البيئة الحجازية التي يميل أهلها إلى استخدام الأصوات الرخوة ، أما النطق بالذال فيناسب أحوال البدو الذين يميلون إلى استخدام الحروف الشديدة .

ويمكن تعليل قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم «فهل من مذكر» (٣) بأنها لغة الأنحوال بنى سعد .

ويفرق القراء بين الفرع والأصل في اللغتين فيقول (٤) : و«مذكر» في الأصل مذكر على مفتعل ، فصيرت الذال وتاء الأفعال دالا مشددة . قال : وبعض بنى أسد يقول «مذكر» فيقبلون الذال فتصير ذالا مشددة .

ويرى إبراهيم أنيس (٥) أن نسبة «مذكر» بالذال لبنى أسد من الأمور التي يصعب تعليلها لأن الذال من الحروف الرخوة ، وأسد من القبائل البدوية التي تؤثر الأصوات الشديدة .

وقرأ عبد الله بالظاء (٦) في موضع الضاد في قوله تعالى (٧) «وما هو على الغيب بضنين» . وقد اختلف الرواة في نسبة الصيغتين . قال القراء (٨) :

١ - ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ١٤٨ .

٢ - سورة القمر : آية ١٥ .

٣ - البخارى : الجامع الصحيح ج ٦ كتاب التفسير ص ١٧٨ .

٤ - وانظر السيوطى : الاتقان في علوم القرآن ج ١ ص ٩٣ .

٥ - لسان العرب ج ٥ ص ٣٧٦ .

٥ - إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية ص ١٠٢ .

٦ . الزغشري : الكشف ج ٤ ص ٧١٣ .

٧ - سورة عبس : آية ٢٤ .

٨ - انظر لسان العرب : مادة فيض ج ٩ ص ٧٧ .

أهل الحجاز وطىء يقولون : فاظت نفسه ، وقضاة وتميم وقيس يقولون :
فاضت نفسه . مثل فاضت دمعته ، وقال أبو زيد ، وأبو عبيدة : فاظت نفسه
بالظاء ، لغة قيس ، وبالصاد لغة تميم ، وروى المازني عن أبي زيد أن العرب
تقول فاظت نفسه بالظاء إلا بني ضبة فإنهم يقولون بالصاد ، وقد ناقش
إبراهيم أنيس هذه الروايات ، وخلص إلى أن الصاد تنتمي إلى بيئة تميم
البلوية ، وأن الظاء تنتمي لبعض من قريش ممن تأثروا بالبيئة الحجازية ،
أو لأهل الحجاز أنفسهم كما يقول الفراء ، أى أن رواية أبي زيد هي أقرب
الروايات إلى الصحة .

وعلى ذلك فإننا نستطيع أن نقول إن قراءة عبد الله بالظاء ، وهو صوت
رنخو في موضع الصاد ، وهو صوت شديد ، يكشف عن تأثره ببيئة الحجاز
المتحضرة التي تميل إلى استخدام الأصوات الرنخوة التي تتفق مع بيئتهم بما
فيها من ليونة .

اللغة المشتركة :

رأينا أن عبد الله لم يحصر نفسه في لغة هذيل ، وإنما مد سمعه إلى بيئته .
وأخذ يقف على ظواهرها اللغوية ، ولكنه في أحيان كثيرة كان يخالف
عنها ، ويخرج عليها ، مما يحملنا على التسليم برفض الاعتماد على بيئة القارىء في
تحديد اللهجة التي تصورها قراءته .

والواقع أن اللغة الأدبية التي اتخذت أداة للتعبير لم تنحصر في لهجة بعينها .
وكان شأن عبد الله بن مسعود شأن الشعراء في الجاهلية وصدر الإسلام ، فقد
جمعهم هذه اللغة الأدبية الواحدة على ما بينهم من فوارق في النسب والبيئة .
وقد قوى نفوذ هذه اللغة بنزول القرآن بها ، وربما كان ذلك سببا في أن
ظهرت في قراءات عبد الله لهجات عدة لقبائل مختلفة ، وربما كان تصدى

عبد الله لإقراء القرآن وبيانه سببا في أنه ألم بكثير من ظواهرها ،
واصطنعها في تعليمه ، وقد علل ابن جني ظهور لهجات مغايرة
للغة قبيلة العربي ولغة بيته . فقال (١) : إن صاحب لغة قد راعى لغة
غيره ، ذلك لأن العرب وإن كانوا كثيرا منتشرين ، وخلقا عظيما في أرض
الله غير متحجرين ، ولا متضاغطين ، فإنهم بتجاورهم ، وتلاقيهم ، وتزاورهم
يجرون مجرى الجماعة في دار واحدة ، فبعضهم يلاحظ صاحبه ، ويراعى
أمر لغته كما يراعى ذلك من مهم أمره ، فهذا هذا .

وفما يلي قراءات نسبت إلى عبد الله ، ولكنها ليست من لهجة هذيل كما
أنها ليست من لهجة الحجاز بعامة مما يشير إلى أنه جمع أكثر من لهجة .

ظواهر صوتية :

قرأ «بل أ أدرك» (٢) بهمزتين في موضع «بل ادارك علمهم في الآخرة» (٣)
وقرأ «ولا تأموا» (٤) في موضع «ولا تيمموا الحبيث منه» (٥) وتحقيق
الهمزة (٦) لهجة تميم وقيس وبنى أسد ومن جاورها .
وقرأ «ما هذا بشر» (٧) بالرفع ، و«ما هذا بشرى» (٨) بالرفع أيضا في

١ - ابن جني : الخصائص ج ٢ ص ١٥ ، ١٦ .

٢ - ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ١١ .

٣ - سورة النمل : آية ٦٦ .

٤ - الزمخشري : الكشاف ج ١ ص ٣١٤ .

٥ - سورة البقرة : آية ٢٦٧ .

٦ - ابن يثيش : شرح المفصل ج ٩ ص ١٠٧ إدارة الطباعة المنيرية .

٧ - أبو حيان : البحر المحيط ج ٥ ص ٣٠٤ .

٨ - ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٦٣ .

موضع «ما هذا بشرأ» (١) .

ومن قرأ (٢) على سليقته من بنى تميم قرأ بشر بالرفع ، وذلك لأن «ما»
في (٣) لهجتهم لا تعمل شيئاً .

وقد أ «إني» (٤) أراني أعصر عنباً في موضع «إني» (٥) أراني أعصر خمرأ

وقيل (٦) : إن ذلك من لغة أهل عمان ، ولأنهم يسمون العنب خمرأ .

وقرأ طه (٧) بالإمالة (٨) فيكسر الطاء والهاء ، وقد روى ابن الجزري (٩)
في حديث ما يفيد أن عبد الله كان يقرئ الناس بذلك . قال زر بن حبیش :

-
- ١ - سورة يوسف : آية ٣١ .
 - ٢ - الزمخشري : الكشاف ج ٢ ص ٤٦٦ .
 - ٣ - سيبويه : الكتاب ج ١ ص ٢٨ .
 - راجع قول ابن عقيل ألحق الحجازيون بليس ما النافية ، فيرفعون بها المبتدأ ، وينصبون
بها الخبر ومنه قوله تعالى «ما هذا بشرأ» وغير الحجازيين لا يملأها المساعد على تسهيل
الفوائد ج ١ ص ٢٧٧ .
 - ٤ - الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٢ ص ٢١٥ .
 - الزمخشري : الكشاف ج ٢ ص ٤٦٨ .
 - ٥ - سورة يوسف : آية ٣٦ .
 - ٦ - الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٢ ص ٢١٥ .
 - الزمخشري : الكشاف ج ٢ ص ٤٦٨ .
 - السيوطي : الإتيقان في علوم القرآن ج ١ ص ١٣٤ الطبعة الثانية .
 - وقد حكاهما أبو حنيفة وزعم أنها لغة يمانية : الزبيدي : تاج العروس مادة عنب ج ١
ص ٤٠٠ .
 - ٧ - سورة طه : آية ١ .
 - ٨ - الفراء : معاني القرآن ج ٢ ص ١٨٤ .
 - ٩ - السيوطي : الإتيقان في علوم القرآن ج ١ ص ٩٠ .

قرأ رجل على عبد الله بن مسعود طه ولم يكسر ، فقال عبد الله : طه ، وكسر الطاء والهاء ، فقال الرجل طه ، ولم يكسر ، فقال عبد الله : طه ، وكسر ، ثم قال : والله هكذا علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكانت الإمامة (١) لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس .

يقول إبراهيم أنيس (٢) : إن الإمامة تنسب إلى جميع القبائل الذين عاشوا في وسط الجزيرة وشرقها ، وأشهرها : تميم ، وأسد ، وطى ، وبكر بن وائل ، وعبد القيس ، وتغلب .

وقد أوضح ابن الجزرى (٣) أن ميل هذه القبائل إلى الإمامة يرجع إلى سهولة اللفظ ، وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح ، وينحدر بالإمالة ، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع .

وقد لاحظ إبراهيم أنيس تلك العلة فذكر (٤) أن الإمامة إلى الفتح ليس له ما يبرره سوى الاقتصاد في الجهد العضوى والميل إلى السهولة التي يلجأ إليها الإنسان في معظم ظواهره الاجتماعية .

وقرأ «ريون» (٥) بضم الراء في (٦) «وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير» .

-
- ١ - ابن الجزرى : النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٢٩ .
 - السيوطى : الإتيقان في علوم القرآن ج ١ ص ٩١ .
 - ٢ - إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية ص ٦٠ ، ٦٣ الطبعة الرابعة .
 - ٣ - ابن الجزرى : النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٥ .
 - السيوطى : الإتيقان في علوم القرآن ج ١ ص ٩٢ .
 - ٤ - إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية ص ٦٧ .
 - راجع أيضا في هذا الصدد دكتور عبده الراجحي : اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ١٣٤ - ١٤٢ .
 - ٥ - ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٢٢ .
 - وهى قراءة الحسن : الزبيدى : تاج العروس «مادة ريب ج ٢ ص ٢٦٥» .
 - ٦ - سورة آل عمران : آية ١٤٦ .

وقرأ (١) «ولا يجر منكم» بضم الياء في موضع (٢) «ولا يجر منكم» .
 وقرأ (٣) «تنكصون» بضم الكاف في (٤) «فكنتم على أعقابكم تنكصون» .
 وقرأ (٥) «وبجر يمد» بضم الياء وكسر الميم في موضع (٦) «والبحر يمد»
 وقرأ (٧) «ولا تحاضون» بضم التاء في موضع (٨) «ولا تحاضون» .
 والضم ينسب إلى أهل البادية من العالية ونجد وتميم وأسد .
 وقرأ : (٩) «ثم اتختم العجل من بعده» في موضع (١٠) «ثم اتختم العجل
 من بعده» .

وقرأ (١١) «وأختم» في موضع (١٢) «وأختم» .

يقول ابن خالوية «والحجة لمن أظهر أنه أتى بالكلمة على أصلها واغتم
 الثواب على كل حرف منها ، والحجة لمن أدغم أن الظاء والتاء والذال
 مخرجهن من طرف اللسان وأطراف الثنايا العلى فوجب الإدغام لمقاربة المخرج

-
- ١ - الزمخشري : الكشف ج ١ ص ٦٠٢ .
 - ٢ - ابن خالوية : القراءات الشاذة ص ٣١ .
 - ٣ - سورة المائدة : آية ٢ .
 - ٤ - ابن خالوية : القراءات الشاذة ص ٩٩ .
 - ٥ - سورة المؤمنون : آية ٦٦ .
 - ٦ - ابن جني : المختص ب ج ٢ ص ١٦٩ .
 - ٧ - سورة لقمان : آية ٢٧ .
 - ٨ - الزمخشري : الكشف ج ٤ ص ٧٥١ .
 - ٩ - ابن خالوية : القراءات الشاذة ص ١٧٣ .
 - ١٠ - سورة الفجر : آية ١٨ .
 - ١١ - الفراء : معاني القرآن ج ١ ص ١٧٢ .
 - ١٢ - سورة البقرة : آية ٩٢ .
 - ١٣ - الفراء : معاني القرآن ج ٢ ص ٢٨٩ .
 - ١٤ - سورة آل عمران : آية ٨١ .

والمجانسة (١)

وقرأ (٢) «ولا يساءلون» بإدغام التاء في السين في (٣) «فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون» .

وقرأ (٤) «ما يذكر فيه من اذكر» في موضع (٥) «ما يتذكر فيه من تذكر» .

وقرأ (٦) : «وقالوا ساحران اضاهرا» أراد تظاهرا ، ثم أدغم فلحقه ألف الوصل ، في موضع (٧) «قالوا ساحران تظاهرا» .

وقرأ (٨) بإدغام التاء في (٩) «والصافات صفا» فالزاجرات زجرا .
فالتاليات ذكرا .

وقرأ (١٠) «ولاني عتبرني وربكم» في موضع (١١) «ولاني عذت بربي وربكم» .

١ - ابن خالويه : الحجة في القراءات السبع ص ٣ مطبعة دار الشروق سنة ١٩٧١

٢ - الزمخشري : الكشاف ج ٣ ص ١٠١ .

- ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٩٩ .

٣ - سورة المؤمنون : آية ١٠١ .

٤ - أبو حيان : البحر المحيط ج ٧ ص ٣١٦ .

٥ - سورة فاطر : آية ٣٧ .

٦ - ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ١١٣ .

٧ - سورة القصص : آية ٤٨ .

٨ - الفراء : معاني القرآن ج ٢ ص ٣٨٢ .

٩ - سورة الصافات : آيات (١-٣) .

١٠ - الفراء : معاني القرآن ج ١ ص ١٧٢ .

١١ - سورة الدخان : آية ٢٠ .

وقرأ (١) «عم تساءلون» بتاء لا ياء فيها والسين مشددة في موضع (٢)
«عم يتبءلون»

والإدغام أو تأثير الأصوات المتجاورة بعضها ببعض من سمات لغة البدو
لما جرت عليه عاداتهم في السرعة في النطق ، وعدم التأني فيه مما لا يعطى كل
حرف ما يستحقه من تحقيق ، وقد عرفت (٣) تميم به .

والإظهار ضده ، وهو من خصائص لغة الحجازيين بعامة لأناتهم ،
والتزامهم الدقة في النطق ، . وفي رأى الفراء أن البيان (٤) أجود لأن القراءة
بنيت على التفصيل والبيان .

وقد جاء القرآن غالباً (٥) باللهجة الحجازية نحو قوله تعالى :

(٦) «إن تمسكم حسنة تسؤهم» ، «ومن يحلل (٧) عليه غضبي فقد هوى»
(٨) «واغضض من صوتك» و « (٩) ولا تمنن تستكثر» .

-
- ١ - ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ١٦٧ .
 - ٢ - سورة النبأ : آية (١) .
 - ٣ - الكتاب ج ٢ ص ٤٢٤ ، المحتسب ج ١ ص ١٤٨ .
انظر الخصائص ج ١ ص ٢٥٩ ، .
 - ٤ - الفراء : معاني القرآن ج ٢ ص ٢٣٨ .
 - ٥ - إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية ص ٧٣ .
 - ٦ - سورة آل عمران : آية ١٢٠ .
 - ٧ - سورة طه : آية ٨١ .
 - ٨ - سورة لقمان : آية ١٩ .
 - ٩ - سورة المدثر : آية ٦ .

وقد ورد في القرآن على لهجة تميم (١) «من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه» (٢) «ومن يشاق الله» .

ويلحظ أن الأفعال التي وردت مدغمة ، وردت أيضا بلغة الحجازيين قال تعالى (٣) : «ومن يرتد منكم عن دينه» ، وقال (٤) : «ومن يشاق الرسول» ، وقال (٥) : «ومن يشاق الله ورسوله» ، وربما كان هذا سببه .

«أن (٦) ظاهرة الإدغام كانت من الظواهر التي اعترفت بشقيها اللغة النموذجية الأدبية ، ولم تعد بعد أن جاءت في القرآن الكريم من ظواهر اللهجات ، فهي في أصلها من الظواهر التي كانت تفرق بين قبائل وسط الجزيرة وشرقيها وبين البيئة الحجازية ، لكنها صارت فيما بعد صفة من صفات اللغة الأدبية المشتركة بين جميع القبائل» .

وفي وسعنا أن نعلل مسلك ابن مسعود في الخروج على التقاليد الشفوية التي سادت بلاد الحجاز ، واتجاهه إلى القبائل البدوية ، وبخاصة قبيلة تميم ، وتمثله طرائقها في النطق برغبته الدائبة في أن تكون له شخصية متميزة في كلامه تخالف ما جرت عليه أعراف بيئته ، فحرص على أن يقف على ظواهر

١ - سورة المائدة : آية ٥٤ .

٢ - سورة الحشر : آية ٤ .

- راجع شرح ابن عقيل ج ٢ ص ٥٩١ .

٣ - سورة البقرة : آية ٢١٧ .

٤ - سورة النساء : آية ١١٥ .

٥ - سورة الأنفال : آية ١٣ .

٦ - إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية ص ٧٤ .

لغات القبائل الأخرى ، ويوسع لها مكاناً في ثقافته حتى (١) «ليخيل إلينا أنه انتقل
نهائياً إلى مستوى فصاحة الأعراب» .

وقرأ عبد الله (٢) «الرفوث» في موضع (٣) «أحل لكم ليلة الصيام الرفث»
وفي تاج العروس (٤) : الرفث محركة الجماع وغيره... وهو أيضاً الفحش من
القول «كالرفوث» بالضم ، وهذه لغة أهل نجد .

وقد تأثر عبد الله في درسه اللغوي بخواص تميمية أخرى ، فقرأ (٥) «كلمة
«عدل بيننا و بينكم» بكسر الكاف و سكون اللام في « كلمة سواء بيننا
وبينكم» ، والكلمة (٦) لغة تميمية ، والكلمة حجازية ، والجمع في لغة تميم ،
الكلم .

وقرأ (٨) «معيق» في (٩) «من كل فج عميق» ولغة (١٠) أهل الحجاز عميق ،
وبنو تميم يقولون معيق .

-
- ١ - الدكتور عبد الصبور شاهين : تاريخ القرآن ص ١٤٠ .
 - ٢ - الزغشري : الكشف ج ١ ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .
 - ٣ - سورة البقرة : آية ١٨٧ .
 - ٤ - الزبيدي : تاج العروس مادة رفث ج ١ ص ١٢٤ .
 - وراجع : نهاد موسى : في تاريخ العربية ص ٣٧ .
 - ٥ - ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ٢٣ .
 - ٦ - سورة آل عمران : آية ٦٤ .
 - ٧ - ابن منظور : لسان العرب ج ١٥ ص ٤٢٨ .
 - في القاموس المحيط : الكلمة اللفظة والجمع كلم كالكلمة بالكسر والجمع ككسر .
باب الميم فصل الكاف ج ٤ ص ١٧٢ .
 - ٨ - الزغشري : الكشف ج ٣ ص ١٥٢ .
 - أبو حيان : البحر المحيط ج ٦ ص ٣٦٤ .
 - ٩ - سورة الحج : آية ٢٧ .
 - ١٠ - ابن منظور : لسان العرب ج ١٠ ص ٢٧٠ .

وقرأ (١) «إننى برىء مما تعبسون» وقرأ الجمهور (٢) «إننى براء مما تعبسون وبرىء (٣) لغة بنى تميم ، وبرا لغة أهل الحجاز ، وفى الإتحاف (٤) أن برىء بكسر الراء بعدها ياء فهمز لغة نجد ، وتثنى وتجمع وتؤنث .
والدرس اللغوى الحديث يرى أن الأصل ما نطقت به قبائل نجد ، وأن الفرع ما نطق به أهل الحجاز ، كما يرى أن هذا التطور تفسره ظاهرة الانسجام بين الحركات .
يقول إبراهيم أنيس (٥) «فإذا قيل لنا إن الحجازيين كانوا يقولون «برأت من المرض» وسائر العرب يقولون «برئت أمكننا بسهولة أن نتصور أن الأصل هو «برئت» وأن نوعاً من الانسجام بين الحركات قد أدى إلى الصيغة الأخرى «برأت» ..

وكان للفراء مذهب آخر فى التعليل لهذه الصيغة فى الكلمة نجده فى قوله تعقيباً على قراءة عبد الله (٦) ، ولو قرأها قارىء كان صواباً موافقاً لقراءتنا لأن العرب تكتب يستهزىء ، يستهزأ ، فيجعلون الهمزة مكتوبة بالألف فى كل حالاتها .

وقرأ «قشطت» (٧) فى «وإذا السماء كشطت» (٨) ، وتميم تقول (٩) قشطت

-
- ١ - الفراء : معانى القرآن ج ٣ ص ٣٠ .
 - ٢ - سورة الزخرف : آية ٢٦ .
 - ٣ - الزبيدى : تاج العروس ج ١ مادة برا ص ٤٤ ، ٤٥ .
 - ٤ - الإتحاف ص ٣٨٥ .
 - ٥ - إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية ص ٩٧ .
 - ٦ - الفراء : معانى القرآن ج ٣ ص ٣٠ .
 - ٧ - البخارى : الصحيح ج ٧ ص ١٦١ .
 - أبو حيان : البحر المحيطة ج ٨ ص ٤٣٤ .
 - ٨ - سورة التكويد : آية ١١ .
 - ٩ - ابن منظور : لسان العرب ج ٩ ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ مادة كشط .
 - ابن جنى : سر صناعة الإعراب ص ٢٧٨ .
 - ابن السكيت : كتاب الإبدال ص ١١٤ .

بالقاف ، وليست الكاف في هذا بدلا من القاف لأنهما لغتان لأقوام مختلفين
وقرأ «قافورا» (١) بالقاف بدل الكاف في «كان مزاجها كافورا» (٢)
وقد يعارض هذه الظاهرة التيمية ما روى عن عبد الله من قلب القاف كافاً ،
فقد قرأ «فلا تكهر» (٣) في «فأما اليتيم فلا تقهر» (٤) ، وقد ذكر الفراء أنه
سمعها من أعرابي من بني أسد قرأها عليه .

ولا سبيل إلى إزالة هذا التعارض إلا بأحد احتمالين أو بهما معاً . فأما عن
الاحتمال الأول فهو ما نعرفه من الرخصة في قراءة القرآن بالأحرف السبعة
في بدء الدعوة لتيسير قراءته ، والتخفيف عن المسلمين في نطقه . فلما تمت
الوحدة اللغوية في الدولة الإسلامية ، وانتفت الحكمة من ذلك ، عارض جبريل
الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرآن في العام الذي قبض فيه مرتين ، واستقر
القرآن على حرف واحد هو الذي نقرأه به اليوم . ولئن حرق عثمان المصاحف
ما عدا مصحفه فإنه من المحتمل أن تكون هذه القراءات قد ظلت عالقة
بالأذهان من الأحرف الأخرى .

وأما عن الاحتمال الثاني فيقويه ما نعرفه من المهمة التي أرسل من أجلها
عبد الله إلى العراق ، فقد أثر عمر أن يبعث به إلى هناك ليفقه المسلمين أمور
الدين ، ويعلمهم القرآن ، والقبائل العربية التي استقرت في العراق ، كانت

١ - أبو حيان : البحر المحيط ج ٨ ص ٣٩٥ .

- ابن منظور : لسان العرب ج ٧ ص ٣٧٩ .

٢ - سورة الإنسان : آية (٥) .

٣ - الفراء : معاني القرآن ج ٣ ص ٢٧٤ .

- ابن خالويه : القراءات الشاذة ص ١٧٥ .

٤ - سورة الضحى : آية (٧) .

البداوة تغلب عليها ، ولم يكن بد و قد تصدى عبد الله لإقراء هؤلاء القرآن وبياناه
لهم أن يكلمهم بما يعرفون ، وأن يخاطبهم بما جرت عليه عادتهم ، ولا يحتم
عليهم أن يقرأوه بلغته لأن في ذلك عتتا لهم ، وحملهم على مالا يطيقون .
لم لا نقول إن هذه القراءات تمثل نسيجا صوتيا ، وضع كل من قرأ على
عبد الله خيطا فيه ، فهو وإن اشتمل على أكثر من ظاهرة ، فإنما يجمعها أن
الجميع ضمهم الدرس الذى كان عبد الله يقوم به .

الفصل الرابع

ثقافة اهل الكتاب

ربما كان هذا الرافد قليل الشأن . ولكننا لا نستطيع أن نخفل أثره في عبد الله .

وقد هيأت له حياته في المدينة أن يقف على أطراف كثير من هذه الثقافة ، ذلك لأن بيئة المدينة كانت لها سابقة بالدين والتدين ، وكانت التوراة بين أيدي اليهود من أبنائها .

وقد صدق القرآن الكتب السماوية التي سبقتة ، فجوهر العقيدة في جميعها واحد ، وهو مهيمن عليها ، أى أنه يحرس ما جاء فيها ، فيقر أصولها الثابتة ، ويوضح ما استقر من شرائعها ، وما تغير من أحكامها ، ويصحح ما حرف أو بدل منها .

قال تعالى (١) : « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه .

(٢) « وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه » ،

(٣) « والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه » .

وقد صادف ما جاء في التوراة موافقا للقرآن قبولا في نفوس المسلمين ، فلم يخلقوا دونه منافذ الحس منهم ، قال عطاء بن يسار : لقيت (٤) عبد الله بن

١ - سورة المائدة : آية ٤٨ .

٢ - سورة الأنعام : آية ٩٢ .

٣ - سورة فاطر : آية ٣١ .

٤ - ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٢٥٢ ط . التجارية .

- راجع تفسير قوله تعالى : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدهم مكتوباً عندهم في

التوراة ، والإنجيل ... » سورة الأعراف : آية ١٥٧ .

وراجع قوله تعالى : « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً » ...

سورة الأحزاب : آية ٤٥ ، سورة الفتح : آية ٨ .

- انظر شاهداً آخر : البخاري : الجامع الصحيح : ج ٨ كتاب الرقاق ص ١٠٨ طبع الحسيري .

عمرو فقلت : أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة ، قال : أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة كصفته في القرآن : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحزراً للأمينين ، أنت عبدى ورسولى ، اسمك المتوكل ، ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقول : لا إله إلا الله ، ويفتح الله به قلوباً غلقا ، وآذاناً صما ، وأعينا عميا ، قال عطاء : ثم لقيت كعباً فسألته عن ذلك فما اختلف حرفاً ، إلا أن كعباً قال بلغته : قلوباً غلوفيا ، وآذاناً صموميا ، وأعينا عموميا . ولقد وقف عبد الله على هذا المد الثقافى ، وحفلت مروياته بكثير منه ، أخرج (١) ابن أبي شيبة ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبرانى ، والحاكم عن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : إنه لمكتوب في التوراة . لقد أعد الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لم تر عين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب بشر ، ولا يعلم ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، وإنه لى القرآن (٢) «فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين» .

وكانت ملازمة عبد الله للنبي صلى الله عليه وسلم سبيلاً تأتى إليه من خلاله قدر كبير من هذه الثقافة ، فقد كان يشهد في حضرته أخبار اليهود ، وهم يذكرون له بعض ما جاء في كتبهم ، فعرف ذلك منهم ورواه عنهم . أخرج البخارى (٣) ومسلم عن عبد الله أن يهوديا جاء إلى النبي صلى الله

-
- ١ - السيوطى : الدر المشور في التفسير بالمأثور ج ٥ ص ١٧٦ .
 - الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن ج ٢١ ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ .
 - ٢ - سورة السجدة : آية ١٧ .
 - ٣ - البخارى : الجامع الصحيح : ج ٩ كتاب التوحيد ص ١٥٠ ، ١٦٥ ، ١٨١ ط . الشعب .
 - : ج ٦ كتاب التفسير ص ١٥٧ .
 - مسلم : الصحيح بشرح النووي ج ١٧ ص ١٣٠ المطبعة المصرية .

عليه وسلم ، فقال : يا محمد : إن الله يمسك السموات على أصبع والأرضين على أصبع ، والجبال على أصبع ، والشجر على أصبع والجلال على أصبع ، ثم يقول : أنا الملك ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، ثم قرأ (١) : «وما قدروا الله حق قدره» .

وروى الإمام أحمد بسنده إلى عبد الله بن مسعود قال : (٢) «إن الله عز وجل ابتعث نبيه لإدخال رجل الجنة . فدخل الكنيسة فإذا يهودى يقرأ عليهم التوراة ، فلما أتوا على صفة النبي صلى الله عليه وسلم أمسكوا - وفي ناحيتها رجل مريض - فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما لكم أمسكنم ؟ فقال المريض : إنهم أتوا على صفة نبي فأمسكوا ، ثم جاء المريض يحبو حتى أخذ التوراة ، فقرأ حتى أتى على صفة النبي صلى الله عليه وسلم وأتمه ، فقال : هذه صفتك وصفة أمتك . أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله» .
وأخرج الطبري عن إبراهيم عن عبد الله قال : كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فمررنا بأناس من اليهود ، فقالوا يا أبا القاسم ،

-
- انظر الدارمي : الرد على المريسي : رسالة نشرت في كتاب عقائد السلف .
السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٥ ص ٣٣٤ .
— انظر قول النووي : وظاهر السياق أنه ضحك تصديقا بدليل قراءة الآية التي تدل على صدق ما قال الخبر ، والأولى في هذه الأشياء الكف عن التأويل مع اعتقاد التنزيه ، فإن كل ما يستلزم النقص من ظاهرها غير مراد . ابن حجر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ٨ ص ٣٨٩ ط . الخيرية .
١ — وتمام الآية : «وما قدروا الله حق قدره ، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون : سورة الزمر : آية ٦٧ .
— راجع روايات الطبري في تفسير هذه الآية : جامع البيان في تفسير القرآن ج ٢٤ ص ١٨ ط . بولاق .
٢ — أحمد بن حنبل : المسند : ج ١ ص ٤١٦ .

ما الروح؟ ، فأمسكت ، فرأيت أنه يوحى إليه قال ، فتنحيت عنه إلى سباطة ، فنزلت عليه «ويسألونك عن الروح ...» فقالت اليهود هكذا نجده عندنا . كذلك كان لصلة عبد الله بالخلفاء وبخاصة عمر أثرها في أن يحضر مجالسه التي يؤمها من أسلم من اليهود ، ويعرضون فيها مآلديهم من تراث ثقافى ، قال عبد الله : (١) كنت عند عمر بن الخطاب ، فدخل علينا كعب الحبر ، فقال : يا أمير المؤمنين : ألا أخبرك بأغرب شيء قرأت في كتب الأنبياء ، أن هامة جاءت إلى سليمان ، فقالت : السلام عليك يا نبي الله ، فقال : وعليك السلام يا هام ، أخبريني ، كيف لا تأكلين الزرع ؟ فقالت : يا نبي الله لأن آدم عصى ربه في سببه ، لذلك لا آكله ، قال : فكيف لا تشربين الماء ؟ قالت : يا نبي الله لأن الله أغرق بالماء قوم نوح ، من أجل ذلك تركت شربه ، قال : فكيف تركت العمران ، وسكنت الخراب ؟ قالت : لأن الخراب ميراث الله ، وأنا أسكن في ميراث الله ، وقد ذكر الله ذلك في كتابه ، فقال : «وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها إلى قوله ... وكنا نحن الوارثين» . وقد ذكر ابن كثير (٢) أن كعب الأحبار لما أسلم في الدولة العبرية جعل يحدث عمر رضى الله عنه — عن كتبه قديما ، فربما استمع له عمر فترخص الناس في استماع ما عنده .

ومرد ما تحدث به اليهود مخالفا لما في القرآن لا يرجع إلا أن بين الكتب السماوية تضادا أو تناقضا ، فكلها من عند الله ، أنزلها على أنبيائه . وقد تدرج الفكر الدينى فيها حتى كمل فى القرآن ، وإنما يرجع إلى أن أصحاب الكتب

١ — السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٥ ص ١٠٣ .

٢ — ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٧ — ١٨ .

النساققة على الإسلام غيروا فيها ، وبدلوا تعاليمها ، وحرفوا آياتها ، وكنتموا بعضها ، وأبدلوا بعضها .

وقد لفت ابن حزم (١) إلى ذلك في كتابه «الفصل» فضمنه فصلا في مناقضات ظاهرة، وأكاذيب واضحة في الكتاب الذي يسميه اليهود التوراة، وقد أورد فيه براهين أضوأ من الشمس على صحة تبديل التوراة وتحريفها . وقد سجل القرآن عليهم مسلكهم ، وشنع بنقضهم الميثاق ، وفضح إخفاءهم كثيرا مما بلغوا به ، وأنذرهم سوء العاقبة على ما اقترفوه في حق الله ، وما تقولوا به عليه .

قال تعالى :

— (٢) «فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم ، وويل لهم مما يكسبون» .

— (٣) «إن الذين يكتبون ما أنزلنا من البيانات والهلوى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ، ويلعنهم اللاعنون» .

— (٤) «فما نقضهم ميثاقهم لعناهم ، وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظا مما ذكروا به» .

— (٥) «وما قلروا الله حق قلوه إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ، قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه قراطيس قبلونها وتخفون كثيرا» .

١ — ابن حزم : الفصل : ج ١ ص ٣٥ - ٩٣ - مطبعة صبيح .

٢ — سورة البقرة : آية ٧٩ .

٣ — سورة البقرة : آية ١٥٩ .

٤ — سورة المائدة : آية ١٣ .

٥ — سورة الأنعام : آية ٩١ .

ويتحدد موقف عبد الله من الإسرائيليات في قوله (١) : لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم ، وقد أضلوا أنفسهم ، فتكذبون بحق ، وتصدقون بباطل ، وإن كنتم سائلهم لا محالة ، فانظروا ما واطأ كتاب الله فخذوه ، وما خالف كتاب الله فدعوه .

ولما كان بنو إسرائيل قد غيروا في التوراة ، وبدلوا فيها فقد خالفها القرآن فيما تغير ، وما تبدل . يقول عبد الله (٢) : إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد ، وقست قلوبهم ، اخترعوا كتابا من بين أيديهم وأرجلهم ، استهوته قلوبهم ، واستحلتته ألسنتهم ، وقالوا : نعرض بني إسرائيل على هذا الكتاب ، فمن آمن به تركناه ، ومن كفر به قتلناه .

وقد حمل على عبد الله كثير من الإسرائيليات ، وقد وضح ذلك فيما روى عنه من الحديث عن (٣) ابتداء الخلق ، (٤) وما خلق الله في كل يوم ، (٥) ثم القول في الليل والنهار ، وأيهما خلق قبل الآخر ، (٦) والأخبار الواردة

-
- ١ - ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص ٥٢ .
 - وفي رواية : «فإنهم قد طال عليهم الأمد فقست قلوبهم ، وابتدعوا في دينهم» .
 - السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٢ ص ٢٢٤ ،
 - وانظر ج ٥ ص ١٤٧ .
 - وانظر ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ١٣ ص ٢٥٩ .
 - راجع ما ذكره الطبري في تفسير قواه تعالى : «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلنا وإلهم واحد ونحن له مسلمون ... سورة النكبات : آية ٤٦ .
 - جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٢١ ص ٣ .
 - ٢ - الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٢٧ ص ٢٢٩ مطبعة الحلبي سنة ١٩٥٤ .
 - ٣ - الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ١ ص ٣٩ .
 - ٤ - الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ١ ص ٤٧ ، ٥٥ .
 - ٥ - الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ١ ص ٦١ ، ٦٢ .
 - ٦ - الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ١ ص ٨١ - ٩٥ .

بأن إبليس كان له ملك السماء الدنيا والأرض وما بين ذلك ، والسبب الذى هلك به ، (١) وما روى عنه من أن جبريل له ستمائة جناح .

فهذه المعارف المفصلة ليس لها أصل فى الإسلام ، فهى لم ترد فى القرآن ، ولم تنقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا سبيل إلى معرفتها إلا من أصحابها ، فهى من معتقداتهم . ومن يتدبرها ومثيلاتها يجد أنها تعارض الشرع ، وتنافي العقل ، مما يحمل على رفض نسبتها إلى عبد الله . وروايته لها .

كذلك نسبت إلى عبد الله معارف إسرائيلية أوردها المفسرون فيما أثر عنه من تفسير . فقد وردت فى القرآن آيات مجملة ، ووجد المسلمون فى كتب اليهود متسعاً لكثير من تفاصيلها ، وكان هؤلاء قد غيروا فيها وبدلوا ، فغلب فيها الباطل على الحق . وكان سبيل هذه الإسرائيلية هو ما فطرت عليه النفوس من تشوق إلى الوقوف على الدقائق ، ومعرفة التفاصيل ، وما ورد من هذه الإسرائيلية صحيح السند لا يعنى بالضرورة ثبوت نسبته إلى عبد الله . وإنما الأمر لا يخرج عن روايته له ونقله إياه عن أهل الكتاب .

أخرج الطبرى (٢) عن قيس بن سكين ، قال : حدث عبد الله ، وهو عند عمر «يوم يقوم الناس لرب العالمين» (٣) قال : إذا كان يوم القيامة ، قال : يقوم الناس بين يدي رب العالمين أربعين عاماً ، شاخصة أبصارهم إلى

١ - البخارى : الجامع الصحيح ج ٦ كتاب التفسير ص ١٧٦ .

٢ - الطبرى : جامع البيان فى تفسير القرآن ج ٢٩ ص ٢٥ ط . بولاق سنة ١٣٢٩ هـ .
انظر قوله تعالى : «يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ، خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ، وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون» سورة القلم : الآية ٤٢ ، ٤٣ .

٣ - سورة المطففين : آية ٦ .

- وراجع الطبرى : جامع البيان فى تفسير القرآن ج ٣٠ ص ٥٩ .

السما ، حفاة عراة ، يلجمهم العرق ، ولا يكلمهم بشر أربعين عاماً ، ثم ينادى مناد يا أيها الناس أليس عدلا من ربكم الذى خلقكم وصوركم ورزقكم ثم عبدتم غيره أن يولى كل قوم ما تولوا ، قالوا : نعم ، قال : فيرفع لكل قوم ما كانوا يعبدون من دون الله ، قال : ويمثل لكل قوم آلهتهم ، فيتبعونها حتى تقلدوهم فى النار ، فيتبقي المسلمون والمنافقون ، فيقال : ألا تذهبون ، فقد ذهب الناس ، فيقولون حتى يأتينا ربنا ، قال : وتعرفونه ، فقالوا : إن اعترف لنا ، قال : فيتجلى ، فيخر من كان يعبده ساجدا ، قال : ويبقى المنافقون لا يستطيعون كأن فى ظهورهم السفافيد ، قال : فيذهب بهم فيساقون إلى النار فيقلد بهم ، ويدخل هؤلاء الجنة ، قال : فيستقبلون فى الجنة بما يستقبلون به من الثواب والأزواج ، والحدور العين ، لكل رجل منهم فى الجنة كذا وكذا ، بين كل جنة كذا ، بين أدناها وأقصاها ألف كذا سنة ، هو يرى أقصاها ، كما يرى أدناها ، قال : ويستقبله رجل حسن الهيئة ، إذا نظر إليه مقبلا ، حسب أنه ربه ، فيقول له لا تفعل ، إنما أنا عبدك ، وقهرمانك على ألف قرية ، قال : يقول عمر : يا كعب ألا تسمع ما يحدث به عبد الله وفى تفسير قوله تعالى :

«قل يتوفاكم ملك الموت» (١)

أخرج (٢) ابن أبى الدنيا فى ذكر الموت عن ابن مسعود وابن عباس رضى

١ - سورة السجدة : آية ١١ .

٢ - السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ٥ ص ١٧٣ .

- راجع نماذج أخرى من الإسرائيليات التى حملت على عبد الله : ما أورده القرطبى فى تفسير قوله تعالى : «هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات» . «سورة البقرة» : آية ٢٩ . الجامع لأحكام القرآن ج ٣ ص ٢٩٩ ط . الشعب .

- وما أورده السيوطى فى تفسير قوله تعالى «وإن يونس لمن المرسلين» سورة الصافات :

آية ١٢٩ «الدر المنثور فى التفسير بالمأثور» ج ٥ ص ٢٨٨ .

الله عنهما قالا : لما اتخذه الله إبراهيم خليلاً سأل ملك الموت ربه أن يأذن له فيبشر إبراهيم عليه السلام بذلك فأذن له ، فأتاه ، فقال له إبراهيم عليه السلام : يا ملك الموت : أرني كيف تقبض أنفاس الكفار ، قال : يا إبراهيم لا تطيق ذلك ، قال : بلى ، قال : فأعرض إبراهيم ، ثم نظر إليه ، فإذا برجل أسود ينال رأسه السماء ، يخرج من فيه لهب النار ، ليس من شعرة في جسده إلا في صورة رجل يخرج من فيه ومسامعه لهب النار ، فغشى على إبراهيم عليه السلام ، ثم أفاق وقد تحول ملك الموت في الصورة الأولى ، فقال : يا ملك الموت ، لو لم يلق الكافر من البلاء والجزن إلا صورتك لكفاه ، فأرني كيف تقبض أرواح المؤمنين ، قال : فأعرض ، ثم التفت ، فإذا برجل شاب أحسن الناس وجهها وأطيبه في ثياب بيض ، فقال : يا ملك الموت ، لو لم ير المؤمن عند موته من قرة العين والكرامة إلا صورتك هذه لكان يكفيه .

وسواء صح إسناد ما وصلنا من إسرائيلييات عن عبد الله بن مسعود أم لم يصح ، فهي ليست بذات قيمة ، فإن كانت مكنوبة فهي باطلة ، وإن كانت صحيحة النسبة إليه ، فهي تأخذ حكم الحديث الموقوف ، فليس لأحد أن يظن أنها متلقاة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن شروط الحديث الموقوف الذي يكون له حكم المرفوع ألا يقال (١) من قبل الرأي ، ولا مجال للاجتهاد فيه ، وأن يخصص لصحابي لم يأخذ عن أهل الكتاب ، ولذلك فإن هذه المرويات

— وفي تفسير قوله تعالى «كفل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر ، فلما كفر ، قال : إني

بريء منك» سورة الحشر : آية ١٦ . «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» ج ٦ ص ٢٠٠

— وما أورده الطبري في تفسير قوله تعالى «يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل ، فتكن في

مضرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله» سورة لقمان : آية ١٦ .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٢١ ص ٧٢ .

١ — السيوطي : تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ج ١ ص ١١٤ الطبعة الأولى سنة

الموقوفة على الصحابة بعامة إما إسرائيليات (١) أخذها بعض الصحابة الذين رَووها عن أهل الكتاب الذين أسلموا ، ورووها ليعلم ما فيها من الغرائب والعجائب ، ولم ينهوا على كذبها وبطلانها اعتمادا على ظهور كذبها وبطلانها ، ولعلمهم نبهوا إلى كذبها وعدم صحتها ، ولكن الرواة لم ينقلوا هذا عنهم ، وإما أن تكون منسوسة على الصحابة ، وضعها عليهم الزنادقة والملحدون ، كى يظهر الإسلام وحملته بهذا المظهر المنتقد المشين .

وفى وسعنا ونحن نرصد موقف عبد الله بن مسعود من أهل الكتاب ، وثقاتهم أن نذكر أنه كانت له شخصيته العلمية المستقلة ، فلم يكن يقبل كل ما يقولون به بعامة ، وإنما كان له من علمه ما يمكنه أن يرد عليهم خطأهم .

أخرج الطبري عن أبي عبيدة قال (٢) : جاء رجل إلى قوم في المسجد ، وفيه عبد الله بن مسعود ، فقال : إن أخاكم كعبا يقرئكم السلام ، ويبشركم أن هذه الآية ليست فيكم «وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه» . فقال له عبد الله : وأنت فأقرئه السلام ، وأخبره أنها نزلت وهو يهودى .

وكان عبد الله يعرض هذه الثقافة على مبادئ الشرع ، ويخضعها لمقياس العقل ، وفى ضوء هذين المعيارين يكون حكمه بقبولها أو رفضها .

٢ - الدكتور محمد أبو شبة : إسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير ص ١٣٥ -

طبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية - القاهرة .

١ - الطبري : جامع البيان عن تأويل آى القرآن ج ٧ ص ٤٦١ ط . دار المعارف .

ومن الشواهد على ما رفضه منها ما أخرجه الطبري يسنده عن أبي وائل ،
قال (١) : «جاء رجل إلى عبد الله فقال : من أين بجئت ؟ قال : من الشام ؟
قال : من لقيت ؟ قال : لقيت كعبا ، فقال : ما حدثك كعب ؟ قال :
حدثني أن السموات تلور على منكب ملك ، قال : فصدقته أو كذبتة ،
قال : ما صدقته ولا كذبتة ، قال : لوددت أنك اقتديت من رحلتك إليه
براحلتك ورحلتها ، كذب كعب ، إن الله تعالى يقول (٢) : «إن الله يمسك
السموات والأرض أن تزولا ، ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده» .
لم يتقبل عبد الله غث هذه الثقافة مما هو مناف للعقل ، أو معارض للشرع ،
ولكنه في الوقت نفسه لم يرفضها في عمومها ، فقد حدث عنهم بما علم صدقه فيها
وافقههم فيه القرآن ، أو أيدتهم فيه السنة ، كما حدث عنهم بما لم يمس العقيدة من
الأخبار ، وهو في كل ذلك رجل القرآن يصحح معارفه عليه .
أخرج ابن جرير ، وعبد بن حميد والطبراني والبيهقي عن ابن مسعود
قال (٣) : كان بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم ذنبا أصبح قد كتب كفارة
ذلك الذنب على بابه ، وإذا أصاب البول شيئا منه قرضه بالمقراض ، فقال
رجل : لقد آتى الله بنى إسرائيل خيرا ، فقال ابن مسعود : ما آتاكم الله خيرا
بما آتاهم ، جعل لكم الماء طهورا ، وقال (٤) : ومن يعمل سوءا أو يظلم
نفسه ، ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما .

-
- ١ - الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٢٢ ص ٩٤ ، ٩٥ .
 - القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ٥٤٣٩ .
 - السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٥ ص ٢٥٥ .
 - ٢ - سورة فاطر : آية ٤١ .
 - ٣ - السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٢ ص ١١٠ .
 - ٤ - سورة النساء : آية ١١٠ .

لا يمكننا والأمر كذلك أن نخفل أثر هذه الثقافة في تكوين عبد الله الفكري .
فقد كانت أحد مقومات ثقافته ، فضلا عن أنها كانت جزءا من ثقافة البيئة .
والعصر معا ، والثقافات تتداخل ، ولا سبيل إلى العزل بينها ، غير أن مقدار
تأثيرها لم يتجاوز مدى محدد حتى يمكننا أن نقول باطمئنان بالغ : إن مجال
العقيدة ظل إسلاميا خالصاً ، «(١) فلم يعرف عن اتصال بأهل الكتاب من
الصحابة أنهم رجعوا إليهم في العقائد ، ولا في الأحكام لثقتهم بأن ما عندهم
يكفيهم عن سؤلهم ، وإذا ثبت أنهم سألوه عن شيء من العقائد ، فما كان
ذلك عن تهوك وارتياح منهم ، وإنما كان لإقامة الحجة عليهم ، وإقناعهم
بصدق ما عندنا بتصديق ما عندهم له ، وما كان يخشى من سؤلهم بخطر على
عقائد الصحابة ، ولا على أفكارهم بعدما استقرت أمور الشريعة ، ورست
قواعدها» .

لا ينبغي لأحد إذا أن يقول إن الحديث عن هذا اللون من الثقافة فيه
مطعن لعبد الله بن مسعود أو غيره من الصحابة ، أو إنها شوشة عليهم فكركم ،
فالواقع أنها لم تكن لها قيمة في الفكر الديني بعمامة ، فالدين غض ، ووجود
الرسول صلى الله عليه وسلم بين القوم فيه غناء ، وآيات القرآن كانت تملأ
على الناس عقولهم وقلوبهم ، ثم إنها كانت في الأخبار والقصص والتاريخ ،
وما كان منها في العقيدة والأحكام خضع للمنهج (٢) الإسلامي .

١ - محمد حسين الذهبي : الإسرائيليات في التفسير والحديث ص ٨٥ - دار النصر للطباعة
سنة ١٩٧١ .

وانظر : ص ٩٢ ، ٩٣ ، ١٠١ ، ١٠٣ من المرجع نفسه .

٢ - الأساس في هذا المنهج أن ما وافق الشرع صدقناه ، وما خالفه كذبناه ، وما كان مسكوتا
عنه توقفنا فيه .

وليس لأحد أن يذهب إلى أن ما ورد من إسرائيليّات منسوباً إلى عبد الله أو إلى غيره من الصحابة يفيد في معرفة بعض الجوانب من حياتهم العقلية ، ذلك لأنها إما أن تكون مما سمعوه من أهل الكتاب (١) وغالبه كذب وبهتان لأنه قد دخله تحريف وتبديل ، وتغيير وتأويل ، وما أقل الصديق فيه . ثم ما أقل فائدة كثير منه ولو كان صحيحاً . وإما أن تكون مما اختلق عليهم ودس في أقوالهم ، يقول ابن كثير (٢) : لعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة ، أو أنهم أدخلوه من بعض الكتب القديمة وشكك بيانها عندئذ هو ردها إلى القرآن ، وعرضها على العقل والحس ، وإظهار ما عرف على روايتها من تجريح وتكذيب .

ويبدو أن عبد الله كان يعرف بعض الألفاظ من اللغة الحبشية وقد أتاه ذلك من إقامته بالحبشة حين هاجر إليها في أول الإسلام ، فقد فسر قوله تعالى (٣) : «إن ناشئة الليل هي أشد وطءاً وأقوم قبلاً» بقوله : «إن ناشئة الليل هي بالحبشية قيام الليل» .

وبعد هذا ، أو قل قبل هذا ، كانت هناك رغبة ذاتية تدفع عبد الله إلى طلب العلم وتحصيله ، وقد بدت هذه الرغبة مبكراً منذ أن كان غلاماً ، وفي لقائه الأول بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فقد مر بنا أنه حين سمع القرآن منه طلب إليه أن يعلمه منه ، فدعا له بأنه غلام معلم .

-
- ١ - ابن كثير : تفسير القرآن العظيم : ج ٣ ص ١٦ .
 - ٢ - ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٧٦ ، ٧٧ .
 - ١ - سورة المزمل : آية (٦) .
 - ٢ - السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٦ ص ٢٧٨ .

وقد بدت هذه الرغبة كذلك فيما كان يشغل به نفسه من مسائل اللغة
والشعر ، وقصده بالسؤال من عرف بالتعمق فيهما ، وربما كان له في شيء
منهما كتاب ، فقد روى عن معن قال (١) : أخرج لي عبد الرحمن بن عبد الله
ابن مسعود كتاباً وحلف لي أنه خط أبيه بيده .

١ - ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ٨٦ .

البَابُ الثَّانِي

عبد الله بن مسعود: المربي والمعلم

« الدراسة صلاة »

« ابن مسعود » (١)

الفصل الأول

في درس القرآن

اضطلع عبد الله بن مسعود بالدرس القرآني ، وبخاصة في الكوفة ، وقد أوضح عمر له هذه المهمة حين وجهه إليها ، قال له (١) : إني وجهتك معلماً ليس لك صوت ولا عصا ، فاقصر على كتاب الله ، فإنه كفالك وإياهم .

وقدر عبد الله بجلال المسئولية ، وعظم التبعة ، فأقبل يبين لتلاميذه ضرورة الاهتمام بالدرس القرآني ، والعناية به قال (٢) : تعاهدوا هذه المصاحف ، وربما قال : القرآن ، فلهو أشد تفصيلاً من صدور الرجال من النعم من عقله ، ودفعته الحمية الدينية إلى أن يربط بين الدرس القرآني والفوز برضا الله ومحبه قال (٣) : لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن ، فإن كان يحب القرآن ، فهو يحب الله ، وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله ، وبين مقصده من حب القرآن فقال (٤) : «ومن علامة حب القرآن ، حب أهل القرآن ، وكثرة تلاوته أثناء الليل وأطراف النهار» ، كذلك بين لمن نهل من القرآن ، وتزود بآياته أنه سيعصمه من كل سوء ، وينجيه من كل شر ، ثم هو بعد ذلك سيؤجر على تلاوته ، قال (٥) : «إن هذا القرآن مأدبة الله ، فتعلموا من مأدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن بحبل الله ، وهو النور المبين ، والشفاء النافع ، عصية من تمسك به ، ونجاة من اتبعه ، لا يعوج فيقوم .

-
- ١ - وكيع : أخبار القضاة ج ٢ ص ١٨٨ .
 - ٢ - أحمد بن حنبل : المسند ص ٢٢٠ ، ٢٢١ حديث رقم ٣٦٢٠ .
 - وفي رواية «استذكروا القرآن فإنه أسرع تفصيلاً من صدور الرجال من النعم من عقله .
 - سنن النسائي : كتاب الافتتاح ج ٢ ص ١٥٤ .
 - ٣ - ابن العماد : شذرات الذهب ج ١ ص ٣٩ ط . بيروت .
 - ٤ - أبو طالب المكي : قوت القلوب ج ٣ ص ٧٨ .
 - ٥ - القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٥ ، وانظر ص ٧ .
 - أبو بكر الباقلاني : الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص ٨٦ ط . الخانجي سنة ١٩٦٣ .

ولا ينبغي فيستعجب ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، فاتلوه
فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات .

وقال (١) : تعلموا القرآن فإنه يكتب بكل حرف منه عشر حسنات ،
ويكفر به عشر سيئات ، أما إني لا أقول ألم حرف ولكني أقول ألف عشر
ولام عشر ، وميم عشر .

وكان يقول للرجل حين يقرئه الآية (٢) : تعلمها فإنها خير لك مما بين
السماء والأرض . حتى يقول ذلك في القرآن كله .

كذلك كان يقول (٣) : لو أن أحدكم غلما فتعلم آية من كتاب الله ،
كانت له خيرا من أربع ، وأربع حتى عد شيئا كثيرا .

وكان يفزعه أن ينشغل المسلمون بغير كتاب الله ، فيكون مصيرهم
كالأمم التي كانت قبلهم ، فقد هلكوا لأنها لم تتمسك بكتابها . قال مرة (٤) :
بينما نحن عند عبد الله بن مسعود إذ جاء ابن قرة بكتاب قال : وجعلته بالشام
فأعجبني فحسبك به ، قال فنظر فيه عبد الله ، ثم قال : إنما هلك من كان قبلكم
باتباعهم الكتب ، وتركهم كتابهم ، ثم دعا بطست فيه ماء ، فمائه فيه ،
ثم محاه .

-
- ١ - السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ١ ص ٢٢ .
 - ٢ - السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ١ ص ٣٤٩ .
 - ٣ - السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ١ ص ٣٤٩ .
 - ٤ - البغدادى : تقييد العلم ص ٥٣ تحقيق يوسف العش دمشق سنة ١٩٤٩ .
 - راجع سنن الدارمي ج ١ ص ١٢٣ .
 - الدكتور ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهل ص ٦٣ .

وقد مر بنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم شهد له بسلامة طريقته في القراءة وأقر له بجودتها ، ووصفه بأنه يقرأ القرآن غضا كما أنزل، وكان مما روى عنه أنه قرأ (١) سورة النساء ، فكان يسجلها سجلا، فأخلبت قراءته بمجامع القلوب ، ودمعت عينا الرسول صلى الله عليه وسلم .

لقد أوتي عبد الله حسن (٢) الصوت ، وجمال التلاوة ، فكان (٣) يربى مخارج الحروف ، ويحفظ الوقوف ، كما كان يخفض الصوت ، ويحزن في قراءته، كذلك كان يتأنى فيها ، ويتمهل في أدائها، ولا يسرع في شيء منها، فيقرأ (٤) حرفا حرفا ليحافظ على الضوابط ، ويتحرى الأحكام ، كما أنه كان يكره تقطيعها ، والخروج بها عن قواعدها .

وقد أخذ عبد الله تلاميذه بهذه الطريقة التي استنها ، وكان يرفق بهم في تعليمها لهم . فوجههم إلى ترتيل القرآن ، قال علقمة (٥) ، قال لي عبد الله : اقرأ — وكان علقمة حسن الصوت — فقرأ ، فقال عبد الله ، رتل فذاك أبي وأمي — رتل (٦) فإنه زين القرآن .

وروى جوير عن الضحاك قال (٧) : قال عبد الله بن مسعود: جودوا القرآن ، وزينوه بأحسن الأصوات ، وأعربوه فإنه عربي ، والله يحب أن يعرب به .

١ — الباقلاني : الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص ٨٤ .

٢ — البلجي : البدء والتاريخ ج ٥ ص ٩٧ .

٣ — راجع الجرجاني : التعريفات ص ٥٧ ط . لبنان سنة ١٩٦٩ .

٤ — البخاري : خلق أفعال العباد رسالة نشرت ضمن كتاب عقائد السلف ص ٢٠٣ .

٥ — البخاري : خلق أفعال العباد : ص ١٦١ .

٦ — أبو شامة : المرشد الوجيز ص ٢٠٥ .

٧ — القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٢٣ .

و كان عبد الله بذلك يود لهم لو تشبهوا بالنبي (ص) في قراءته ، قال البراء : سمعت (١) النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في العشاء : والتين والزيتون فما سمعت أحدا أحسن صوتاً أو قراءة منه .

وقد نصح عبد الله تلاميذه ألا يجهر بعضهم على بعض بالقراءة ، فقال لقوم كانوا يقرأون القرآن فيجهرون به (٢) «خلطتم على القرآن» .

وحمل عبد الله تلاميذه على ألا يسرعوا في القراءة ليفرغوا من السورة قال (٣) : لا تهلوه هذا الشعر ، قفوا عند عجائبه ، وحركوا به القلوب ، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة .

وقال عمرو بن مرة (٤) سمعت أبا وائل يحدث أن رجلاً (٥) جاء إلى ابن مسعود ، فقال : إني قرأت المفصل كله في ركعة ، فقال عبد الله : هذا كهذا الشعر ، لقد عرقت النظائر التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهما ، فذكر عشرين سورة من المفصل ، سورتين سورتين في ركعة .

-
- ١ - صحيح البخارى : كتاب التوحيد ج ٩ ص ١٩٤ . ط . الشعب .
 - ٢ - البخارى : خلق أفعال العباد : رسالة نشرت ضمن كتاب عقائد السلف ص ٢٠٨ .
 - ٣ - أبو شامة : المرشد الوجيز ص ٢٠٥ .
 - ٤ - أبو بكر الباقلانى : الإنصاف فيما يجب اعتقاده ، ولا يجوز الجهل به ص ٨٦ ط . الحامى سنة ١٩٦٣ .
 - ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج ٢ ص ٢١٤ ، ٢١٥ .
 - الترمذى : السنن ج ١ ص ١٤٢ .
 - النسائى : السنن ج ٢ كتاب الافتتاح ص ١٧٥ .
 - ورد الخبر في اللسان منسوباً إلى ابن عباس ، قال له رجل : قرأت المفصل الليلة ، فقال : أهذا كهذا الشعر . انظر ابن منظور : لسان العرب مادة هذ .
 - البخارى الجامع الصحيح ج ٣ ص ٢٣٤ .
 - السيوطى : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٦ ص ٢٥ .
 - ٥ - هو هيك بن سنان (انظر السيوطى : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٦ ص ٤٩ .

ومراده بالمفصل (١) هو من سورة «ق» إلى آخر القرآن ، وسبى مفصلاً
لكثرة الفصل بين سورته بالبسطة ، وقيل (٢) أوله سورته الحجرات على
الأرجح ، وآخره سورة الناس اتفاقاً .

أما الهذ فذكر السيوطي (٣) أنه السرد والإفراط في السرعة ، وكانت
هذه عادتهم في إنشاد الشعر ، وقال النووي (٤) . قوله كهذ الشعر معناه في
حفظه وروايته ، لا في إنشاده وترنمه ، وأما النظائر فقد قال الحافظ بن حجر
إنها (٥) السور المتماثلة في المعاني كالمواغظ والحكم والقصص لا المتماثلة . عدد
الآي ، وذكر المحب الطبري (٦) أنه كان يظن أنها متساوية في العدد حتى
اعتبرها فلم يجد فيها شيئاً متساوياً .

وهذه النظائر هي (٧) : الداويات ، والطور ، والنجم ، واقتربت ،
والرحمن ، والواقعة ، ونون ، والحاقة ، والمزمل ، ولا أقسم بيوم القيامة ،
وهل أتى على الإنسان ، والمرسلات ، وعم يتساءلون ، والنازعات ، وعبس
وويل للمطففين ، وإذا الشمس كورت ، والدخان ، وأخرج الطبراني عن
ابن مسعود ، قال : إني أحفظ القرآن التي كان رسول الله يقرأ بهن ثمانى
عشرة من المفصل ، وسورتين من آل حميم .

-
- ١ - السيوطي : شرح السيوطي على سنن النسائي ج ٢ ص ١٧٥ .
 - ٢ - المناوي : فيض القدير - شرح الجامع الصغير ج ١ ص ٥٦٥ .
 - ٣ - السيوطي : شرح السيوطي على سنن النسائي ج ٢ ص ١٧٥ .
 - حاشية السندی على سنن النسائي ج ٢ ص ١٧٥ .
 - ٤ - شرح النووي على صحيح مسلم ج ١ ص ٥٣٦ .
 - ٥ - السيوطي : شرح السيوطي على سنن النسائي ج ٢ ص ١٧٥ .
 - ٦ - السيوطي : شرح السيوطي على سنن النسائي ج ٢ ص ١٧٥ .
 - ٧ - السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٦ ص ٢٥ .

وقد قرن الرسول صلى الله عليه وسلم بين (١) الرحمن والنجم في ركعة ،
واقتربت والحاقة في ركعة ، والذاريات والطور في ركعة ، والواقعة ون في
ركعة ، وسأل والنازعات في ركعة ، وعباس وويل للمطففين في ركعة ،
والمدثر والمزمل في ركعة ، وهل أتى ولا أقسم في ركعة ، وعم يتساءلون
والمرسلات في ركعة ، وإذا الشمس كورت والدخان في ركعة .

وكان عبد الله يبصر أصحابه بأن القراءة الحقة تعنى المعاشة الحقيقية للنص
القرآنى ، والتخلق به ، ففى قوله (٢) تعالى «يتلونه حق تلاوته» قال (٣) أى
يتبعونه حق اتباعه ، وعن أبى العالية قال (٤) : قال عبد الله بن مسعود :
والذى نفسى بيده إن حق تلاوته أن يحل حلاله ، ويحرم حرامه ، ويقرأه
كما أنزل الله ، ولا يحرف الكلم عن مواضعه ، ولا يتأول منه شيئاً على غير
تأويله .

ولكى يتحقق هذا المقصد كان عبد الله يعلم تلاميذه تدبر القرآن عند
قراءته ، فلا يقفون بكلماته عند مخارج حروفها ، ولا يتلون آياته بالسنتهم ،
وقلوبهم هواء ، وإنما عليهم أن يجعلوا قراءتهم له تملأ عليهم رؤسهم وصلوهم ،

١ - السيوطى : شرح السيوطى على سنن النسائى ج ٢ ص ١٧٥ .

٢ - سورة البقرة : آية ١٢١ .

٣ - الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن ج ٢ ص ٥٦٧ .

- ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٢٨٧ .

٤ - راجع الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن ج ٢ ص ٥٦٧ - ٥٦٩ .

- ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٢٨٦ .

- السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج ١ ص ١١١ .

قال لهم (١) : إن أقواماً يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع .

وكان يحذرهم من أن يقرأوا القرآن من أقصى الحلق ، قال (٢) : إياكم والتنطع : والتنطع هو التكلم بأقصى الحلق — مأخوذ من النطع ، وهو الغار الأعلى — ، وهو في هذا يتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، يأخذهم بحديثه «(٣) ألا هلك المتنطعون» والمتنطعون هم (٤) المتعمقون المغالون أى المتجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم .

وكان عبد الله يرى أن قارئ القرآن لو تلبسه ، وعمل به لعرف بين الناس بسنات لا توجد في غيره لأنه سيأخذ بما هداه إليه ، فيصبح طيب المظهر والخبر مما يجعل شخصيته تمثل نمطا مميزا بين الناس ، وقد أكد عبد الله ضرورة أن يكون تلاميذه من هذا النوع فأخذهم بقوله (٥) : «ينبغي لقارئ القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون ، وبهاره إذا الناس مستيقظون ، وبكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون» .

-
- ١ - السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٦ ص ٤٩ . .
 - أبو بكر الباقلاني : الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص ٨٨ .
 - صحيح مسلم : ج ١ ص ٥٣٦ ، وانظر ص ٥٦٤ .
 - أحمد بن حنبل : المسند ج ٥ ص ٢١٥ حديث رقم ٣٦٠٧ .
 - ٢ - أبو شامة : المرشد الوجيز ص ٢٠٣ .
 - ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص ١٢١ .
 - ٣ - أحمد بن حنبل ج ٥ ص ٢٣٩ حديث رقم ٣٦٥٥ .
 - ٤ - انظر شرح النووي على صحيح مسلم ج ١٦ ص ٢٢٠ .
 - شرح الأبى على صحيح مسلم ج ٧ ص ١٠٦ .
 - شرح السنوسى على صحيح مسلم ج ٧ ص ١٠٦ .
 - ٥ - القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٢١ .
 - أبو شامة : المرشد الوجيز ص ٢٠٥ .

«وينبغي (١) لحامل القرآن أن يكون باكياً مجزواً ، حكيماً ، حليماً ،
علماً ، سكيناً» .

— «وينبغي (٢) لحامل القرآن ألا يكون جافياً ، ولا غافلاً ، ولا مضطرباً ،
ولا ضياعاً» .

وكان عبد الله يحذر من أن يقرأ القرآن منكوساً ، وقال (٣) : ذلك
منكوس القلب ، وكان يعنى بذلك من يقرأ السورة منكوسة ، ويبتلىء من
آخرها إلى أولها لأنه إفساد للسورة ، ومخالفة لما قصد بها .
وكان عبد الله يتخذ له مجلساً في المسجد حين يريد أن يقرئ تلاوته
القرآن .

قال مسروق (٤) : كان عبد الله يقرئنا القرآن في المسجد ، ثم يجلس به
نثبت الناس .

وكان عبد الله يهيج بهج النبي (ص) في التثبيت من جودة قراءة تلاوته
وتمكنهم من أصول التلاوة وقواعدها ، فكان يطلب منهم أن يقرأوا عليه
القرآن كما كان الرسول (ص) يفعل في حياته .

روى أبو حيان الأشجعي عن ابن مسعود . قال (٥) : قال لي : اقرأ

-
- ١ — أبو نعيم الأصبهاني : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج ١ ص ١٣٠ .
 - ٢ — أبو نعيم الأصبهاني : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج ١ ص ١٣٠ .
 - السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٥ ص ٢٥٠ .
 - ٣ — القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٦١ .
 - الزركشي : البرهان في علوم القرآن ج ١ ص ٢٥٧ .
 - ٤ — ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء ج ١ ص ٤٥٩ .
 - ٥ — أحمد بن حنبل : المسند ج ٥ ص ١٨٥ حديث رقم ٣٥٥٠ .

على من القرآن ، قال : فقلت له : أليس منك تعلمته وأنت تقرئنا ، فقال :
إني أتيت النبي (ص) ذات يوم ، فقال اقرأ على من القرآن ، قال : فقلت
يا رسول الله ، أليس عليك أنزل ، ومنك تعلمناه ؟ قال : بلى ، ولكني أحب
أن أسمعه من غيري .

وروى البخاري عن (١) علقمة ، قال : كنا جلوساً عند ابن مسعود ،
فجاء خباب ، فقال يا أبا عبد الرحمن ، أيستطيع هؤلاء الشباب أن يقرأوا
كما تقرأ ، قال : أما إنك لو شئت أمرت بعضهم يقرأ عليك ، قال أجل ،
قال : اقرأ يا علقمة ... فقرأت خمسين آية من سورة مريم ، فقال عبد الله
كيف ترى ، قال : قد أحسن ، قال عبد الله : ما أقرأ شيئاً إلا وهو يقرأه .
وقرأ (٢) عليه الأسود ، وتميم بن حذلم ، والحارث بن قيس ، وزر بن
حيش ، وعبيد بن قيس ، وعبيد بن فضلة ، وعلقمة ، وعبيدة السلماني ،
وعمر بن شرحبيل ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، وأبو عمرو الشيباني ، وزيد
ابن وهب ، ومسروق .

وقد ذاعت قراءة عبد الله في العراق حيث عاش كثيرون ممن قرأوا عليه ،
يقول ابن حزم (٣) : ولأهل الكوفة القراءة المعروفة بعاصم بن أبي النجود
(تابع مات سنة ١٢٨) قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي وزر بن حيش ،
وقرأ زر على ابن مسعود ، وهي خير القرآن (أي القراءة) عندنا من غير أن
ننكر غيرها .

١ - صحيح البخاري ج ٥ باب قدوم الأشعرين وأهل اليمن ص ٢٢٠ ط . الشعب .

٢ - ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء ج ١ ص ٤٥٨ .

- الذهبي : معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ج ١ ص ٣٤ .

٣ - ابن حزم : من رسالة له نشرت في كتابه جوامع السيرة ص ٢٦٩ .

وقد لفت الطبري إلى ذلك فكثّر في كلامه عقب ما يورده من قراءات عبد الله قوله (١) : «فقرأ ذلك قراء أهل الكوفة» وقوله (٢) : «فأما قارئ ذلك كذلك من أهل الكوفة فإنه ذكر عنه أنه قرأه كذلك اعتباراً منه بقراءة ابن مسعود» .

ولا يمنع ذلك من ذكر ما اعترض به على عبد الله ، فقد عاب عمر بن الخطاب عليه (٣) ظاهرة الفحفة التي اختصت بها هذيل ، والتي أخذها تلاميذه عنه ، فقد سمع رجلاً يقرأ «عتي حين» (٤) فقال من أقرأك ؟ قال : ابن مسعود ، فكتب إليه إن الله أنزل هذا القرآن فجعله عربياً ، وأنزله بلغة قريش ، فأقرىء الناس بلغة قريش ، ولا تقرهم بلغة هذيل .

كذلك قيل لابن عباس (٥) : إن ابن مسعود قرأ ، ونادوا يا مال ليقتض علينا ربك» بحذف الكاف للترخيم فقال : ما أشغل أهل النار عن الترخيم . ولم يقف ابن مسعود بمجده في التعليم عند حذو إقراء القرآن ، وإنما كان يفسره لمن يحضرون مجالسه .

قال مبروق (٦) : كان عبد الله يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا فيها ، ويفسرها عامة النهار .

-
- ١ - الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٣ ص ٢٤١ ط . دار المعارف .
 - ٢ - الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٤ ص ٥٥١ .
 - ٣ - راجع الزمخشري : الكشاف ج ٢ ص ٤٦٨ .
 - ٤ - سورة يوسف : آية ٣٥ .
 - ٥ - الزمخشري : الكشاف ج ٤ ص ٢٦٤ .
 - أنظر قوله تعالى : «ونادوا يا مالك ليقتض علينا ربك قال إنكم ماكثون» سورة الزمخرف آية ٧٧ .
 - ٦ - الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١ ص ٨١ ط دار المعارف .

ووصفه ابن كثير (١) بأنه كانت له اليد الطولى في تفسير كلام الله ،
ووضعه القرطبي (٢) في المرتبة الثانية لعبد الله بن عباس .

وكان عبد الله في تفسيره يستعين بما يعرف في التربية الحديثة بالوسائل
المعينة في التدريس . أو وسائل الايضاح ، فقد أخرج الطبري عن أبي
الأحوص عن عبد الله في قوله تعالى (٣) «فردوا أيديهم في أفواههم» قال (٤) :
عضوا عليها تغيطا ، وعض يده .

وقد كان عبد الله في ذلك يستهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في
انتهاجه هذا النهج ، فقد روى (٥) أبو وائل عن ابن مسعود عن النبي صلى الله
عليه وسلم في تفسير قوله تعالى (٦) «وأن هذا صراطي مستقيما» أنه خط خطا ، ثم
قال : هذا سبيل الرشدا . ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال : هذه
سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ، ثم تلا هذه الآية .

وكان عبد الله ممن يتخرجون من القول بالرأى في التفسير ، قال (٧) :
القرآن كلام الله ، فمن قال فيه برأيه فليعلم ما يقول فإنما يقول على الله .

وأخرج ابن أبي شيبه عن ابن مسعود قال (٨) : «إن للقرآن منارا كمنار
الطريق ، فما عرفتم فتمسكوا به ، وما اشتبه عليكم فلتروه» ، وكان يتوقف

١ - ابن كثير : البداية والنهاية ج ٥ ص ٣٣٦ .

٢ - القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٣٥ .

٣ - سورة إبراهيم : آية ٩ .

٤ - الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٢ ص ١٨٨ ط . الحلبي .

٥ - الزمخشري : الكشاف ج ٢ ص ٨٠ .

٦ - سورة الأنعام : آية ١٥٣ .

٧ - الدارمي : الرد على الجهمية : رسالة نشرت ضمن كتاب عقائد السلف ص ٣٣١ .

٨ - السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٢ ص ٧ .

أمام الآيات المتشابهات ، ويعدها مما استأثر الله بعلمه . عن الربيع بن خيثم قال (١) : قال عبد الله ، ما علمك الله في كتابه فاحمد الله ، وما استأثر به عليك من علم فكله إلى عالمه ، ولا تتكلف . فإن الله عز وجل يقول لنبيه «قل ما أسألكم عليه من أجر ، وما أنا من المتكلفين» ، وكان تفسير عبد الله مصدرا استقى منه كثير من مفسري الكوفة ما روه في كتبهم ، فقد روى السدي (٢) تفسيره عن مرة الهمداني عن ابن مسعود .

ولم يقتصر عبد الله فيما أخذ به تلاميذه على الدرس القرآني لإقراء وتفسيره ، وإنما تعهدهم بما يعينهم على التفقه في الدين ، فبصرهم بطرائق استنباط الأحكام ، كما وجههم إلى تعلم الفرائض ليكون قضاؤهم فيما يرفع إليهم عن معرفة بما أقره الشرع . وما جاءهم القرآن به . قال لهم (٣) : «من قرأ منكم القرآن فليتعلم الفرائض . فإن لقيه أعرابي قال : يا مهاجر أتقرأ القرآن ، فيقول : نعم ، فيقول : وأنا أقرأ . فيقول الأعرابي : أتفرض يا مهاجر . فإن قال : نعم . قال : زيادة خير . وإن قال : لا . قال : فما فضلك على يا مهاجر ، كذلك كان (٤) يطالبهم بأن يتعلموا الحج والطلاق فإنه من دينهم .

-
- ١ - ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين ج ١ ص ٥٧ .
 - ٢ - انظر الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١ ص ١٥٦ - ١٦٠ . ط . دار المعارف - تعليق الشيخ أحمد شاكر .
 - وراجع ناصر الدين الأسد في كتابه : مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ص ١٤٨ الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٩ م .
 - ٣ - السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٢ ص ١٢٧ .
 - راجع قول عبد الله : «من لم يتعلم الفرائض والطلاق والحج فبم يفضل أهل البادية : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ١٦٢٦ ط . الشعب .
 - ٤ - السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٢ ص ١٢٧ .

الفصل الثاني

في درس الحديث

أمضى عبد الله بن مسعود معظم حياته بعد النبي صلى الله عليه وسلم بعيداً عن المدينة . وكان أغلب أهل الأمصار التي قصدوها ممن دخلوا في الإسلام بعد الفتوحات ، ويؤكد خطاب عمر إلى أهل الكوفة المهام التي اضطلح بها حين أوفده إليها فقد أراده معلماً لهم لأنه أدرك حاجتهم إلى ما عنده من علم . وفي الكوفة كثر لقاء الناس بابن مسعود ، وكان يحدّثهم بما عنده من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبلوا يأخذونه عنه ، وربما كان ذلك وراء وصفه بأنه «حدث (١) عن النبي صلى الله عليه وسلم بالكثير» وفي حديث عامر بن عبد الله بن الزبير ما يشير إلى ذلك ، قال (٢) قلت للزبير بن العوام ، مالى لا أسمعك تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما أسمع ابن مسعود وفلانا وفلانا ؟ قال : أما إنى لم أفارقه منذ أسلمت ، ولكنى سمعت منه كلمة ، يقول ، من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار .

والواقع أن عبد الله قد أتيح له ما لم يتح لغيره من الصحابة ، فلقد طالت صحبته للرسول صلى الله عليه وسلم ، واشتدت ملازمته له حتى كاد يعد من أهل بيته ، فضلاً عن حرصه على التعلم منه ، والأخذ عنه ، ومع هذا فإن وصفه بالإكثار من الحديث أمر نسبي ، ذلك أن ما روى عنه كان أقل مما روى عن غيره من الصحابة ممن هم في طبقتة ، وعلى درجته ، وقد عده ابن حزم من أصحاب المئين ، ولا يعد (٣) أكثر من الرواية بين الصحابة إلا كل من

١ - ابن حجر المصقل : الإصابة و تمييز الصحابة ج ٤ ص ٢٣٣ .

الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ١٥٩ .

٢ - البخارى : الجامع الصحيح ج ٩ كتاب الأحكام ص ٩٠ .

- ابن ماجه : السنن ج ١ ص ١٤ .

٣ - صبحى الصالح : علوم الحديث ص ٣٥٤ .

زاد منهم على ألف حديث ، وقد بلغت أحاديث (١) عبد الله ثمانمائة مسند
ونيفا ، وعلى وجه التحديد (٢) ثمانمائة حديث وثمانية وأربعين ، اتفق البخارى
ومسلم منها على أربعة وستين ، وانفرد البخارى بأحد وعشرين ، ومسلم بخمسة
وثلاثين .

وقد ذكروا فى التعليل لقلة ما رواه عبد الله بن مسعود أن عمر نخشى أن
يخطئ الصحابة إن هم أكثروا من رواية الحديث فشدد عليهم . وأمرهم (٣)
أن يقلوا الرواية عن النبي ، يقول ابن قتيبة (٤) : « كان عمر شديدا على من
أكثر الرواية ، أو أتى بخبر فى الحكم لا شاهد له عليه ، وكان يأمرهم بأن
يقلوا الرواية ، يريد بذلك ألا يتسع الناس فيها ، ويدخلها الشوب ، ويقع
التدليس والكذب من المنافق والفاجر والأعرابي » ، وقيل (٥) إنه سجن ابن
مسعود فى نفر من الصحابة سنة بالمدينة حتى استشهد فأطلقهم عثمان ، وكان
منهم لأن القوم أكثروا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى خبر رواه شعبة عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن
أبيه قال : قال عمر لابن مسعود (٦) ، ولأبي اللرداء ، ولأبي ذر : « ما هذا

-
- ١ - ابن حزم : رسالة فى المفاضلة بين الصحابة ص ٢٢٨ .
 - ٢ - ابن حزم : أسماء الصحابة الرواة ص ٢٧٦ .
 - النووى : تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ٢٨٨ .
 - وقد أخذت دائرة المعارف الإسلامية بهذا العدد .
 - انظر مادة ابن مسعود ج ١ ص ٢٧٦ .
 - ٣ - يعضد ذلك أن عمر ألزم نفسه بما أمر الناس به فمسندة خمائة وسبعة وثلاثون حديثا فقط :
انظر ابن حزم : رسالة فى المفاضلة بين الصحابة ص ٢٣٧ .
 - ٤ - ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث ص ٣٠ .
 - ٥ - ابن العربى : العواصم من القواصم ص ٧٥ .
 - ٦ - ابن حزم : الإحكام فى أصول الأحكام ج ٢ ص ٣١٦ مطبعة الامتياز .

الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وأحسبه لم يدعهم أن يخرجوا من المدينة حتى مات ، وهذا الخبر لا يعول عليه فقد نبه ابن حزم على أنه مرسل ، وشك فيه ، فلا يصح الاحتجاج به ، وعلق عليه الشيخ أحمد شاکر بأن البيهقي وافق ابن حزم على أن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف (المتوفى سنة ٦٦ أو سنة ٦٥) عن ٧٥ سنة لم يسمع عن عمر .

ثم إن هناك رواية ثانية لهذا الخبر ، فقد روى الذهبي (١) عن شعبة عن سعد بن إبراهيم عن أبيه أن عمر حبس ثلاثة «ابن مسعود ، وأبا الدرداء ، وأبا مسعود الأنصاري» ، فقال : قد أكثرتم الحديث عن رسول الله وهذه الرواية تختلف عن رواية ابن حزم فيمن حبسهم عمر ، فقد استبدلت أبا مسعود الأنصاري بأبي ذر ، فهل تكرر (٢) الحبس من عمر ، ولو تكرر لاشهر ، ثم إن حادثة كهذه سيطير خبرها في الآفاق من غير أن تحتل الشك في المحبوسين لأنهم من أعيان الصحابة ، ولو سلمنا أن العبرة في الحادثة نفسها من حيث حبسه بعض الصحابة ، دون نظر إلى أعيانهم وأشخاصهم لأنهم أكثر الرواية قلنا قد كان غير هؤلاء أكثر منهم حديثا ، ولم يردنا خبر عن حبسهم ، فلا يعقل أن يحبس أمير المؤمنين بعضا دون بعض في قضية واحدة هم فيها سواء ، وهي الإكثار من الحديث .

وعلى افراض صحة الخبر يكون المراد أن عمر منعهم الحديث ، واستبقاهم في المدينة حتى يتثبت مما عندهم ، ويتيقن من ضبطهم لما يروون من الحديث ، ويحمل على ذلك ، ويعضده قول الخطيب البغدادي (٣) «لأنه حبسهم بالمدينة حتى استشهد لفظهم سواء» .

١ - الذهبي : تذكرة الحفاظ : ج ١ ص ٧ ط . الهند سنة ١٩٦٨ .

٢ - محمد عجاج الخطيب : السنة قبل التدوين ص ١٠٧ ، ص ١٠٨ .

٣ - البغدادي : شرف أصحاب الحديث ص ٤٨ ط . باكستان .

وربما كان القصد أن عمر (١) خشي ألا يتدبر السامعون كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كثر عليهم .

ومما اعترض به على الحبس المأدى أن عمر (٢) لم يكن له حبس، لكن الثابت على خلاف ذلك ، فقد كان له سجن (٣) ، وسجن فيه الخطيئة على الهجو ، وسجن فيه صبيغا التيمى على سؤاله عن المتشابهات .

وإذا كنا قد رأينا أن ابن مسعود شدد على نفسه في رواية الحديث ، والتحري في الأداء ، وانتهج الإقلال من الرواية ، والتورع في الألفاظ ، فلا شك أن ذلك كان نتيجة لأسباب ذاتية، منها ورعه وتقواه ، فليس العلم عنده بكثرة الحديث ، ولكن العلم بالخشية، ومنها أنه كان منصرفا إلى القرآن بإقراءه تفسيره ، ومن ثم يمكن القول إن موقف عمر لقي هوى عنده ، واستجابة لديه ، فأوجب على نفسه منهجا متشددا في الرواية ، والنزم الحيططة في التحديث حتى لا يقع في الخطأ ، وأدرك عظم مسئولية من يتصدى للرواية ، فكان إذا قال (٤) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استقلته الرعدة ، وقال : «هكذا أو نحو ذا أو قريب من ذا» ، وكان (٥) إذا جرى على لسانه حديث علاه الكرب ، وتحذر العرق عن جبينه .

-
- ١ - محمد عجاج الخطيب : السنة قبل التدوين ص ١١٠ .
 - ٢ - الرامهرمزي : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ١٣٣ الطبعة الأولى - بيروت
 - ٣ - ابن الطلاع : أفضية رسول الله صلى الله عليه وسلم ص ٩٦ .
 - بن الخطيئة مسجوننا حتى كلم عبد الرحمن بن عوف عمر في شأنه ، فأخرجه عمر من السجن .
 - انظر الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ج ٢ ص ١٥٥ .
 - ٤ - الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٥ .
 - ٥ - ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٣ ص ١٥٦ .
 - ابن الجوزي : صفوة الصفوة ص ١٥٩ الطبعة الثانية سنة ١٩٦٨ .
 - أحمد بن حنبل المسند ج ٥ ص ٢٤٥ حديث رقم ٣٦٧٠ .
 - ابن ماجه : السنن ج ١ ص ١١ .
 - السيوطي : تدريب الراوى في شرح تقريب النواوى ص ٣١٤ .

ولم يكن ذلك من عبد الله إلا لرغبته في أن يكون ما يرويه هو عين ما
 صدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم دون تغيير أو تبديل ، فمن كذب (١)
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم فليتبوأ مقعده من النار ، وقد لفت السيوطي
 إلى ذلك فقال (٢) : كان عبد الله بن مسعود يتغير عند ذكر الحديث عن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتنفخ أوداجه ، ويسيل عرقه ، وتسمع
 عيناه ، ويقول : «أو قريبا من هذا» ، «أو نحو هذا» ، «أو شبه هذا» كل
 ذلك خوفا من الزيادة أو النقصان ، أو السهو والنسيان ، واحتياطا للدين ،
 وحفظا للشرعة ، وحسما لطمع طامع ، أو زيف زائع أن يجترأ فيحكي
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقله ، أو يدخل في الدين ما ليس منه ،
 وليقتدى بهم من يسمع منهم ، ويأخذ عنهم ، فيقفوا أثرهم ، ويسلك طريقهم .
 وقد كان قصد عبد الله في درس الحديث أن يأخذه تلاميذه عنه بالفاظه
 حتى يكونوا له أكثر ضبطا ، وأوثق أداء ، قال علقمة (٣) : لقد رأيت
 ابن مسعود يعلمنا هؤلاء الكلمات «التشهد» كما يعلمنا القرآن . وكان عبد الله
 يختار للدرس أوقاتا مناسبة حتى لا يمل تلاميذه الدراسة ، ويظلوا في شوق للقاءه ،
 والجلوس إليه ، والتلقي عنه ، وهو في كل ما يصنع إنما يقتدى برسول الله
 صلى الله عليه وسلم .

-
- ١ - أخرج أحمد والترمذي وابن ماجه عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم «من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» .
 - أحمد بن حنبل : المسند ج ١ ص ٣٨٩ ، ٤٠١ .
 - ابن ماجه : السنن ج ١ ص ١٣ ورقم الحديث ٣٠ .
 - ٢ - السيوطي : تحذير الخواص من أكاذيب القصاص ، ص ١٤١ .
 الدارمي : السنن : ج ١ ص ٨٣ .
 - وانظر ابن ماجه : السنن : ج ١ ص ١٠ ، ١١ .
 - الرامهرمزي : المحدث الفاضل بين الراوي والواعي ص ٥٤٩ .
 - ٣ - اللساني : السنن ج ٢ ص ٢٣٩ .

أخرج البخارى بسنده عن شقيق ، قال (١) كنا ننتظر عبد الله إذ جاء يزيد بن معاوية ، فقلنا ألا تجلس ، قال : لا ، ولكن أدخل فأخرج إليكم صاحبكم ولا جئت أنا فجلست ، فخرج عبد الله وهو آخذ بيده فقام علينا ، فقال : أما إني أخير بمكانكم ، ولكنه يمنعني من الخروج إليكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهية السامة علينا .

وكان عبد الله يذكر الناس في كل خميس ، فقال له رجل (٣) : يا أبا عبد الرحمن لو ددت أنك ذكرتنا كل يوم . قال : أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملككم وإني أتمولكم بالموعظة ، كما كان النبي يتخولنا بها مخافة السامة علينا . وهكذا نجد أن عبد الله قد أدرك أهمية نشاط المتعلم في عملية التعليم المستمر .

وكان عبد الله يعتمد في درسه إلى الخوض على لزوم السبئية ، والتمسك بها . فكان يقول (٤) : إنما هما اثنان الهادي والكلام ، فأصل الكلام ، أو أصاقي الكلام كلام الله ، وأحسن الهادي هادي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشسر الأمور محدثاتها ، ألا وكل محدثة بدعة ، ألا لا يتطاولن عليكم الأمر فتتسرو قلوبكم ، ولا يلهينكم الأمل . فإن كل ما هو آت قريب ، إلا أن بعيدا ما ليس آتيا .

-
- ١ - البخارى : الصحيح : ج ٨ كتاب الدعوات ص ١٠٩ ط . الشعب .
 - أحمد بن حنبل : المسند حديث ٣٥٨١ ، ٣٥٨٦ .
 - مسلم : الجامع الصحيح ج ١٧ ص ١٦٣ ، ١٦٤ .
 - ٢ - وفي رواية «فما يمنعني من الخروج إليكم إلا كراهية ملك» .
 - انظر ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ١٢٦ .
 - ٣ - القسطلاني : إرشاد السارى إلى شرح صحيح البخارى ج ١ ص ١٦٩ .
 - ابن حجر العسقلاني : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج ١ كتاب العلم ص ١٣٣ .
 - وانظر قول عمرو بن ميمون . ما أخطأني ابن مسعود عشية خميس إلا آتيته فيه .
 - ابن ماجه : السنن ج ١ ص ١١ .
 - السيوطي : تدريب الراوى في شرح تقريب النواوى ص ٣١٤ .
 - : تحذير الخواص من أكاذيب القصاص ص ١٥١ .
 - ٤ - ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص ٢٢١ .

وقد أوضح عبد الله أن السنة مبينة للقرآن ، موضحة له ، فذكر أن الوشم هو المراد من قوله تعالى (١٠) «ولا منهم فليغيرن خلق الله» .

قال في درس له (٢) : «لعن الله الواشمات والمستوشمات ، والمتنمضات ، والمتفليجات للحسن ، المغيرات لخلق الله ، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب ، فجاءت إليه ، فقالت : إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت ، قال : وما لي لا ألعن من لعن رسول الله (ص) وهو في كتاب الله ، قالت : لقد قرأت ما بين الدفتين ، فما وجدت فيه شيئا من هذا ، قال : لئن كنت قرأته لقد وجدته ، أما قرأت (٣) : «وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا» ، قالت : بلى ، قال : فإنه قد نهي عنه .

ولقي عبد الله رجلاً محرماً وعليه ثيابه فقال له (٤) : انزع عنك هذا ، فقال الرجل ، أتقرأ على بهذا آية من كتاب الله تعالى ؟ قال : نعم : (٥) «وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا» .

-
- ١ - سورة النساء : آية ١١٩ .
 - راجع الزنجشري : الكشف ج ١ ص ٥٦٧ .
 - ٢ - البخاري : الصحيح ج ٦ كتاب التفسير ص ١٨٤ .
 - السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٦ ص ١٩٤ .
 - المتنصات جمع متمصة وهي التي تلتف الشعر من وجهها .
 - والمفليجات : جمع مفليجة وهي التي تتكلف أن تفرق بين سنّها من الثنايا والزبايعات .
 - راجع ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٥١٧ .
 - ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص ٢٣٠ .
 - ٣ - سورة الحشر : آية ٧ .
 - ٤ - القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٧١ ص ٦٤٩٦ .
 - ٥ - سورة الحشر : آية ٧ .

وتم تقف مرويات عبد الله عند ما رواه عن الرسول صلى الله عليه وسلم
بلا واسطة ، وإنما ثمة أحاديث له رواها عن (١) سعد بن معاذ ، وعمر (٢) ،
وعثمان (٣) ، وصفوان بن عسال ، كما روى عن أمه (٤) «أم عبد» .

ومع أن ما رواه ابن مسعود كان قليلا بالنسبة لما رواه غيره من الصحابة
فقد كان تأثيره بعيد الغور في تلاميذه ، فقد وضع لهم منهجا في التحديث
كانت له آثار كبيرة في نفوسهم ، فإلى جانب الإقلال من الرواية خشية
أن تنزل الألسن في الخطأ ، وتفضل الألفهام حين يكثُر عليها النقل ، أخذهم
بالتثبت من الحديث ، والتحقق منه ، والتزم أمامهم أن يصحح ما يحدث به
على القرآن ، قال (٥) : إنا إذا حدثناكم أثيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله ،
وقد أقر السيوطي ذلك ، فقال (٦) : كان إذا حدث حديثا نزع له آية من
الكتاب .

قال (٧) : إن العبد المسلم إذا قال سبحان الله وبحمده ، الحمد لله ، لا
إله إلا الله ، والله أكبر ، تبارك الله ، أخذ من ملك فجعلهن تحت جناحيه ،
ثم صعد بهن إلى السماء ، فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا

-
- ١ - ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ص ٢٣٢ .
 - ٢ - ابن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٢٩ .
 - ٣ - ابن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٤٠ .
 - ٤ - عمر رضا كحالة : أعلام النساء ج ٣ ص ٢٣٥ .
 - ٥ - البخاري : خلق أفعال العباد : رسالة نشرت ضمن كتاب عقائد السلف ص ١٦٦ .
 - السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٥ ص ٢٤٥ .
 - ٦ - السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٦ ص ١٤٨ .
 - ٧ - الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن ج ٢٢ ص ٨٠ ط . بولاق .
 - السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٥ ص ٢٤٥ .

لقائلهن حتى يجيء بهن وجه الرحمن ، ثم قرأ (١) «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه» .

وقال (٢) : ما من نفس برة ولا فاجرة إلا والموت خير لها من الحياة ، إن كان برا فقد قال الله (٣) «وما عند الله خير للأبزار» وإن كان فاجرا فقد قال الله (٤) : «ولا تحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما» .

ومن قوله (٥) : «لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ، ولا أن يعد أحدكم صبيه ثم لا ينجزه» اقرأوا إن شئتم (٦) «وكونوا مع الصادقين» فهل فيها من رخصة .

وروى عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم (٧) أنه لا يمنع عبد زكاة ماله إلا يجعل له شجاع أقرع يتبعه ، يفر منه وهو يتبعه ، فيقول أنا كنزك ، ثم قال عبد الله مصداقه في كتاب الله (٨) «سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة» .

-
- ١ - سورة فاطر : آية ١٠ .
 - ٢ - السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٢ ص ١٠٤ .
 - الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٧ ص ٤٩٥ ط . دار المعارف .
 - ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ١٨٤ .
 - ٣ - سورة آل عمران : آية ١٩٨ .
 - ٤ - سورة آل عمران ، آية ١٧٨ .
 - ٥ - الزنجشيري : الكشف ج ٢ ص ٣٢١ .
 - ٦ - سورة التوبة : آية ١١٩ .
 - راجع شواهد أخرى : الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٤ ص ٤٥٩ ، ٤٦٠ في تفسير قوله تعالى : «ويأخذ الصدقات» : سورة التوبة : آية ١٠٤ .
 - : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ١٦٣ في تفسير قوله تعالى «الذين يؤمنون بالغيب» سورة البقرة : آية ٣ .
 - ٧ - أحمد بن حنبل : المسند ج ٥ ص ٢٠٠ حديث رقم ٣٥٧٧ .
 - ٨ - سورة آل عمران : آية ١٨٠ .

والباقع أن عبد الله في هذا الالتزام إنما يشتم بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وينهج نهجه ، فقد روى أبو وائل عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال (١) : من حلف يميناً يقطع بها مال مسلم لقي الله وهو عليه غضبان ، وقرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم معبداً من كتاب الله عز وجل (٢) «إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله» .

وكان نزول عبد الله في الكوفة من أسباب سبقتها إلى العناية بالحديث . وقد ذكر ابن سعد (٣) أنه كان فيها ستون شيخاً من أصحابه .

وكان في مقلة من روى عنه ابنه (٤) عبد الرحمن ، وابن أخيه عبد الله ابن عتبة وامراته زينب الثقفية ، كذلك روى عنه ابن عمر (٥) ، وابن عباس ، وابن الزبير ، وأبو موسى الأشعري ، وأنس ، وجابر ، وأبو سعيد الخدري ، وعمران بن الحصين ، وعمر بن حريث ، وأبو هريرة .

كما روى عنه الحجاج (٦) بن مالك الأسلمي ، وأبو أمامة ، وطارق بن شهاب ، وأبو الطفيل ، وأبو ثور الفهمي ، وأبو جحيفة ، وأبو رافع . مولى النبي صلى الله عليه وسلم .

-
- ١ - أحمد بن حنبل : المسند ج ٥ ص ٢٠٠ حديث رقم ٣٥٧٦ .
 - ٢ - سورة آل عمران : آية ٧٧ .
 - ٣ - ابن سعد : الطبقات ج ٦ ص ٥ ، وراجع أسماءهم ج ٦ ص ١٨١ .
 - ٤ - ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين ج ١ ص ١٤ - ١٦ .
 - ٥ - الشيرازي : طبقات الفقهاء ص ٤٤ .
 - ٦ - ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، ج ٤ ص ٢٣٣ .
 - ٧ - النووي : تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ٢٨٨ .
 - ٨ - النووي : تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ٢٨٨ .

وقال الشعبي (١) : " كان الفقهاء بعد أصحاب رسول الله بالكوفة من أصحاب ابن مسعود هؤلاء : علقمة ، وعبيدة ، وشريح ، ومسروق .
 وقال (٢) لم يكن أحد من أصحاب عبد الله أطلب للعلم في أفق من الآفاق من مسروق . وكان مسروق أعلم بالفتوى من شريح ، وشريح أعلم بالقضاء منه وكان عبيدة يوازيه .

ومن أفاضل أصحابه (٣) عمرو وأرقم ابنا شرحبيل . كما روى عنه كثيرون من (٤) الصحابة والتابعين . وقد ذكر التهانوي أن (٥) إبراهيم النخعي كان ألزم الناس بابن مسعود وأصحابه ، وكان لسانهم في زمانه ، لا يفارق تلك المحجة إلا في مواضع يسيرة ، ولكن الثابت أن إبراهيم النخعي لم يلتق بابن مسعود ، وإنما لقي (٦) من أصحابه الأسود ، وعلقمة ، ومسروق ، وعبيدة . وفي رأى ابن معين (٧) أن أصبح الأسانيد عن ابن مسعود ما رواه سليمان الأعمش عن إبراهيم بن يزيد النخعي عن علقمة بن قيس عن عبد الله بن مسعود . غير أنه يعترض على ذلك بأن إبراهيم (٨) بن يزيد النخعي كان يدنجل بينه وبين أصحاب عبد الله مثل هني بن نويرة وسهم بن منجاب ، ونخزامة الطائي ، وربما دلس عنهم .

-
- ١ - السيوطي : التدريب ص ٥٤٣ .
 - ٢ - الرامهرمزي : المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ٢٢٤ .
 - ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ص ٩٤ .
 - ٣ - السيوطي : التدريب ص ٤٢٨ .
 - ٤ - ابن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب .
 - البندادي : تاريخ بغداد ج ١ ص ١٤٧ .
 - ٥ - التهانوي : قواعد في علوم الحديث ص ١٣٢ .
 - ٦ - المدني : علل الحديث ومعرفة الرجال ص ٤٦ .
 - ٧ - النووي : التدريب ص ٢٢ .
 - مقدمة ابن الصلاح ص ٨٤ ، ٨٥ تحقيق عائشة عبد الرحمن .
 - السيوطي : التدريب ص ٢٢ .
 - ٨ - النيسابوري : معرفة علوم الحديث ص ١٠٨ .

أما عبد ابن المبارك (١) فأرجح الأسانيد وأحسنها سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود .
وفي رأى ابن المبارك (٢) أن جودة الحديث ليست في قرب الإسناد بل جودة الحديث صحة الرجال .

عن ابن حزم قال (٣) : قال لنا وكيع : أى الإسنادين أحب إليكم : الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله ؟ أو سفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله ؟ فقلنا : الأعمش عن أبي وائل . فقال : « يا سبحان الله ، الأعمش شيخ ، وأبو وائل شيخ ، وسفيان فقيه ، ومنصور فقيه ، وإبراهيم فقيه . وعلقمة فقيه ، وحديث يتداوله الفقهاء خير من أن يتداوله الشيوخ » .
وقد علق ابن الأثير على ما ذكره وكيع بقوله (٤) : فهذا من طريق الفقهاء رباعى إلى ابن مسعود ، وثنائى من طريق المشايخ ، ومع ذلك قدم الرباعى لأجل فقه رجاله .

وكان يحيى بن إسماعيل يذهب بأبنة داود كل مذهب ، فقال له يوماً : كان (٥) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم كان عبد الله ، ثم كان علقمة ، ثم كان إبراهيم ، ثم كان منصور ، ثم كان سفيان ، ثم كان وكيع .

-
- ١ - السيوطى : التدريب ص ٣٦ ، ٣٧ .
 - البلقينى : محاسن الاصطلاح ص ٨٧ .
 - النيسابورى معرفة علوم الحديث ص ٥٥ .
 - ٢ - السيوطى : التدريب ص ٣٦٨ .
 - ٣ - النيسابورى : معرفة علوم الحديث ص ١١ .
 - ابن كثير : الباحث الحديث في اختصار علوم الحديث ص ٨٦ ، ٨٧ .
 - البلقينى : محاسن الاصطلاح ص ٣٨٣ .
 - السيوطى : التدريب ص ٣٦٨ .
 - التهانوى : قواعد في علوم الحديث ص ٢٩٨ .
 - ٤ - ابن الأثير : جامع الأصول ج ١ ص ١١٤ ط بيروت سنة ١٩٦٩ .
 - ٥ - ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٣ ، وانظر ج ٢ ص ٤٣٧ .

وأوهى أسانيد ابن مسعود (١) ما رواه شريك عن أبي فزارة عن أبي زيد عن عبد الله ، وقد أرسل (٢) القاسم بن محمد عن ابن مسعود . كما أرسل عنه ابنه أبو عبيدة ، كذلك أرسل (٣) إبراهيم النخعي عنه ، قال الأعمش : قلت لإبراهيم النخعي : أسند لي عن ابن مسعود ، فقال : إذا حدثتكم عن رجل عن عبد الله فهو الذي سمعت ، وإذا قلت ، قال عبد الله فهو عن غير واحد عن عبد الله ، وقد قال ابن معين (٤) في مراسيل إبراهيم النخعي : إنها أعجب إلى من مراسلات سالم بن عبد الله ، والقاسم ، وسعيد بن المسيب ، وقال أحمد لا بأس بها .

وكانت الرغبة في المحافظة على الحديث ، وتوثيق نصه مما شغل عبد الله به نفسه ، ومن أجل هذه الغاية دعا أصحابه أن يكونوا موصولي الصلة به ، ورغبهم في درسه وتعلمه ، قال (٥) : تذاكروا الحديث فإن حياته مذاكرته . كما لم يقف من جانبه عند الزاوية وحدها ، وإنما أقبل يحدث الناس بما عنده من علم . وكان لتصديده للتعليم أثره ، فإن بعض من رووا أحاديثه وصلوا ما كان أدرجه فيها فرووها متصلة ، متوهمين أنه من الحديث ، من ذلك ما رواه أبو داود عن أبي خيثمة زهير بن معاوية عن الحسن بن الحر عن القاسم بن

-
- ١ - النيسابوري : معرفة علوم الحديث ص ٥٧ .
 - البلقيني : محاسن الاصطلاح ص ٨٥ .
 - السيوطي : التدريب ص ١٠٦ .
 - ٢ - السيوطي : التدريب ص ٣٩٣ .
 - ٣ - السيوطي : التدريب ص ١٢٤ .
 - التهانوي : قواعد في علوم الحديث ص ١٤١ .
 - ٤ - السيوطي : التدريب ص ١٢٤ .
 - التهانوي : قواعد في علوم الحديث ص ١٥٠ .
 - ٥ - النيسابوري : معرفة علوم الحديث ص ١٤١ :

مُخَيِّمَةً ، قال (١) : أَخَذَ عَلْقَمَةَ بِيَدِي . فَحَدَّثَنِي أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ أَخَذَ بِيَدِهِ ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، فَعَلِمْنَا الْقَشْدَ فِي الصَّلَاةِ ... الْحَدِيثُ» وَفِيهِ «فَإِذَا قُلْتَ هَذَا ، فَقَدْ قَضَيْتَ صَلَاتَكَ إِنْ شِئْتَ أَنْ تَقُومَ فَقُمْ ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَقْعُدَ فَاقْعُدْ» . فَقَوْلُهُ : إِذَا قُلْتَ إِلَى آخِرِهِ . وَصَلَهُ زُهَيْرُ بْنُ مَعَاوِيَةَ بِالْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ فِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ هَذِهِ . وَفِيهَا رَوَاهُ عَنْهُ أَكْثَرُ الرُّوَاةِ . قَالَ الْحَاكِمُ (٢) «وَذَلِكَ مَارِجٌ فِي الْحَدِيثِ مِنْ كَلَامِ ابْنِ مَسْعُودٍ» .

وَمِنْ الدَّلِيلِ عَلَيْهِ أَنَّ الثَّقَةَ (٣) الزَّاهِدَ «عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ ثَابِتِ بْنِ ثَوْبَانَ» رَوَاهُ عَنْ رِوَايَةِ «الْحَسَنِ بْنِ الْحَرِّ» كَذَلِكَ ، وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ ابْنُ الْجَعْفِيِّ وَابْنُ عَجَلَانَ وَغَيْرُهُمَا فِي رِوَايَتِهِمْ عَنْ «الْحَسَنِ بْنِ الْحَرِّ» عَلَى تَرْكِ ذِكْرِ هَذَا الْكَلَامِ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ مَعَ اتِّفَاقِ كُلِّ مَنْ رَوَى الشَّهَادَةَ عَنْ «عَلْقَمَةَ» وَعَنْ غَيْرِهِ ، عَنْ «ابْنِ مَسْعُودٍ» عَلَى ذَلِكَ : وَرَوَاهُ «شَبَابَةُ» عَنْ أَبِي خَيْثَمَةَ . فَفَصَلَهُ أَيْضًا :
وَالْأَمْرُ نَفْسُهُ فِي تَخْلِيْفِ ابْنِ مَسْعُودٍ (٤) «مَنْ مَاتَ لَا يَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ» ، وَمَنْ مَاتَ يَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ ، فِي رِوَايَةِ أُخْرَى . قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَةً ، وَقُلْتُ أَنَا أُخْرَى فَذَكَرَهَا . فَأَفَادَ ذَلِكَ أَنَّ إِحْدَى الْكَلِمَتَيْنِ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، ثُمَّ وَرَدَتْ رِوَايَةٌ ثَالِثَةٌ أَفَادَتْ أَنَّ الْكَلِمَةَ الَّتِي هِيَ مِنْ قَوْلِهِ هِيَ الثَّانِيَّةُ ، وَأَكَّدَ ذَلِكَ رِوَايَةٌ رَابِعَةٌ اقْتَصَرَ فِيهَا عَلَى الْكَلِمَةِ الْأُولَى مُضَافَةً إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

-
- ١ - السيوطي : تدريب الراوي ص ١٧٣ .
 - ٢ - النيسابوري : معرفة علوم الحديث ص ٣٩ .
 - راجع قول ابن الصلاح «وإنما هذا من كلام ابن مسعود لا من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم» مقدمة ابن الصلاح ص ٢٠٨ .
 - ٣ - مقدمة ابن الصلاح ص ٢٠٩ .
 - ٤ - السيوطي : تدريب الراوي ص ١٧٤ .

وقد رويت موضوعات كثيرة ، روج لها من رويها من القصاص بأن نسبوها إلى عبد الله ، وأسندوها إليه ، ولكن جهلهم كان يكشف كذبهم ، ويفضح سوء طويتهم . فسلسلة الإسناد عندهم كانت تأتي على وجه مستحيل ، من ذلك ما نقله البغدادى عن محمد بن يونس الكسديمى قال (١) : كنت بالأهواز . فسمعت شيخا يقص فقال : «لما زوج النبي صلى الله عليه وسلم عليا فاطمة أمر الله شجرة طوبى أن تنثر اللؤلؤ الرطب يتهاذاه أهل الجنة بينهم فى الأطباق» فقلت له : يا شيخ ! هذا كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ويحك ! اسكت . محدثينه الناس . فقلت : من حدثك ؟ قال : محدثى يمان البحرى ، عن حفص التستري ، عن وكيع بن الجراح ، عن عبد الله بن مسعود ، عن الأعمش ، عن عطاء ، عن ابن عباس .

١ - السيوطى : تلخيص الخواص من أكاذيب القصاص ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .
 - ضمن الراوى هذا السند عددا من أسماء المشاهير ، غير أن فيه مجهولين هما يمان البحرى وحفص التستري ، كما أن الرواية على هذا النحو لا تصح فوكيع بن الجراح (١٢٩ - ١٩٧ هـ) يروى عن ابن مسعود الذى توفى سنة ٣٢ هـ وهذا محال ، وابن مسعود يروى عن الأعمش ، وهو محال كذلك فالأعمش من صغار التابعين (٦١ - ١٤٨ هـ) .
 راجع ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ١١ ص ١٢٦ .
 الذهبى : ميزان الاعتدال فى نقد الرجال ج ٢ ص ٢٢٤ مطبعة الحلبي

الفصل الثالث

المفاهيم الإسلامية في التعلم
في فكر ابن مسعود

كان عبد الله يثير في تلاميذه الرغبة في التعلم حتى تهيأ نفوسهم له ،
وفتوفر لديهم الاستعداد لتقبل ما يريد أن يزودهم به ، وأنت تراه كالعهد
به يتجه إلى الجانب الديني في حياتهم ، فيذكر فيهم المشاعر الإسلامية ، فكان
يقرأ قوله تعالى (١) : «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات»
ثم يتوقف ويقول لمن يجلس إليه (٢) : «يا أيها الناس افهموا هذه الآية ،
ولترغبكم في العلم» .

وأراد أن يعلمهم الصلاة على النبي ، فلم يقصد لذلك مباشرة وإنما قال :
(٣) «إذا صليتم على النبي ، فأحسنوا الصلاة عليه ، فإنكم لا تدرون ، لعل
ذلك يعرض عليه ، قالوا : فعلمنا ، قال : قولوا : اللهم اجعل صلواتك
وربعتك وبركاتك على سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، وخاتم النبيين ، فحمد
عبدك ورسولك ، إمام الخير ، وقائد الخير ، ورسول الرحمة ، اللهم ابعثه
مقاماً محموداً يخطه به الأولون والآخرون ، اللهم صل على محمد ، وعلى آل
محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم ، إنك حميد مجيد» .

ولم يكن قصد عبد الله فيما تعلمه ، وفيما علمه إلا قصد الملبس بعامة ، وإن
كلماته لتكشف لنا عن الهدف الذي يجب أن يلتزم به أهل العلم في الإسلام ،
فواجبهم ألا يطلبوا به عرض الدنيا ، وحظوة الخلق ، وإنما عليهم أن يبتغوا
به وجه الله ، قال (٤) : لا تعلموا العلم لثلاث — تمساروا به السفهاء ، أو
لتجادلوا به الفقهاء ، أو لتصرفوا به وجوه الناس إليكم — ، وابتغوا بقولكم

١ — سورة المجادلة : آية ١١ .

٢ — الزمخشري : الكشاف ج ٤ ص ٤٩٢ .

٣ — السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٥ ص ٢٦٨ .

٤ — ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ٢١٤ .

وفعلكم، ما عند الله، فإنه يبقى ويفنى ما سواه» . وقال (١) : «لو أن أهل العلم صانوا العلم ووضعوه عند أهله» ، لسادوا به أهل زمانهم ، ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا لينالوا به من دنياهم ، فهانوا عليهم» .

وقد فطن عبد الله إلى أن مادة التعلم يجب أن تناسب عقول المتعلمين فكان يتجنب في مجالسه أن يحدث أتباعه بما لا تتركه أفهامهم . كما كان يتحرى أن يجعل درسه فيما هو معروف من الحديث . ويدع ما هو غير معروف منه خشية أن يقعوا في وهم .

قال (٢) : «ما أنت محدثاً قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة» ولم يكن عبد الله يتكلف في درسه ، كما لم يكن يرضى أن يتعنت سامعوه . فيسألوه فيما هو معروف . فقد سئل عن الجميل . فقال (٣) : زوج الناقة ، استجهاً للسائل ، وإشارة إلى أن طلب معنى آخر تكلف .

وقد فسر التعلم وعملياته تفسيراً يغلب عليه الطابع الديني . فالتعلم عنده عبادة ، (٤) والدراسة صلاة ، (٥) ونعم المجلس مجلس تنتشر فيه الحكمة ، وتوجى فيه الرحمة .

١ - ابن ماجة : السنن ج ١ ص ٩٥

- ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ٢٢٩ .

٢ - ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ١ ص ١٨٢ .

- ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ١٦٢ .

- السيوطي : تدريب الراوي ص ٣٤٢ ،

- : تحذير الخواص من أكاذيب القصاص ص ٢٣٢ .

- الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٥ .

٣ - الزغشري : الكشف ج ٢ ص ١٠٤ .

٤ - ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ٢٦ .

٥ - ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ٦٠ .

والعلم (١) ليس بكثرة الرواية ، وإنما العلم خشية الله ، ويوم الحساب سيكون هذا السؤال (٢) : يا ابن آدم : ما عملت فيما علمت .

والعلم لا يورث ، وإنما يكتسب ، فالرجل (٣) لا يولد عالماً ، وإنما العلم بالتعلم ، وهو في حياته (٤) بين اثنتين إما عالم أو متعلم ، ولذلك فعليه أن يغلو عالماً أو متعلماً ، ولا يغلو فيما بين ذلك ، وإنما بين ذلك جاهل أو جهل .
والعلم عند عبد الله لا ينحصر في التلقّي والاختزان ، وإنما على المرء أن يعي ما تعلم ليفيد منه ويعمل به قال :

— عليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إليه (٥) .

— زيادة العلم الابتغاء ، ودرك العلم السؤال ، فتعلم ما جهلت ، واعمل

بما علمت (٦) .

-- كونوا للعلم وعاء ، ولا تكونوا له رواة (٧) .

١ - ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص ٣٢ .

— السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٥ ص

٢ - ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص ٣ .

٣ - ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٢ ص ٢١١ ، ج ١ ص ١٢٠ .

٤ - ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ٣٥ .

— يبدو تأثر عبد الله بالرسول صلى الله عليه وسلم واضحاً في هذه المفاهيم .

راجع قول الرسول صلى الله عليه وسلم : «اغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو مجاً ، ولا

تكن الخامسة فتهلك» قال عطاء . قال لي مسر : زدتنا خامسة لم تكن عندنا ، والخامسة

أن تبفض العلم وأهله : الميثقي : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ط . القدسي القاهرة سنة

١٣٥٣ .

٥ - ابن عبد البر : جامع العلم وفضله ج ١ ص ١٠٤ .

٦ - ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ١٠٥ .

٧ - ابن عبد البر : المرجع نفسه ج ٢ ص ٩

— تعلموا فإذا علمتم فاعملوا (١) .

— إن الناس أحسنوا القول كلهم ، فمن وافق فعله قوله فذلك الذي أصاب حظه ، ومن خالف قوله فعله فإنما يوبخ نفسه (٢) .
والتذكر مرده إلى التقوى والصلاح ، والنسيان سببه عمل الخطيئة ، وإرتكاب الإثم ، والوقوع في المعصية ، قال (٣) : «إن الرجل ينسى العلم قد علمه بالذنب يعمل به ، (٤) أو إنى لأحسب الرجل ينسى العلم كان يعلمه بالخطيئة يعملها» ، وقال (٥) : «إن هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شيء ، فقال رجل : كيف ذلك ؟ وقد أثبتناه في قلوبنا ، وأثبتناه في مصاحفنا ، نعلمه أبناءنا ، ويعلمه أبناءنا أبناءهم ، فقال : يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء ، ترفع المصاحف ، وينزع ما في القلوب ، ثم قرأ قوله تعالى (٦) : «ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا» .

وتفسير عبد الله هذه العملية التعليمية ينزع إلى ما تزود به من الثقافة الإسلامية التي تقوم على القرآن والسنة ، فهو فيما يقول ، وفيما يفعل ، عيناه دائما عليهما ، يستقي منهما الفكرة السامية ، واللفظة المعبرة ، ويدلل بما ورد فيهما على سلامة رأيه ، وحسن اتجاهه .

-
- ١ — ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص ١٢ .
 - ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٢ ص ٢٢٣ مطبعة لجنة التأليف .
 - ٢ — ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص ٩ .
 - ٣ — ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص ٢٣٩ .
 - ٤ — السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٢ ص ٢٦٨ .
 - أبو نعيم الأصبهاني : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج ١ ص ١٣١ .
 - ٥ — الزمخشري : الكشاف ج ٢ ص ٦٩١ .
 - وانظر القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٤ ص ٣٩٤١ ط . الشعب .
 - ٦ — سورة الإسراء : آية ٨٦ .

فقد دلل على أن المرء (١) قد ينسى بعض العلم بالمعصية بقوله تعالى (٢) :
«فما نقضهم ميثاقهم لعناهم ، وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه
ونسوا حظا مما ذكروا به» .

وقد أخرج ابن أبي حاتم عنه قال (٣) : أكثروا تلاوة القرآن قبل أن يرفع ،
قيل : وكيف يرفع ما في صدور الرجال ، قال : يسرى عليهم ليلا ، فيصبحون
منه قفرا ، وينسون قول لا إله إلا الله ، ويقعون في قول الجاهلية وأشعارهم ،
فهذا قوله تعالى (٤) : «ووقع القول عليهم بما ظلموا ، فهم لا ينطقون» ولا بد
أن يكون عبد الله قد سمع ووعى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) :
«إياكم والمعاصي ، إن العبد ليذنب الذنب فينسى به الباب من العلم» .

ومدارسة العلم أدعى إلى حفظه ، والتثبت منه ، ومذاكرة الحديث إحياء
له في الصلوة ، قال (٦) : تذاكروا الحديث فإنه يهيج بعضه بعضا .

وكما كان عبد الله آمينا على المال لا يعطيه إلا بحق ، كذلك كان آمينا
على الكلمة لا يقولها إلا عن بصر بها ، فالعلم أمانة والعالم مستأمن ، إن أدرك
الحقيقة فليس له أن يكتتمها ، وإن غابت عنه فليس له أن يدعيها .

١ - الزنجشري : الكشف ج ١ ص ٦١٥ .

٢ - سورة المائدة : آية ١٣ .

٣ - السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٥ ص ١١٥ .

- القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٥٤ ص ٤٩٥٢ ط . الشعب .

٤ - سورة النمل : آية ٨٥ .

٥ - السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٦ ص ٢٥٣ .

٦ - ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ١٢١ .

قال مسروق (١) : بينما رجل يحدث في المسجد فقال فيما يقول : يوم تأتي السماء بدخان يكون يوم القيامة يأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم . ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام ، قال : فقدنا حتى دخلنا على عبد الله رضي الله عنه ، وهو في بيته ، فأخبرناه ، وكان متكئاً . فاستوى قاعداً . فقال (٢) : أيها الناس ، من علم منكم علماً فليقل به . ومن لم يعلم . فليقل الله أعلم .

لقد أدرك عبد الله الخطأ فيما أخبر به . وأعانته محبة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومعرفة أسباب النزول على معرفة وجه الحق فيه . فلم يشأ أن يسكت عنه ، ولم يرد أن يحبس علماً عرفه . لأن النهج الإسلامي أن ينشر العالم ما علم . قال وهو يعرض لتفسير قواه تعالى (٣) «فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين» «سأحدثكم» (٤) عن الدخان ، إن قريشا لما استعصيت على رسول الله (ص) ، وأبطثوا عن الإسلام . قال : اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف . فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام . فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجوع . فأنزل الله ، فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ، يغشى الناس هذا عذاب أليم . فأتى النبي (ص) ، فقليل يا رسول الله ، استسقى الله لمضر . فاستسقى لهم . فسقوا فأنزل الله : «إننا

١ - انظر : البخاري : خلق أفعال العباد : رسالة نشرت ضمن كتاب عقائد السلف ص ١٥٥ : مسلم : الجامع الصحيح بشرح النووي : ج ١٧ : كتاب صفه القيامة والجنة والنار ص ١٤١ ، ١٤٢ .

: أحمد بن حنبل : المسند ج ٥ حديث رقم ٣٦١٣ ص ٢١٧ .

: ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٧ ص ٤٢٠ ، ٤٢١ .

٢ - راجع ما رواه مسروق عن عبد الله قال ، قال عبد الله : من سئل عما لم يعلم فليقل لا أعلم ولا يتكلف فإن قوله لا أعلم علم .

القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٦٢ ص ٥٦٧ ط. الشعب

٣ - سورة الدخان : آية ١٠ .

٤ - السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٦ ص ٢٨ .

كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون» ، فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم ،
فأنزل الله « يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون » فانتقم الله منهم يوم بدر .
وعند عبد الله أن القدوة الصالحة لها أهميتها في مجال التربية ، فاكساب
كل ما هو فاضل ، وامتصاص كل ما هو خير ، إنما يحدث عندما تقع عينا
طالب العلم على معلمه ، فيتخلى بما وجدته عليه من حميد الخلق ، ويتخلى عما
وجدته قد نأى بنفسه عنه مما هو فاسد في الطبع ، فيحاكيه فيما يفعل وما يترك ،
ويقلده فيما يأخذ وما ينذر ، قال (١) : من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب
محمد ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ،
وأقومها هدياً ، وأحسنها حالاً ، قوما اختارهم الله لصحبة نبيه (ص) ، وإقامة
دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم ، فإنهم كانوا على الهدى
المستقيم .

أما وقد عرف ابن مسعود ذلك في صحابة الرسول (ص) الذين تربوا على
القرآن ، وعزوا بالصحبة وعلموها السنة ، فلا عجب أن يكونوا عنده خير
من يؤخذ العلم النافع عنهم .

قال (٢) : « لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من أصحاب رسول الله (ص)
ومن أكابرهم ، فإذا جاء العلم من قبل (٣) أصاغرهم ، فذلك حين هلكوا ،
ونظرة ابن مسعود فيما يصدر عنه تأتيه دائماً من القرآن . فإذا رأى أن (٤) العالم
من يخشى الله تلى « إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

١ - جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص ١١٩ .

٢ - جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ١٩٢ .

٣ - قيل لابن المبارك من الأصاغر ؟ قال الذين يقولون برأيهم فأما صغير يروى عن كبير
فليس بصغير .

وذكر أبو عبيد في تأويل هذا الخبر عن ابن المبارك أنه كان يذهب بالأصاغر إلى أهل
البدع ، ولا يذهب إلى السن ، قال أبو عبيد : وهذا وجه ، قال أبو عبيد : والنبي
أرى أنا في الأصاغر أن يؤخذ العلم عن كان بعد أصحاب رسول الله ، ويقدم ذلك على
رأي أصحاب رسول الله (ص) ، فذلك أخذ العلم عن الأصاغر .

ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ١٩١ .

٤ - جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص ٧ .

وفي العراق تألفت عبقرية عبد الله بن مسعود ، وأجمع الصحابة على فضله . قال معاذ بن جبل (١) : التمسوا العلم عند أربع رهط : عند عويمر ابن أبي الدرداء ، وعند سلمان الفارسي ، وعند عبد الله بن مسعود ، وعند عبد الله بن سلام ، وأوصى معاذ (٢) عمرو بن ميمون أن يلحق بابن مسعود فيصحبه ، ويطلب العلم عنده ، ففعل ذلك .

وقال أبو موسى (٣) : «مجلس كنت أجالسه ابن مسعود أوثق في نفسي من عمل سنة

وقال (٤) : «لا تسألوني عن شيء وهذا الخبر بين أظهركم» .

وكان (٥) لا يفتي في المسألة تعرض له إلا بعد أن يعرف رأيه ،

وقال مسروق (٦) : وجدت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مثل (٧) الإخاذ يروى الواحد ، والإخاذ يروى الاثنان ، والإخاذ لو ورد عليه الناس أجمعون لأصدرهم ، وإن عبد الله بن مسعود (٨) من تلك الآخاذ .

وعنده أن العلم الإسلامي انتهى إلى اثنين كان عبد الله أحدهما ، وقد ذكر ذلك في قوله (٩) «شامت» (١٠) أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجدت

-
- ١ - ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين ج ١ ص ١٤ ، ١٥ .
 - ٢ - ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين ج ١ ص ٢٥ .
 - ٣ - ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء ج ١ ص ٤٥٩ .
 - ٤ - القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١٩ ص ٦٦٥ ط . الشعب .
 - أبو نعيم : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج ١ ص ١٢٩ .
 - ٥ - القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٢٨ ص ٢٥٧٦ ط . الشعب .
 - ٦ - القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٣٥ مطبعة دار الكتب سنة ١٩٥٢ .
 - علي بن عبد الله المديني : علل الحديث ومعرفة الرجال ص ٤٣ .
 - ٧ - الإخاذ عند العرب : الموضع الذي يحبس الماء كالغدير .
 - ٨ - قوله من تلك الآخاذ يعني أن فيهم الصغير والكبير والعالم والأعلم .
 - ٩ - ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٣٥١ .
 - الشيرازي : طبقات الفقهاء ص ٤٤ ، ٤٥ .
 - ١٠ - «شامت» أي بحث عنهم ، ويقال : شامت فلانا إذا قاربته ، وتعرفت ما عنده بالاختبار والكشف .

علمهم انتهى إلى ستة (١) ، إلى عمر ، وعلى ، وعبد الله ، ومعاذ ، وأبي الدرداء ، وزيد بن ثابت ، فشامت هؤلاء الستة فوجدت علمهم انتهى إلى على وعبد الله . ويفهم من ذلك أن مسروقاً كان يجهد الاتجاه إلى القول بالرأى ، والاجتهاد فيما لم يرد فيه نص ، وكان يرى أن مدرسة الرأى هي التي تملك من الإمكانيات ما يجعلها تواجه المتغيرات الجديدة خارج الجزيرة العربية بحاول تتفق مع روح الإسلام وأهدافه .

وقد انتشر الفقه في العراق على يد أصحاب عبد الله بن مسعود ولم يكن من أصحاب (٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم من له أصحاب يذهبون مذهبه ، ويفتون فتواه ، ويسلكون طريقته إلا ثلاثة : عبد الله بن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عباس .

وكان في مقدمة أصحاب عبد الله الذين يقولون بقوله ، ويقضون بتفضائه ، ويقرؤون بقراءته : عبيدة السلماني (توفي سنة ٧٢هـ) ، والحارث بن قيس ، ومسروق بن الأجدع الهمداني توفي سنة ٦٣ هـ . وعلاء بن قيس (توفي سنة ٦٢هـ) ، وشريح بن الحارث (توفي سنة ٧٨هـ) .

قال محمد بن سيرين (٣) : كان أصحاب عبد الله الذين لا يعلمهم خفية ،

١ - ثمة رواية استبدلت «أبي بن كعب بمعاذ» .

انظر : ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين ج ١ ص ١٦ .
النواوي : التقريب ص ٤٠٤ .

مقدمة ابن الصلاح ص ٤٣١ تحقيق عائشة عبد الرحمن . وفي رواية الشعي ذكر أبو موسى الأشعري مكان أبي الدرداء على بن عبد الله المدني : علل الحديث ومعرفة الرجال ص ٤٢ انظر السيوطي : التدريب ص ٤٠٤

مقدمة ابن الصلاح ص ٤٣١ تحقيق عائشة عبد الرحمن .

٢ - عل بن عبد الله المدني : علل الحديث ومعرفة الرجال ص ٧٣ .

... مقدمة ابن الصلاح ص ٤٣١ تحقيق عائشة عبد الرحمن .

٣ - عل بن عبد الله المدني : علل الحديث ومعرفة الرجال ص ٤٥ .

فمنهم من كان يبدأ بالحارث الهمداني ، ويشئ بعبدة ، ومنهم من كان يبدأ بعبدة ، والحارث ، وعلقمة ، ومسروق ، وشريح ، ومنهم من يجعل شريحا آخرهم .

وقد خالف إبراهيم النخعي ابن سيرين ، وكان إبراهيم من أعلم الناس بأصحاب عبد الله - قال (١) : كأن أصحاب عبد الله الذين يقرأون ويفتون ستة : علقمة ، والأسود ، ومسروق ، وعبدة ، وعمرو بن شرحبيل ، والحارث الأعور ، ما أرى ابن سيرين إلا زاد الحارث بن قيس لأن الحارث الأعور كان في غير طريق أصحاب عبد الله ، كانت روايته ومذهبه إلى علي ابن أبي طالب ، وما أعلمه روى عن عبد الله إلا حديثين مختلف عنه في أحدهما . وكان عبد الله يعتز (٢) بتلاميذه ، ويعرف أنه أدى الواجب عليه نحوهم ، فلما أراد أن يأتي المدينة جمعهم وقال لهم : والله إني لأرجو أن يكون قد أصبح اليوم فيكم من أفضل ما أصبح في أجناد المسلمين من الدين والفقه والعلم بالقرآن .

١ - علي بن عبد الله المدني : علل الحديث ومعرفة الرجال ص ٤٦ .
- راجع ما أورده ابن سعد ، قال : كان أصحاب عبد الله الذين يقرأون ويفتون ستة : علقمة ، والأسود ، ومسروق ، وعبدة ، والحارث بن قيس ، وعمرو بن شرحبيل .
الطبقات الكبرى ج ٦ ص ١٠ .
٢ - أحمد ابن حنبل : المسند حديث رقم ١٨٤٥

الباب الثالث

(ادب عبد الله بن مسعود)
الخصائص والسهات

الفصل الأول

في الموضوعات والأفكار والأساليب

أولا : فى الموضوعات :

يغلب على أدب عبد الله بن مسعود ما نراه يغلب على أدب الزهاد بعامة ، فهم ينصرفون عن الحياة رغم امتلاكها ، وهم يعرفون أن الدنيا ليست دار قرار ، وأن المرء مفارقها مهما طال به الأجل ، وكل عرض زائل ، والمال غاد ورائح .

يقول عبد الله (١) : ليس من الناس أحد إلا وهو ضيف على الدنيا ، وماله عارية ، فالضيف مرتحل ، والعارية مردودة .

وعبد الله من الزهاد الذين امتلكوا الدنيا دون أن يجعلوا لها سبيلا لى تتسلطهم ، وهم يكتفون بالقليل ، ويقنعون بالبلغة ، وليس لهم فى السعة الملل . يقول (٢) : ما قل وكفى خير مما كثر وألهى .

والثراء الحقيقى ليس ما فى الحوزة من عرض ، فليس ذاك إلا زخرفا تتعلق بعض النفوس به ، فثمة لون آخر من الغنى اهتمت إليه النفوس فى ظل الإسلام .

يقول عبد الله (٣) : خير الغنى غنى النفس .
وضمالة الحياة خليقة بأن تجعل المرء لا يغالى فى شأنها ، وأجبر به ألا يشغله الاهتمام بالمظهر عن العناية بالجواهر ، فقيمة المرء فى علمه وهديه ، وقلوبه فى القرب من الله ، ومكانته فيما سيكون عليه بين أهل السماء ، وليس ما هو عليه بين أهل الأرض .

١ - أحمد بن حنبل : الزهد ص ١٦٣ .

- أبو نعيم الأصفهاني : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج ١ ص ١٣٤ .

ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٣ ص ٢٢١ .

٢ - ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٢ ص ٢٢٤ .

٣ - السيوطى : الدر المنثور ج ٢ ص ٢٢٤ .

وقد كان عبد الله يأخذ نفسه بهذا النهج ، ويحمل تلاميذه عليه ، فيقول لهم في درسه (١) «كونوا ينابيع العلم ، مصاييح الهدى ، أحلاس البيوت ، سرج الليل ، جدد القلوب ، خلجان الثياب ، تعرفون عند أهل السماء ، وتحفون عند أهل الأرض .

ومن هذا يتبين أن مبادئ الزهد الإسلامي قد تمثلت في فكر عبد الله من ترك (٢) العرض الفاني ، والرضا بالقليل منه ، والرغبة في نعيم الآخرة الدائم ، قال عبد الله (٣) : من أواد الدنيا أضر بالآخرة ، ومن أراد الآخرة أضر بالدنيا ، يا قوم فأضروا بالفاني للباقي :

وكما شاع الحديث عن الموت في أدب الزهد كذلك نجده مستفيضاً في آثار عبد الله ، وأنت تحس فيه امتداد النظرة المقبضة إلى الدنيا التي لا راحة من متاعها إلا بالخروج منها .

يقول (٤) : لا راحة للمؤمن دون لقاء الله عز وجل . وهو يزي أن الموت يفجأ الناس ، فعليهم أن يكونوا على أهبة للقاءه بالعمل الصالح ، ذلك لأن الله يجازي كل نفس بما عملت ، فأهل الخير يوفيه الله حقهم ، وأصحاب الشر حصادهم مما غرست أيديهم .

يقول (٥) : «إنكم في عمر الليل والنهار في آجال منتقصة ، وأعمال محفوظة ، والموت يأتي بغتة ، فمن يزرع خيراً يوشك أن يحصد رغبة ومن زرع شراً

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي حنيد ج ١ ص ٤٠٣ .

٢ - الجاحظ : البيان والتبيين ج ٣ ص ٣٦٥ .

٣ - أبو نعيم الأصبهاني : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج ١ ص ١٣٨ .

٤ - أحمد بن حنبل : الزهد ص ١٥٦ . أبو نعيم الأصبهاني : حلية الأولياء ، وطبقات الأصفياء ج ١ ص ١٣٦ .

٥ - أحمد بن حنبل : الزهد ص ١٦١ . أبو نعيم الأصبهاني : حلية الأولياء ج ١ ص ١٣٤ .

فيوشك أن يحصد ندامة ، ولكل زارع مثل الذي زرع ، لا يسبق بطيء بحظه ، ولا يدرك حريص ما لم يقدر له ، فمن أعطى خيرا فالله أعطاه ، ومن وقى شرا فالله وقاه .

ويؤكد عبد الله أن في الموت خيرا لكل الناس على اختلاف منازلهم ، ولذلك نهىهم جميعا عن الحرص على الدنيا ، ودعاهم إلى انتزاع كل رغبة فيها ، فليس لأحد أن يقبل على الحياة ، أو يتمسك بها .

يقول (١) : «ما من نفس برة ولا فاجرة إلا والموت خير لها من الحياة ، إن كان برا فقد قال الله «وما عند الله خير للأبرار» ، وإن كان فاجرا فقد قال الله : ولا تحسبن الذين كفروا إنما نملى لهم خير لأنفسهم ، إنما نملى لهم ليزدادوا إثما .

ثانيا : الأفكار :

في إمكاننا أن نقول إن السمة الدينية تبلو واضحة في أدب عصر النبوة بخاصة ، وعهد الخلفاء بعامة ، على الرغم من تعدد أنواعه ، واختلاف أغراضه . وكانت العقيدة ومبادئها مناط الاهتمام عند ذوى المنزع الأدبي ، فدعوا إلى سبيل الله بالكلمة الطيبة ، والموعظة الحسنة ، حقا لقد اصطبغ (٢) الأدب في عصر صدر الإسلام وما يليه بصبغة إسلامية إنسانية تمثل مذهباً مستقلاً ، فالأفكار والروح الإسلامية قد بدأت تفرض وجودها على الأدب والأدباء مما يدل على سيادة مذهب إسلامي في الأدب .

وكان عبد الله بن مسعود ممن نهلوا من نبع القرآن ، ومعين الحديث ، فارتبوت نفسه بهما ، وشب على مبادئ الإسلام وقيمه ، فانصهر وجدانه

١ -- السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٢ ص ١٠٤ .

٢ -- عبد المنعم خفاجي : الأدب في التراث العربي . دار غريب للطباعة سنة ١٩٨٠ .

فيهما ، وقد واثته قدرة التعبير عن فكره وحسه لما امتلكه من ثقافة ، وما حازه من علم ، وعرف كيف يضمن المعنى الكثير في اللفظ القليل .

خطب النبي صلى الله عليه وسلم خطبة خفيفة ، ثم قال (١) : قم يا أبا بكر ، فقام فخطب ، فقصر دون النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : قم يا عمر فخطب ، فقام ، فخطب ، فقصر دون أبي بكر ، ثم قال : قم يا فلان فخطب ، إلى أن قال ، قم يا ابن أم عبد فخطب — فقام عبد الله بن أم عبد ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إن الله ربنا ، وإن الإسلام ديننا ، وإن هذا نبينا «وأوى إلى بيده» رضيما ما رضى الله ورسوله ، السلام عليكم» قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أصاب ابن أم عبد . صدق ابن أم عبد .

وليس في وسعنا إلا أن نكرر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «أصاب ابن أم عبد ، صدق ابن أم عبد» ، فأما عن إصابته فلا أنه أحسن اختيار موضوعه ، واقترب بحلته مما كان يدور في نفس الرسول صلى الله عليه وسلم ، فراعى بذلك المقام ، إذ الناس في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وخير كلام يقال لهم ما اتصل بأمور الدين ، فلا شيء غيره يشغلهم ، ولا شيء غيره يشدهم ، وكل حديث فيه تفتح له منافذ الحس في نفوسهم . قل هذا ، أو قل إن شئت إن عبد الله نظر إلى القوم فأدرك بصادق حلسه ما يناسبهم من الحديث ، فتحدث إليهم به ، أو أنه وضع يده على نبضهم فاستشعر أحاسيسهم ، وكلمهم بما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يود أن يحدثهم به ، وبما كانوا يودون سماعه منه . ثم إن عبد الله قد عمد إلى الإيجاز فأتى بالمعنى الكثير في

١ - الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٥ .

اللفظ القليل ، وكان في هذا وذاك قريبا من القوم ، فلم يغرب عليهم في شيء مما قال

وأما عن صدقه فهو فيما تحدث به ، إذ هو جوهر الدعوة ولها ، فالمسلمون لا يعرفون إلها غير الله ، ولا ديناً غير الإسلام ، ولا نبياً غير محمد ، وقد ساق عبد الله ذلك في أسلوب خبري مؤكد ليقرر أنه حقائق ثابتة ، لا تقبل المسراء .

وقد كانت الخطابة الدينية في مقدمة الأغراض الثرية في فجر الإسلام ، وقد اختلفت عن سجع الكهان للذي عرفته الجاهلية في المعاني التي تناولتها ، واللغة التي غلبت عليها ، فزخرت بالأفكار الإسلامية ، وفاضت بالروح الدينية ، حيث دعت إلى التمسك بتعاليم الدين ، وحثت على التخلي عن نواهيه .

ومما اشتهر من خطب عبد الله قوله :

أصدق (١) الحديث كتاب الله تعالى ، وأوثق العرى كلمة التقوى (٢) ، وخير الملل ملة إبراهيم عليه السلام ، وأحسن السنن سنة محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وخير الأمور عزائمها ، ما قل وكفى خير مما

-
- ١ - الجاحظ : البيان والتبيين ج ١ ص ٢٤٠ ط . لبنان سنة ١٩٦٨ (والنظر ج ٢ ص ٢٧)
 - ٢ - وردت هذه الخطبة عند ابن عبد ربه في العقد الفريد ج ٤ ص ١٣٠ وفيها هذا الخلاف .
خير الملل / أكرم الملل . أحسن السنن / خير السنن .
خير الأمور عزائمها / خير الأمور أوساطها . نفس تنجيها / لنفس تحيها .
النساء حباله الشيطان / النساء حباله الشيطان . من الناس / شر الناس . أعظم الخطايا اللسان الكذوب / هذه الجملة ساقطة في رواية المقد الفريد . من يستغفر / من يغفر .
- راجع هذا النص أيضا عند أبي نعيم : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج ١ ص ١٢٨ ص ١٣٩ .

كثير وألمى ، نفس تنجيتها خير من إمارة لا تحضنها ، خير الغنى غنى النفس ،
خير ما ألقى في القلب اليقين ، الحمر جماع الآثام ، النساء حباله الشيطان ،
الشباب شعبة من الجنون ، حب الكفاية مفتاح المعجزة ، من الناس من لا
يأتى الجماعة إلا ديرا ، ولا يذكر الله إلا هجرا .

أعظم الخطايا: اللسان الكلوب ، سباب المؤمن فسوق ، وقتاله كفر ،
وأكل لحمه معصية ، من يتألم على الله يكذبه ، ومن يستغفر يغفر له ، مكتوب
في ديوان المحسنين من عفا عني عنه ، البشقى من شقى فى بطن أمه ، السعيد من
وعظ بغيره ، الأمور بعواقبها ، ملاك الأمر خواتيمه ، أحسن الهدى هدى
الأنبياء ، أقبح الضلالة الضلالة بعد الهدى ، أشرف الموت الشهادة . من
يعرف البلاء يصبر عليه ، من لا يعرف البلاء ينكره .

والواقع أن الصبغة الإسلامية غالبية ، فالأفكار الإسلامية تؤكد حضورها
في الخطبة ، فهي تدور على مجموعة معينة من المحاور هي : الدين ، والقرآن
والسنة ، وأوامر الإسلام ونواهيه ، والقيم الدينية والأخلاقية ، وهي في
مجموعها تقدم مذهباً إسلامياً في الأدب له فكره المتميز ، ومعاله الخالصة .
ويبدو جلياً أن عبد الله قد استوعب الدعوة الإسلامية ، وأن أصولها قد
استغرقت ، فاستلهمها أفكاره ومعانيه ، واستلهمها عظاته ونصائحه ، مما مهد
لظهور مبادئ الدين الجديد بهذا القدر من الوفرة الذى نراه في الخطبة .
ومذهب عبد الله الوضوح الكامل ، فالأفكار على سموها وكثرتها من
السهل إدراكها دون جهد وعناء .

وقد ساعد على ذلك قصر الجمل الذى يجعل السامعين يتلقون الأفكار
كلها فلا يفوتهم منها شيء ، وفي الوقت ذاته يركزها في ألفاظ قليلة تضغط
على المشاعر ، فترقى بها .

وثلث 'كان ظاهر' الأمر يشير إلى أن الخطبة تضم مجموعة من الأفكار المتناثرة ، والحكم البليغة في عبارات موجزة ، وجمل مقتضبة ، إلا أنه يجب ألا يغيب عنا أن خيطاً واحداً يسلكها ، وروحاً واحداً يسرى فيها ، فأنت تحس النبض الإسلامي يحقق في كل كلمة ، والمعاني في مجموعها . تعبق بشذى ديني . ينفذ إلى النفوس من كل جواشها ، ولا أثر فيه لفكر مستجلب ، أو تفلسف غريب .

وقد أخذ النظام على عبد الله قوله : (١) «الشي من شقي في بطن أمه» ، وود لو أنه عدل عنه ، قال : ولو كان ابن مسعود بدل نظره في الفتيا نظر في الشقي كيف يشقى ، والسعيد كيف يسعد حتى لا يفحش قوله على الله تعالى ، ولا يشتد غلظه .

وقد رد عليه ابن قتيبة ، فذكر أن قول (٢) عبد الله روى مرفوعاً وأن من المحال أن يكذب ابن مسعود على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل هذا الحديث الجليل المشهور ، ويقول جدهشي . الصادق المصدوق وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرون ، ولا ينكره أحد منهم ، ولاى معنى يكذب مثله على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر لا يجتذب به إلى نفسه نفعا ، ولا يدفع ضرراً ، ولا يدينه من سلطان ولا رعية ، ولا يزداد به مالا إلى ماله .

وقد حكم العراقي (٣) وابن حجر بصحة الحديث إلا أن هناك من يقول إنه بهذا اللفظ من قول ابن مسعود ، فأما من حيث أنه مرفوع فقد قال فيه

-
- ١ - ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث ص ١٨ دار الكتاب العربي .
 - ٢ - ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث ص ٢١ دار الكتاب العربي .
 - ٣ - الشوكاني : الفوائد المبهمة في الأحاديث الموضوعة - مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٨٠ هـ

الشوكاني في إسناده ضعيفان ، وقال ابن الجوزي لا يثبت ، وقال الصنعاني موضع .

ومما يوجب اللفت ورود اسم التفضيل بكثرة في أدب عبد الله، ويلقانا من ذلك في الخطبة قوله : «فأصدق الحديث كتاب الله تعالى - وأوثق العرى كلمة التقوى - وخير المثل ملة إبراهيم عليه السلام ، وأحسن السنن سنة محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها» . ومرد ذلك عمق الإحساس بالأفكار والرغبة في أن يكون الصديق فيها ، والصديق في أدائها على مستوى واحد .

وقد كان عبد الله يلح في مواعظه على أفكار معينة ، يرددها حتى ترسخ في النفوس ، ونلاحظ أنه يكاد يسوقها بالفاظها ، وبين أيدينا موعظة ثانية يقول فيها .

أصدق الحديث كتاب الله (١) ، وأحسن الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وخير ما ألتى في القلب اليقين ، وخير الغنى غنى النفس ، وخير العلم ما نفع ، وخير الهدى ما اتبع ، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربع أذرع ، ألا تملوا الناس ، ولا تشمؤهم ، فإن لكل نفس نشاطا وإقبالا ، وإن لها سامة وإدبارا ، ألا وشر الروايا روايا الكذب ، الكذب يقود إلى الفجور ، وإن الفجور يقود إلى النار ، ألا وعليكم بالصدق ، فإن الصدق يقود إلى البر ، وإن البر يقود إلى الجنة ، واعتبروا في ذلك أيهما الفئتان الثقتا ، يقال للصادق صدق وبر ، ويقال للكاذب كذب وفجر .

١ - السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٢ ص ٢٢٤ .

وقد سمعنا نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول : لا يزال العبد يصدق حتى يكتب صديقاً ، ولا يزال يكذب حتى يكتب كذاباً ، ألا وإن الكذب لا يصلح في جد ولا هزل ، ولا أن يعد الرجل : «نكم صبيه ثم لا ينجز له» ، ألا ولا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ، فإنهم قد طال عليهم الأمد ، فتست قلوبهم ، وابتدعوا في دينهم ، فإن كنتم لا محالة سائلهم ، فما وافق كتابكم فخلوه ، وما خالفه فامسكوا عنه ، واسكتوا ، ألا وإن أصغر البيوت البيت الذي ليس فيه من كتاب الله شيء ، ألا وإن البيت الذي ليس فيه من كتاب الله خرب كخراب البيت الذي لا عابر له ، ألا وإن الشيطان يخرج من البيت الذي يسمع سورة البقرة تقرأ فيه .

ومؤدى هذه الخطبة هو تمجيد القرآن والحديث ، وتعهد النفس بالنصح لتحل محل مزلق الشر في الدنيا ، وتنجو من عقاب الآخرة ، ولتأخذ بكل ما هو حق وخير فتكون راضية مرضية ، وعبد الله في كل ذلك يدور في مجال فكرى معين تكاد تتكرر فيه المعاني والألفاظ ، ومن الأفكار التي تكررت ، ولم تتغير الألفاظ المؤدية لها قوله :

— أصدق الحديث كتاب الله .

— شر الأمور محدثاتها .

— ما قل وكفى خير مما كثر وألهى .

— خير الغنى غنى النفس .

— خير ما ألتى في القلب اليقين (١) .

١ — يقول الطوسي : اليقين هو المكاشفة ، والمكاشفة على ثلاثة أوجه : مكاشفة العيان بالابصار يوم القيامة ، ومكاشفة القلوب بحقائق الإيمان بمباشرة اليقين بلا كيف ولا حد ، والحالة الثالثة : مكاشفة الآيات بإظهار القدرة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالمعجزات ، ولغيرهم بالكرامات والإجابات : السبع ص ١٠٢ .

وثمة أفكار أخرى تكررت لكن ألفاظها نالها شيء من التغيير . من ذلك قوله .:

— أحسن السنن سنة محمد . أحسن الهدى هدى محمد .

— أعظم الخطايا اللسان الكاذب . ألا وشر الروايا روايا الكذب .

غير أن الأمر لا يقف بهذه الأفكار عند تكرارها ، ومعاودة تناولها ، وإنما أنت تلاحظ أنه يضيف إليها ما يزيد عمقا ، ويفصل فيها بحيث تزداد فعاليتها في التأثير على السامعين ، من ذلك قوله :

— شر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة . وكل بدعة ضلالة .

— ما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربع أذرع

— ألا وشر الروايا روايا الكذب ، الكذب يقود إلى الفجور ، وإن

الفجور يقود إلى النار .

وكانت مواعظ عبد الله وكلماته لها فعاليتها في النفوس ، فأما الذين

تلقوها بقبول حسن ، فهؤلاء هم أتباع عبد الله وتلاميذه الذين أخذوا العلم عنه ،

وكانوا خير خلف لخير سلف . فقد انتشر العلم في العراق على أيديهم ، وكانوا

هم الأساس لحركة علمية هائلة امتدت لتشمل كل فروع المعرفة الإسلامية ،

وأما الذين ضاقوا بها وأعرضوا عنها ، فهؤلاء هم الذين كانوا على شيء من

الدين في دينهم ، وعلى طرف من الرقة في عقيدتهم من أمثال الوليد بن عقبة

الذي يقول الذهبي عنه إنه أرسل إلى ابن مسعود أن اسبكت عن هؤلاء الكلمات :

أحسن (١) الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها .

١ — الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٧٦ .

ويشف أدب عبد الله عن مكونات ثقافته ، ويومئ إلى الروافد التي
ستقام منها ، ويمكننا أن نرد كثيرا من أفكاره وعباراته إلى مصادرهما الأولى؛
فقلوبه : أصدق الحديث كتاب الله . هو من قوله تعالى (١) : ومن
عبدني من الله حديثا .

وقوله : إن الكذب لا يصلح في جد ولا هزل ، ولا أن يعد الرجل منكم
سبية ثم لا ينجز له « تأوله (٢) من قوله تعالى (٣) «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
كونوا مع الصادقين» .

وقوله (٤) : من اغتیب عنده مؤمن فنصره جزاه الله بها خيرا. في الدنيا
والآخرة ، ومن اغتیب عنده مؤمن ، فلم ينصره جزاه الله بها في الدنيا والآخرة
را ، وما التقم أحد لقمة شرا من اغتيا ب المؤمن ، إن قال فيه ما يعلم فقد
غتابه ، وإن قال فيه ما لا يعلم فقد بهته . جاء تفسيره لقوله تعالى (٥) «ولا
تنب بعضكم بعضا ، أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه» .
وقوله (٦) «أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فإنهما جبل الله الذي أمر
» أخذه من قوله تعالى (٧) : «واعنصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ،
اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته
خوانا» .

- سورة النساء آية ٨٧ ، وانظر آية ١٢٢ .

- أبو حيان : البحر المحيط ج ٥ ص ١١٠ .

- سورة التوبة : آية ١١٩ .

- السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٦ ص ٩٦ .

- سورة الحجرات : آية ١٢ .

- السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٢ ص ٦٠ .

- سورة آل عمران : آية ١٠٣ .

وليس من السهل أن يحكم المرء بأن هذا التأثير كان في غيبة عن الوعي أو عن غير قصد من عبد الله ، ففضلا عن أن كثيرا مما ورد عنه كان تفسيراً للقرآن أو بيانا للحديث ، فإننا نجد أمامنا من الشواهد ما يدل على أنه -- بعيدا عن هذا الجانب -- كان يترك تصنيع فكرته . فقد أخرج البخاري بسنده عنه قال (١) : قال النبي صلى الله عليه وسلم كلمة ، وقلت أخرى ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «من مات وهو يدعو لله ندا دخل النار .» وقلت أنا : «من مات وهو لا يدعو لله ندا دخل الجنة» .

ومن حديث أبي شعبة عن النبي صلى الله عليه وسلم : (٢) «لا تقطع من كان يواصل أباه تطوى بذلك نوره . فإن ودك ود أبيك» ، وقال عبد الله : «من بر الحى بالميت أن يصل من كان يصل أباه» .

وأخرج البيهقي عن ابن مسعود أنه أتى على الصفا فقال (٣) : يا لسان ، قل خيرا تغم أو اصمت تسلم من قبل أن تندم ، قالوا يا أبا عبد الرحمن : هذا شيء تقوله أو سمعته ، قال : لا ، بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه .

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن مسعود قال (٤) ، قال رسول

-
- ١ - البخاري : الصحيح : ج ٦ كتاب التفسير ص ٢٨ .
 - ٢ - ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٢ ص ٢٢٣ .
 - راجع ما أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمر قال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه» . صحيح مسلم بشرح النووي : ج ١٦ كتاب البر والصلة والآداب ص ١٠٩ .
 - رواه الترمذي وابن ماجه وابن حنبل . انظر أ. ي. فنسك : مفتاح كنوز السنة -- ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي ص ٢٠٧ .
 - ٣ - السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٢ ص ٢٢٠ .
 - ٤ - السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٦ ص ٢٥٣ .

الله صلى الله عليه وسلم : «إياكم والمعاصي إن العبد لينتنب للذنب فينسى به الباب من العلم» ، وقال عبد الله (١) : إني لأخسب الرجل ينسى العلم كأن يعلمه بالخطيئة يعملها .

وأحيانا كانت الأفكار تتداخل فلا يستطيع عبد الله أن يفصل بين ما هو خاص به ، وما جرى على لسانه من القرآن أو الحديث .

ومثال ذلك قوله (٢) : «ألا وشر الروايا روايا الكذب ، الكذب يقود إلى الفجور ، وإن الفجور يقود إلى النار ، ألا وعليكم بالصدق فإن الصدق يقود إلى البر ، وإن البر يقود إلى الجنة ، واعتبروا في ذلك أيهما الفيتان التمتا يقال للصادق صدق وبر ، ويقال للكاذب كذب وفجر ، وقد سمعنا نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال العبد يصدق حتى يكتب صديقا ، ولا يزال يكذب حتى يكتب كذابا ، ألا وإن الكذب لا يصلح في مجد ولا هزل ، ولا أن يعد الرجل منكم صبيه ثم لا ينجز له .

أكثر ما في هذه الفقرة من الحديث ، ولم يقف عبد الله بالاعتباس عند المعنى ، وإنما لك أن تقول إن الحديث احتواه واستغرقه فغلبه على نفسه فجاء تارة مختلطا بما كتب ، وجاء تارة متميزا ، فقد أكد عبد الله فكرته السابقة بعبارات نبوية صريحة تنتظم معها .

وأنت ترى أن كثيرا مما زوى في مسند عبد الله ورد تارة موقوفا، وأخرى مرفوعاً فقد أخرج ابن (٢) ما جة بسنده عن عبد الله ابن مسعود أن رسول الله

١ - السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٢ ص ٢٦٨ .

٢ - السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٢ ص ٢٢٤ .

- البخاري الجامع الصحيح : ج ٨ كتاب الأدب ص ٣٠ ط . الشعب :

- أحمد بن حنبل : الزهد ص ١٥٠

- أحمد بن حنبل : المسند ج ٥ ص ٢٧٥ حديث رقم ٣٧٢٧ .

ج ٥ ص ٢٣١ حديث ٣٦٣٨ .

- مالك : الموطأ ج ٣ ص ١٥٢ .

صلى الله عليه وسلم قال : إن الكذب يهدى إلى الفجور. وإن الفجور يهدى إلى النار ، وإن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة ، وإنه يقال للصادق صدق وبر ، ويقال للكاذب كذب وفجر ، ألا وإن العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذابا .

وعن أبي الأحوص عن عبد الله ، قال (١) : من سره أن يلتقى الله غدا مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حتى ينادى بهن ، فإن الله شرع لنبيكم صلى الله عليه وسلم سنن الهدى ، وإنهن من سنن الهدى ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم .

«وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ، ويرفعه بها درجة ، ويحط عنه بها سيئة» .

ولقد رأينا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف .

وقد ورد هذا الكلام في مسند أحمد بن حنبل برمته بشيء طفيف من التغيير الذي لا يخرج به عن معناه ، إلا أن الفقرة الثانية منه جاءت حديثاً مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، قال عبد الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) : «ما من رجل يتوضأ فيحسن الوضوء ، ثم يأتي مسجداً من المساجد ، فيخطو خطوة إلا رفع بها درجة ، أو حط عنه بها خطيئة أو كتبت له بها حسنة .

١ - مسلم : الجامع الصحيح بشرح النووي ج ١ كتاب المساجد ص ٤٥٣ .

- النسائي : السنن كتاب الإمامة ج ٢ ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

٢ - أحمد بن حنبل : المسند ج ٥ حديث رقم ٣٦٢٣ ص ٢٢٢ .

وبما ورد في خطبة عبد الله من قوله : أصدق (١) الحديث كتاب الله ،
وأحسن الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة .
أخرجه النسائي عن جابر بن عبد الله قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول في خطبته (٢) : «... أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى
محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل
ضلالة في النار» .

وقال عبد الله (٣) «الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع ،
والذكر ينبت الإيمان في القلب كما ينبت الماء الزرع» .
وأخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي في سننه عنه قال ، قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل .
ويرجح عندي أن كثيرا من كلمات عبد الله ، وأحاديثه الموقوفة رفعها
بعضهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك أن حديث : (٤) الغناء والله
ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب . رواه الديلمي ، قال النووي لا يصح .
ولك أن تقول إن ثقافة عبد الله بروافدها التي تحدثنا عنها كانت توفر له
زادا فكريا ولغويا هائلا اختزنه في أعماقه ، واستوعبته ذاكرته ، فلذا ما

-
- ١ - السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٢ ص ٢٢٤ .
 - ٢ - النسائي : السنن : ج ٣ كتاب صلاة العيدين ص ١٨٨ .
- وانظر ج ٣ كتاب السهو ص ٥٨ .
 - وراجع : ابن ماجه : السنن : ج ١ ص ١٧ ، ١٨ .
 - رواه البخاري ج ٨ كتاب الأدب ص ٣١ ، وابن حنبل في ج ٣ ص ٣١٠ ،
 - أ. ي. فنسك : مفتاح كنوز السنة - ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي ص ١٥٤ .
 - ٣ - السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٥ ص ١٥٩ .
 - ابن السامح الحنبل : شذرات الذهب ج ١ ص ٣٩ .
 - ٤ - الشوكاني : الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة الطبعة الأولى ١٩٦٠ م .

وجعلت البشيرات التي تستدعيه والمواقف التي تستوجهه نجمه يتراحم على حسه
فيأخذ منه ما يراه . وهو في غمرة الإحساس بموضوعه لا يتوقف ليفصل بين
ما هو أصيل لديه وما هو مكتسب عنده ، غير أنه في هذا وذاك صادق
الإحساس صادق الأداء .

. ولم يقف هذا المنزع عند حد القرآن والحديث ، كما لم ينحصر في خطبة
أو موعظة ، وإنما يكاد يكون منهاجاً نستطيع أن نتبين مساره فيما أثر عنه ،
فقد كان يضمن كلامه ما علمه من كتب أهل الكتاب ، قال (١) : لاتعادوا
نعم الله ، قيل له ، ومن يعادى نعم الله ، قال : الذين يحسبون الناس على
ما آتاهم الله من فضله ، يقول الله في بعض الكتب «الحسود علو نعمتي ،
متسخط لقضائي ، غير راض بقسمتي» .

ثالثاً : الأساليب :

القسم :

كثير أسلوب القسم في القرآن ، فقد جاء في إحدى وثمانين آية . كما
استحدث التعبير القرآني ألواناً منه لم يكن للقوم سابق عهد بها ، فقد أقسم (٢)
الله بذاته فقال (٣) : تالله لتسألن عما كنتم تفترون» وقال (٤) : «تالله لقد
أرلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب
أليم» ، وأقسم بالقرآن في قوله : (٥) «يس والقرآن الحكيم ، إنك لمن المرسلين»

١ - ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٢ ص ٢١٩ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

١ - راجع : الدكتور يوسف خليف دراسات في القرآن والحديث ص ٩٥ - ١٠٢ .

٢ - النحل : آية ٥٦ .

٣ - النحل : آية ٦٣ .

٤ - سورة يس : آيات (١ - ٣) .

وقوله (١) : «ص ، والقرآن ذى الذكر ، بل الذين كفروا في عزة وشقاق» ،
وأقسم بالنبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (٢) : «لعمرك إنهم لفي سكرتهم
يعمهون» وأقسم بالملائكة في قوله تعالى (٣) : «والصافات صفا فالزاجرات
زجرا» ، وأقسم بمظاهر الطبيعة التي تؤكد عظم قدرته فقال تعالى (٤) :
«والشمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها» ، والنهار إذا جلاها ، والليل إذا
يغشاها» .

ولقد بدت النزعة الدينية عند عبد الله فيما اصطنعه من أسلوب القسم لأن
سبيله إلى ملركاته كان إسلاميا خالصا ، فقد رآها من منظور ديني محض ،
ولو أننا حاولنا أن نقف على سبب استخدام أسلوب القسم عنده لوجدناه
جرى فيه على عادة العرب في القسم إذا أرادوا تأكيد أمر في مواجهة من
ينكره ، ولكي تكون حجته كاملة على من يقسم له ، ثم إن الأمر مداره
للتعامل القائم على الوجدان ، والسبيل إلى إزالة الشك من النفوس ، وحملها
على التصديق هو إثارة العواطف .

وعبد الله في هذا المنحى يستهدى التعبير القرآني استخدام أسلوب القسم
كما جرى القرآن به ، فقد أقسم بذات الله ، كما أقسم بصفاته ، وربما أقسم
بالذات ثم أتبعها بالصفة ، فمن قسمه بالذات ما حدث منه عندما توفي عمر ،
فقد فاته أن يصلي عليه ، فوقف على قبره يبكي ، وطرح رداءه وقال (٥) :

- ١ - سورة ص : آيات (١ - ٣) .
- ٢ - سورة الحجر : آية ٧٢ .
- ٣ - سورة الصافات : آيتا (١ ، ٢) .
- ٤ - سورة الشمس : آيات (١ - ٤) .
- ٥ - ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٣ ص ٢٣٨ .

والله لئن فاتتني الصلاة عليك لا فاتني حسن الثناء ، أما والله لقد كنت مغيها بالحق ، بخيلا بالباطل ، ترضى حين الرضا ، وتسخط حين السخط ، ما كنت عيباً ، ولا مداحاً ، فجزاك الله عن الإسلام خيراً .

كان عبد الله وطيد الصلاة بعمر ، شديد الإعجاب به ، ولذلك جاء حزنه على وفاته قويا وصادقا ، وقد حملة ذلك على أن يبدأ رثاؤه له بالقسم بذات الله ، فدعم بذلك الدعوة ، وأجج الشعور الديني .

ونحن نرى شيئا جديدا فيما أقسم عبد الله عليه ، فهو لم يذكر عمر بأجاده على وفرتها وكثرتها ، وإنما ذكر له مآثره الدينية من تفانيه في إحقاق الحق ، وإزهاق الباطل ، وهذه المناقب لم يعرفها الجاهليون حين كانوا يعدون الشئائل في تأبينهم لأنها إسلامية خالصة .

وقسم عبد الله على كل ما أورده من سيرة عمر ، وما عده له من مآثر ، لا يرجع إلى أن شيئا من الشك ساور سامعيه ، فأراد أن يزيله من نفوسهم ، ولكنه قصد إلى تعميق الإحساس فيهم ، والتأثير عليهم ، وحملهم على الإطمئنان إلى ما يقوله لهم . .

ومن أسلوب القسم الذي جد في ظل الإسلام ، وجرى به لسان عبد الله القسم بصفات الله ، وبخاصة صفة الوحدانية ليؤكد كدها في القلوب ، ويعظمها في النفوس على عادة العرب فيما يقسمون به . قال عبد الرحمن بن يزيد (١) « كان عبد الله يصلي المغرب ، ونحن نرى أن الشمس طالعة ، قال : فنظرنا يوماً إلى ذلك ، فقال : ما تنظرون ، قالوا : إلى الشمس ، قال عبد الله :

١ - البيهقي : السنن الكبرى : كتاب الصلاة ج ١ ص ٢٧ .

هذا والذي لا إله غيره ميقات هذه الصلاة ، ثم قال (١) : « أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل » ، فهذا دلوك الشمس .

— وقيل (٢) لعبد الله بن مسعود إن ناساً يرمون الجمرة من فوق العقبة ، فرمى عبد الله من بطن الوادي ، ثم قال : من هاهنا والذي لا إله غيره رمى الذي أنزلت عليه سورة البقرة .

وواضح أن عبد الله قد تأثر فيما أخذ به من أسلوب القسم من حيث المقسم به والمقسم عليه ، وطريقته في الأداء بما ورد في قوله تعالى (٣) « لا إله إلا الله » .

ويبدو التأثير أكثر صراحة ووضوحاً في قول عبد الله (٤) : « والله الذي لا إله إلا هو ما على ظهر الأرض شيء أحق بطول سجن من لسان » حيث تأثر بقوله تعالى (٣) « إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً » .

١ — سورة الإسراء : آية ٧٨ .

٢ — النسائي : سنن النسائي : كتاب مناسك الحج ج ٢ ص ٢٧٤ .

— أنظر ما ورد على هذا النحو من القسم في قوله :

« والله الذي لا إله غيره ما يضر عبداً يصبح على الإسلام ، ويمشي عليه ما أصابه الدنيا »
« والذي لا إله غيره ما أصبح عند آل عبد الله ما يرجون أن يعطيهم الله به خيراً ، أو يدفع عنهم به سوءاً إلا أن الله قد علم أن عبد الله لا يشرك به شيئاً » . أبو نعيم الأصبهاني : حلية الأولياء ، وطبقات الأصفياء ج ١ ص ١٣٢ .

٣ — سورة الأعراف : آية ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٨٥ .

٤ — أحمد بن حنبل : الزهد ص ١٦٢ .

— أبو نعيم : حلية الأولياء ، وطبقات الأصفياء ج ١ ص ١٣٤ .

٥ — سورة طه : آية ٩٨ .

— وراجع قوله تعالى : « هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة » ، هو الرحمن الرحيم . هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحانه الله عما يشركون : سورة الحشر ، آيتا ٢٢ ، ٢٣ .

وقد يرجع القسم بصفة الوحدانية أو إقرانها بذات الله عند القسم بها إلى الرغبة في تأكيدها في القلوب ، وترسيخها في النفوس ، على ما جرت عليه عادة العرب في خطابهم ، (١) «فبسبب الوثنية التي تغلغت في نفوس القوم منذ عهد بعيد ، والتي رأوا آباءهم وأجدادهم يؤمنون بها كانت دعوة الإسلام إلى عبادة إله واحد دعوة غريبة عليهم لم يتقبلوها في سهولة ويسر، وفي سورة ص تصوير لهذا الموقف:» (٢) وعجبوا أن جاءهم منذر منهم ، وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ، أجعل الآلهة إلها واحدا ، إن هذا لشيء عجاب» .

الدعاء :

كثُر الدعاء في الأدب الإسلامي بعامه ، وتعدد أنواعه ، وكان منه عند ابن مسعود مسألة الرزق في الدنيا ، وامتلاك أسبابه ، وفي الوقت ذاته المقطرة على التخلص من عبودية المال .

قال (٣) : «اللهم وسع على في الدنيا ، وزهدي فيها ، ولا تزوها عني وترغبني فيها .

وعندما اشتدت وطأة المرض عليه ، ووجد أن الداء بلا دواء لا ذبالدعاء حله يجد فيه الشفاء ، أو يكون سببا للاستسلام للقضاء .

ومما يدل على التأثير بالإسلام ما نجده من عناصر إسلامية في الدعاء ، والابتهاال ، فالمسألة فيه لا تتصل بأعراض الحياة الزائلة ، وإنما تتعلق بما هو

١ - الدكتور يوسف خليف : دراسات في القرآن والحديث ص ١٠٣ دار غريب للطباعة سنة ١٩٨١ .

٢ - سورة ص: آيتا ، ، .

٣ - ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٣ ص ٢٢١ .

خير وأبني ، يقول عبد الله (١) : «اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد ، ونعيماً لا ينفد ، ومرافقة نبيك - يعني محمداً - في أعلى جنة الخلد» .

وقد برزت فكرة الخير والشر فيما دعا به عبد الله ، كما كشف أسلوبه عن عمق إيمانه ، ورسوخ عقيدته . مما أوجب الشعور الديني في نفسه ، فقدم الإيمان تعلقة لغفران الذنوب ، وتكفير السيئات ، ولاذ بالقرآن يقتبس منه خير ما يدعو به المرء المؤمن . قال (٢) : «اللهم إني أسألك من الخير كله ما علمت منه ، وما لم أعلم ، اللهم إني أسألك من خير ما سألك عبادك الصالحون ، وأعوذ بك من شر ما عاذ منه عبادك الصالحون ، (٣) «ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار» ، ربنا إنا آثمنا (٤) «فاغفر لنا ذنوبنا ، وكفر عنا سيئاتنا ، وتوفنا مع الأبرار ، ربنا وآتتنا ما وعدتنا على رسلك ، ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد» .

وكان عبد الله ينخير وقت السحر لدعائه أن يغفر الله له تأسياً بما فعل يعقوب عليه السلام مع بنيهِ ، فقد أخرج الطبري عن محارب بن دينار قال (٥) «كان عم لي يأتي المسجد ، فسمع إنساناً يقول : «اللهم دعوتني فأجبت ، وأمرتني فأطعت ، وهذا سحر فاغفر لي» قال : فاستمع الصوت ، فإذا هو من دار عبد الله بن مسعود ، فسأل عبد الله عن ذلك ، فقال : إن يعقوب أخر بتيه إلى السحر بقوله «سوف أستغفر لكم ربى إنه هو الغفور الرحيم» .

-
- ١ - ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٢ ص ٩٩ .
 - أبو نعيم : حلية الأولياء ، وطبقات الأصفياء ج ١ ص ١٢٧ .
 - ٢ - السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٢ ص ١١١ .
 - الصنعاني : سبل السلام ج ١ ص ٣٦٩ ، ٣٧٠ .
 - ٣ - سورة البقرة : آية ٢٠١ .
 - ٤ - سورة آل عمران : آية ١٩٣ .
 - ٥ - الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٣ ص ٦٤ مطبعة الحلبي .
 - ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٢٠ ط . بيروت سنة ١٩٦٦ .

. وكان عبد الله يعرف أن الفاضل من الدعاء مستجاب ، وأن ممّيعين على الاستجابة أن يدعو الداعي من قلبه ، وأن يكون الدعاء خالصاً لله .

قال (١) : إن الله لا يسمع من مسمع ، ولا من وراء ، ولا من لاعب ، ولا من داع دعاء إلا ثبتنا من قلبه .

وكان لعبد الله تأثير واضح في أدب الدعاء عند الصوفية ، فقد قالوا إن أقرب (٢) الدعاء إلى الإجابة دعاء الحال . ودعاء الحال أن يكون صاحبه مضطراً لا بد له مما يدعو لأجله ، كما ذكروا أن من آدابه حضور القلب ، وألا يكون ساهياً .

وكما كان عبد الله يقف في دعائه خائفاً (٣) مستجيراً بائساً مستغفراً ، راغباً راهباً ، فكل ذلك كان الصوفية حين يدعون يرون أن خير (٤) الدعاء ما هيئته الأحران .

١ - ابن حنبل : الزهد ص ١٥٩ .

٢ - القشيري : الرسالة القشيرية ص ١١٩ ، ١٢٠ .

٣ - ابن حنبل : الزهد ص ١٦٠ .

٤ - القشيري : الرسالة القشيرية ص ١٢١ .

الفصل الثاني

الحس اللغوي

على الرغم مما نذهب إليه من أن أدب فترة معينة في بيئة معينة قد يتشابه في جانب من ملامحه العامة من حيث الأفكار والموضوعات والألفاظ ، إلا أنه تبقى مع ذلك فروق عدة تميز أدب فرد عن آخر .

ويرجع ذلك إلى التفاوت في الإحساس ، والاختلاف في الأداء ، فعمود البلاغة هو (١) وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأنحص الأشكل به . الذي إذا أبدل مكانه غيره وجاء منه : إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام ، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة ، ذلك أن في الكلام ألفاظا متقاربة في المعاني بحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب ، والأمر فيها وفي ترتيبها عند علماء أهل اللغة بخلاف ذلك لأن لكل لفظة منها خاصية تتميز بها عن صاحبها في بعض معانيها ، وإن كانا قد يشتركان في بعضها .

وقد عرض الخطابي لبيان الفرق اللغوي بين لفظي البخل والشح ، وأوضح أن عبد الله قد نشرد بحس لغوي متميز ، بصره بالوقوف على الدلالة المرادة من الكلمة ، فخالف في أن يكون الشح يراد به البخل ، وإنما هو أكل مال الآخرين ظلما .

قال (٢) : «وأما الشح والبخل فقد زعم بعضهم أن البخل منع الحق وهو ظلم ، والشح ما يجده الشحيح في نفسه من الخزاة عند أداء الحق وإخراجه من يده . قال : ولذلك قيل : «الشحيح أعذر من الظالم» . قلت : وقد

١ - الخطابي : بيان إعجاز القرآن .

انظر ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني - تحقيق محمد خلف الله ، ومحمد زغلول سلام ص ٢٩ .

٢ - الخطابي : بيان إعجاز القرآن :

انظر ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر ص ٣٠ ، ٣١ .

.. الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٢٨ ص ٤٣ ط . شركة الحلبي .

في تفسير قوله تعالى : «ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» سورة الحشر آية ٩

السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٦ ص ١٩٦ .

وجدت هذا المعنى على العكس مما روى عن ابن مسعود : حدثنا أحمد بن إبراهيم بن مالك قال : حدثنا عمر بن حفص السدوسي قال : حدثنا المسعودي عن جامع بن شداد عن أبي الشعثاء قال : قلت لعبد الله بن مسعود : يا أبا عبد الرحمن إني أخاف أن أكون قد هلك . قال : ولم ذاك ؟ قلت : لأنني سمعت الله يقول : «ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء : قال : ليس ذاك الشح الذي ذكره الله في القرآن ، ولكن الشح أن تأكل مال أخيك ظلماً . ولكن ذاك البخل . وبشئ الشيء البخل .

وعندما يتقارب الاستعمال اللغوي لبعض الألفاظ في مواضع من الكلام يلوذ عبد الله بثقافته اللغوية . فيصل إلى المراد بالكلمة فيما استعملت فيه . أخرج الطبري عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابن مسعود أنه قيل له (١) : إن الله يكثر ذكر الصلاة في القرآن (٢) : «الذين هم عن صلاتهم ساهون» . (٣) «على صلاتهم دائمون» ، و (٤) «على صلاتهم يحافظون» فقال : ابن مسعود رضى الله عنه ، على مواقيتها . قالوا : ما كنا نرى ذلك إلا على الترك . قال : ذاك الكفر .

وأقول إن عبد الله نبه بذلك على أن استخدام «عن» في قوله تعالى «عن صلاتهم» يراد به الذهاب عن الوقت ولا شيء غيره . وقد ارتضى أهل اللغة هذا الاستخدام ، وأقروا ما ورد منه عليه . قال مالك بن دينار (٥) : جمعنا

١ - الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٦ ص ٩٩ مطبعة الحلبي .

٢ - سورة الماعون : آية ٥ .

٣ - سورة المارج : آية ٢٣ .

٤ - سورة الأنعام : آية ٩٢ .

٥ - الخطابي : بيان إعجاز القرآن .

: انظر ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٣٢ . ط دار المعارف سنة ١٩٦٨ .

الحسن لعرض المصاحف أنا وأبا العالية الرياحي ... فقال رجل : يا أبا العالية ، قول الله تعالى في كتابه «فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون» ما هذا السهو ؟ قال الذي لا يدري عن كم ينصرف ، عن شفع أو عن وتر ، فقال الحسن : مه يا أبا العالية ، ليس هذا . بل الذين سهوا عن ميقاتهم حتى تفوتهم ، قال الحسن : ألا ترى قوله عز وجل «عن صلاتهم» .

وقد علق الخطابي على ذلك ، فبين سبب خطأ قول أبي العالية ، وصحة رأى الحسن . وقد أصل رأيه على الاستعمال اللغوي وحده ، قال (١) : وإنما أتى أبو العالية في هذا حيث لم يفرق بين حرف «عن» و «في» فتنبه له الحسن فقال : ألا ترى قوله «عن صلاتهم» يؤيد أن السهو الذي هو الغلط في العدد إنما هو يعرض في الصلاة بعد ملابتها ، فلو كان هو المراد لقليل : في صلاتهم ساهون ، فلما قال عن صلاتهم دل على أن المراد به الذهاب عن الوقت .

وقد لفت عبد الله إلى الفروق الدقيقة في الاستعمال اللغوي للألفاظ ، فلفظ السحت عنده يعنى الرشوة ، واستعماله بهذا المعنى يقيده السياق ، ويقصد به أن يستعينك رجل على مظلمة فتعينه عليها ، أو يطلب منك حاجة فتقضيها له ، فيهدى لك هدية فتقبلها ، فإذا استخدم لفظ الرشوة في الحكم فإن دلالة تتغير ويقصد به عندئذ الكفر . أخرج الطبري عن مسلم بن صبيح قال (٢) : شفع مسروق لرجل في حاجة ، فأهدى له جارية ، فغضب غضبا شديدا ، وقال : لو علمت أنك تفعل هذا ما كلمت في حاجتك ، ولا أكلم فيما بقي من حاجتك ،

١ -- المرجع نفسه ص ٣٣ .

٢ -- راجع تفسيره قوله تعالى : «سمعون للكلب أكالون للسحت» سورة المسالة : آية ٤١

... الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٠ ص ٣٢١ ، ٣٢٢ .

السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٢ ص ٢٨٣ .

سمعت ابن مسعود يقول : «من شفع شفاعة ليرد بها حقاً ، أو يرفع بها ظلماً فأهدى له فقبل ، فهو سحت» ، فقيل له : يا أبا عبد الرحمن ، ما كنا نرى ذلك إلا الأخذ على الحكم . قال : الأخذ على الحكم كفر» ثم قرأ . ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» . «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون» ، «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون» (١) .

وفهم عبد الله أن لفظ أمة يعنى الذى يعلم الناس الخير . وأن القانت هو المطيع لله ورسوله . قال فروة بن نوفل الأشجعي . قال عبد الله بن مسعود : «إن (٢) معاذاً كان أمة قانتاً لله حنيفاً» . فقلت فى نفسى غلط أبو عبد الرحمن إنما قال الله تعالى : «إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله» فقال أتدرى ما الأمة ؟ وما القانت ؟ قلت : الله أعلم . قال الأمة الذى يعلم الخير . والقانت المطيع لله ورسوله . وكذلك كان معاذ بن جبل يعلم الخير . وكان مطيعاً لله ورسوله . وحمل لفظ الأمة على هذا المعنى يعنى أن عبد الله لم يكن ينظر إلى الكلمة المفردة ، وإنما يتبعها فى سياقها . ويقف على دلالتها من السياق (٣) «فالأمة لفظ مشترك بين معان منها الجمع الكبير من الناس . ثم يشبه به الرجل الصائم أو الملك أو المتفرد بطريقة وحده عن الناس» والاستعمال وحده هو الذى يحدد المراد به . والحس اللغوى الأصيل يلفت إلى هذا المراد . ويكشف عنه وكان عبد الله يستهدى الشعور الدينى فى الوقوف على دلالة ألفاظه . ويستنير بما استعملت فيه فى القرآن أو الحديث . فقد سأله (٤) زر بن حبیش

١ - سورة المائدة : آية ٤٤ ، آية ٤٥ ، آية ٤٧

٢ - الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن ج ١٤ ص ١٩١ .

فى تفسير قوله تعالى «إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً» سورة النحل : آية ١٢٠ .

- الزخشرى : الكشف ج ٢ ص ٦٤٢ .

٣ - أبو حيان : البحر المحيط ج ٥ ص ٥٤٧ .

٤ - الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن ج ١٤ ص ٥٢٣ .

عن «الأواه» ، فقال هو الدعاء ، وفي لسان العرب (١) ، رجل أواه ، قيل هو الدعاء ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : الأواه الدعاء . وقد صوب الطبري (٢) رواية زر عن عبد الله في معنى الأواه ، ورد رواية ثانية عن طريق يحيى بن الجزار عن أبي العبيدين عن عبد الله ، قال (٣) : الأواه الرحيم ، وهو على حق فيما فعل ، فيحيى (٤) بن الجزار غير معروف . وكان عبد الله يحمل بعض الألفاظ على أمور غيبية تخرج عن المسادة اللغوية لها في أية صورة منها . من ذلك أنه فهم «غيا» (٥) على أنه نهر في جهنم . روى أبو عبيدة عن عبد الله أنه قال في قوله تعالى (٦) «فسوف يلقون غيا» ، قال : نهر في جهنم خبيث . الطعم ، بعيد القعر .

وأنه أراد بلفظ «ويل» (٧) في قوله تعالى «ويل يومئذ للمكذبين» واديا . في جهنم يسيل فيه صديد أهل النار فجعل للمكذبين . وتشير قراءات عبد الله التفسيرية إلى علمه باللغة وبصره بها ، ففي قواه تعالى (٨) «أو يكون لك بيت من زخرف» قال مجاهد : كنا لا ندري ما الزخرف حتى رأيناه في قراءة ابن مسعود «أو يكون لك بيت من ذهب» .

- ١ .. ابن منظور : لسان العرب : مادة أوه ج ١٣ دار صادر بيروت سنة ١٩٥٦ .
- ٢ .. الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٤ ص ٥٢٢ .
- ٣ - الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٤ ص ٥٢٦ .
- ٤ - يحيى بن معين : التاريخ ج ٢ ص ٦٤٣ .
- ٥ .. الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٦ ص ١٠٠ .
- ٦ .. سورة مريم : آية ٥٩ .
- ٧ . السوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٦ ص ٣٠٣ .
- انظر سورة المرسلات : آية ١٥ .
- ٨ .. سورة الإسراء : آية ٩٣ .
- الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٥ ص ١٦٣ .
- .. وانظر النيسابوري : تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان على هامش تفسير الطبري ج ١٥ ص ١٦٣ .

وكانت ألفاظ عبد الله رغم بساطتها تحوى مضموناً عميقاً ، لا يكشف عن غوره لكل من يقف عليه ، وإنما يعطى قارئه بقدر ما يمعن النظر فيه .
قال (١) : «لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحل بذروته ، ولا يحل بذروته حتى يكون الفتر أحب إليه من الغنى ، والتواضع أحب إليه من الشرف ، وحتى يكون حامده وذامه سواء .

وقد فسر أصحابه ذلك فقالوا (٢) : «حتى يكون الفقر في الحلال أحب إليه من الغنى في الحرام ، والمواضع في طاعة الله أحب إليه من الشرف في معصية الله ، وحتى يكون حامده وذامه عنده في الحق سواء» .

وبمع هذا يبقى شيء في الكلمات ، فالمراد بالفقر في فكر الزهاد قد لا يقف بالضرورة عند حدوده المادية ، وإنما يتجاوز ذلك النطاق إلى الاحتياج إلى الله ، والتوجه بالسؤال إليه وطلب العون منه .

فحقيقة (٣) الفقر ألا يستغنى المرء إلا بالله ، وأما الغنى فهو الأمن بالله تعالى «وقد سئل الجنيد عن الافتقار إلى الله سبحانه وتعالى ، أهو أتم أم الاستغناء بالله تعالى ، فقال (٤) : «إذا صح الافتقار إلى الله عز وجل ، فقد صح الاستغناء بالله تعالى ، وإذا صح الاستغناء بالله تعالى كمل الغنى به ، فلا يقال أيهما أتم ، الافتقار أم الغنى لأنهما حالتان ، لا تتم إحداهما إلا بالأخرى» .

١ - أبو نعيم : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج ١ ص ١٣٢ .

٢ - أبو نعيم : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج ١ ص ١٣٢ .

٣ - القشيري : الرسالة القشيرية ص ١٢٣ .

٤ - القشيري : الرسالة القشيرية ص ١٢٣ .

- راجع قولهم : «صحة الفقر ألا يستغنى الفقير في فقره بشيء إلا بمن إليه فقره» .

- أحسن ما يتوصل به العبد إلى مولاه دوام الفقر إليه على جميع الأحوال . الرسالة القشيرية

ص ١٢٣ .

والتواضع (١) لا يكون من المرء لغيره فحسب ولكنه يكون (٢) في الخضوع للحق ، والانقياد له . والصوفية يقولون (٣) : حكم الفقير إذا مشى أن يتبختر لولا تواضعه .

وقد مد الصوفية بصرهم وهم يقولون بالمقامات إلى ما ورد عن عبد الله ابن مسعود في شأنها ، وإن كان ما أثر عنه فيما يتصل بها لا يعنى ما انتهوا إليه ، قال (٤) : «خير ما ألقى في القلب اليقين : وفسر اليقين بقوله (٥) : «ألا تحمد أحدا على رزق . ولا تلوم أحدا على ما لم يؤتك الله ، فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص ، ولا يرده كراهة كاره ، فإن الله بقسطه جعل الروح والفرح في اليقين والرضى ، وجعل الهم والحزن في الشك والسيخط .

أما الصوفية فيقولون (٦) : اليقين هو العلم المستودع في القلوب ، وهو العلم (٧) اللدنى الذى يأخذه العالم من ربه .

وهم يقولون (٨) : اليقين هو المكاشفة ، والمكاشفة في كلامهم عبارة عن ظهور الشيء للقلب باستيلاء ذكره من غير بقاء للريب ، وربما أرادوا بها ما يقرب مما يراه الرائي بين اليقظة والنوم . وهى عبارة عن نور (٩) يظهر في القلب عند تطهيره ، وتزكيته من صفاته المدمومة ، وينكشف من ذلك

١ - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد» . النزالي : إحياء علوم الدين ج ٦ ص ٩٩١ .

٢ - القشيري : الرسالة القشيرية ص ٦٩ .

٣ - القشيري : الرسالة القشيرية ص ١٢٥ .

٤ - الجاحظ : البيان والتبيين ج ١ ص ٢٤٠ .

٥ - ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص ٢٠٤ .

٦ - القشيري : الرسالة القشيرية ص ٨٣ .

٧ - النزالي : إحياء علوم الدين ج ٨ ص ١٣٨١ ط . الشعب .

٨ - القشيري : الرسالة القشيرية ص ٨٣ .

٩ - النزالي : إحياء علوم الدين ج ١ ص ٣٤ .

النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسماءها ، فيتوهم لها معاني مجملة غير متضحة ، فتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بها .

وقال عبد الله (١) : «الذكر ينبت الإيمان في القلب كما ينبت الماء البقل ، والغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل .

ويستوقفنا هنا لفظ الذكر ، ومقصد عبد الله منه القرآن ، وقد وردت هذه الدلالة في قوله تعالى :

— (٢) «ذلك تتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم» .

— (٣) «أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم» .

— (٤) «وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون» .

— (٥) «إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز» .

فأما الصوفية فالذكر في لغتهم هو أن يقول المرء (٦) : الله ، الله ، وهم يعقلون له المجالس ، وهو عندهم (٧) طريق الحق سبحانه ، فما سلك المريد طريقاً أصبح وأوضح منه ، ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر ، ومن خصائصه عندهم أنه (٨) غير مؤقت .

١ — ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج ١ ص ٢٩ .

— الغزالي : إحياء علوم الدين ج ٦ ص ١١٥٠ .

٢ — سورة آل عمران : آية ٥٨ .

٣ — سورة الأعراف : آية ٦٩ .

٤ — سورة الأنبياء : آية ٥٠ .

٥ — سورة فصلت : آية ٤١ .

٦ — القشيري : الرسالة القشيرية ص ١٠٣ .

٧ — القشيري : لطائف الإشارات ج ١ ص ٣١٦ .

٨ — يقول القشيري : «ما من وقت من الأوقات إلا والعبد مأمور بأن يذكر الله تعالى . اما فرضاً وإما ندباً ... والذكر بالقلب مستدام في عموم الحالات» الرسالة القشيرية ص ١٠٢

والصوفية في هذا يصححون أنفسهم على القرآن ، ويقفون عند قوله تعالى (١) : «يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا» .

(٢) «الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم» ،
ويؤكد هذا خطأ الذين يقولون (٣) : «إن الذكر ورياضات الزهد
الأخرى ترجع إلى أصول مسيحية» .

وهم يستنبطون من الآيات التي يؤصلون بها مذهبهم إشارات حقيقية لا يدل
عليها المعجم اللغوي لألفاظها ، ففي قوله تعالى (٤) : «فاذكروني أذكركم ،
واشكروا لي ولا تكفرون» يقول القشيري (٥) : «فاذكروني» مكتفين بي عن
عطائي وأفضالي «أذكركم» راضيا بكم دون أفعالكم ... «فاذكروني» بقطع
العلائق ، أذكركم بنعوت الحقائق .

١ - سورة الأحزاب : آية ٤١ .

٢ - سورة آل عمران : آية ١٩١ .

٣ - أ. ر. نيكلسون : الصوفية في الاسلام : ترجمة نور الدين شريعة ط . سنة ١٩٥١ .

٤ - سورة البقرة : آية ١٥٢ .

٥ - القشيري : لطائف الإشارات ج ١ ص ١٤٩ .

الخاتمة

أستطيع أن أقول في هذه الخاتمة ، وأنا مطمئن الخاطر أنى أوضحت أن مجموعة من الروافد تلاقى فيما بينها ، فكونت ثقافة عبد الله بن مسعود ، وأمدته بزاد علمى وتربوى زاخر ظل يستمد منه دون أن ينضب فيما استقبل من أيامه .

وكانت هذه الروافد : القرآن ، والسنة ، والدرس اللغوى ، وثقافة أهل الكتاب ، ولئن تفاوتت في مداها ، واختلفت في حجمها ، فإن القرآن الكريم ، والسنة النبوية كانت لهما الغلبة ، ذلك لأن حياة عبد الله قد أتاحت له أن ينال منهما قلدا ذا شأن .

ونحن لا نستطيع أن نفصل بين هذه العوامل في الواقع ، أو نحدد أثر كل منها على حدة ، فكلها تتصل بالنص القرآنى بسبب ، وتلوذ إليه برابط . وقد أثبتت هذه الدراسة أن دراسة الرسول صلى الله عليه وسلم في عبد الله قد صدقت ، حين دعا له بأنه غلام معلم .

كذلك صدقت توقعات عمر فيه حين بعثه إلى أهل الكوفة معلماً ليس له صوت ولا عصا ، ولكن له من هذه الثقافة التى حازها ما يجعل النفوس ترتاح إليه ، فتأخذ عنه ، وتستجيب له .

وقد وضح أن عبد الله كان على مستوى المسئولية التى كلف بها ، فكان حقا نعم المعلم ، أقرأ أبناء العراق القرآن فالتفوا حوله ، وأوضح لهم شروط التلاوة فلم يحيدوا عنها ، ووجههم إلى تدبره ، فاهتلوا بهديه، ونشروا العلم في الآفاق .

وفي مجال الحديث أكدت الدراسة أن عبد الله كان مقلا في الرواية بالنسبة

لغيره من: الصحابة على الرغم من أنهم لم يحظوا بمثل ما حظى به ، من اختصاص الرسول صلى الله عليه وسلم له ، وتقريبه منه ، وقد قلعت الأسباب التي أدت إلى ذلك ، وكان على رأسها تشديد عمر عليه في الإقلال من الرواية ثم إلزامه نفسه بهذا المنهج حتى لا يقع في الخطأ .

كذلك أوضحت الدراسة أن الجهد الذي بذله عبد الله قد أثمر ، فقد سبقت الكوفة غيرها إلى العناية بالحديث ، وكان فيها ستون شيخا من أصحابه ؛ ثم عرضت لما ذكر أنه أصبح الأسانيد ، وما قيل إنه أضعفها عنه ، وقبلت من ذلك ما دلت على أنه أحق بالقبول من غيره .

وقد أبرزت الدراسة أن عبد الله أقر أثناء عمله بالتعليم مجموعة من المبادئ التربوية التي ينبخر الإسلام بها ، فهي من التقدمية على سبق ، وهي في إطار زمانها وبيئتها تستحق أن يشاد بها ، وكان من ذلك :

- ... إثارة الرغبة في المتعلم .
- التسامى بالهدف من التعليم .
- ... العمل على أن تناسب مادة التعلم عقول المتعلمين .
- العلم ليس بكثرة الرواية ، وإنما العلم خشية الله .
- العلم ليس تلقيا واختزانا ، وإنما على المرء أن يعي ما يتعلم ليفيد منه ويعمل به .

- مذاكرة العلم لإحياء له .
- التأكيد على القلوة الحسنة ، ودورها في مجال التربية .
- ومما تعزز به هذه الدراسة أنها استطاعت — لأول مرة — أن تجمع شتاتا من أقوال عبد الله ، وتلم نثارا من كتاباته ، وتعرض لها بالدرس المتأنى ، فتثبت بحق أن عبد الله بما حاز من ثقافة ، وبما خبر من تعليم ، توفر لديه الاقتدار على التعبير بالكلمة في يسر وسهولة ، وكان له منهج متميز في أدبه .

فمن حيث الموضوعات التي غلبت عليه نجد أنها كانت تتصل بسبب بأدب الزهاد الذي يلور حول التحقير من شأن الدنيا ، وأنه لا ديمومة فيها ، وأن المرء عليه أن يمتلكها ، وليس له أن يجعلها تملكه ، وأن خير الغنى غنى النفس .

ومن حيث الأفكار ، فقد غلبت عليها الروح الدينية ، وانجهدت في جعلتها إلى الإيجاز ، وهي وإن بدت غير مترابطة إلا أن المدقق يجد خيطا يسلكها ، وهي تشف عن مكونات ثقافته حتى يمكننا أن نرد كثيرا منها إلى أصولها ومصادرها ،

ومن حيث الأسلوب فقد بدت عليه النزعة الدينية ، ولقد استهدى عبد الله أسلوب القرآن والحديث فيما قصد من التعبير ، ومن الشواهد على ذلك ما نجده في أسلوب القسم والدعاء ، والنهج الذي وردا عليه في أدبه .

ومن حيث الألفاظ فقد ثبت أن عبد الله قد انتبه إلى الفروق الدقيقة في استعمالها ، وقد أعانته على ذلك ثقافته الدينية واللغوية ، ومما يلفت هنا أنه كان يضمن الكلمات مضامين عميقة توجب التروى للوقوف عليها ، وربما كان ذلك سببا فيما نراه من رجوع بعض الصوفية إليه .

المصادر والمراجع

- ١ - الإبانة عن معاني القراءات :
أبو محمد مكى بن أبي طالب القيسى (٣٥٥ هـ - ٤٣٧ هـ) .
حققه وقدم له الدكتور محي الدين رمضان .
الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م دار المأمون للتراث - دمشق .
- ٢ - الاتجاهات الفكرية في التفسير :
دكتور الشحات السيد زغلول .
دار النجاح للطباعة سنة ١٩٧٥ .
- ٣ - الإتقان في علوم القرآن :
السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين
السيوطي (المتوفى سنة ٩١١ - ١٥٠٥ م) .
الطبعة الثانية ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م - مطبعة المعاهد .
- ٤ - أثر القراءات في الدراسات النحوية :
الدكتور عبد العال سالم علي .
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
- ٥ - الإحكام في أصول الأحكام :
ابن حزم : «أبو محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري» .
الطبعة الأولى سنة ١٣٤٥ هـ - مطبعة السعادة ، وطبعة مطبعة العاصمة ،
ومطبعة الامتياز سنة ١٩٧٨ .
- ٦ - إحياء علوم الدين :
الغزالي : محمد بن محمد أبو حامد المعروف بالغزالي .
طبع دار الشعب .

- ٧ - أخبار القضاة :
وكيع : محمد بن خلف بن حيان .
الطبعة الأولى . مطبعة الاستقامة . القاهرة ١٣٦٦ هـ . ١٩٤٧ م .
- ٨ - الأدب في التراث التصوفى :
دكتور محمد عبد المنعم خفاجى .
دار غريب للطباعة . القاهرة سنة ١٩٨٠ م .
- ٩ - إرشاد السارى إلى شرح صحيح البخارى
القسطلانى : أحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلانى (المتوفى ٧٥١ هـ) .
القاهرة - المطبعة المنيرية سنة ١٢٨٥ هـ .
- ١٠ - أسباب النزول :
السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن سابق الدين
السيوطى (المتوفى سنة ٩١١ هـ . ١٥٠٥ م) .
طبع القاهرة سنة ١٣٨٢ هـ . ١٩٦٣ م مطابع شركة الإعلانات الشرقية
- ١١ - أسباب النزول :
النيسابورى : أبو الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى المتوفى سنة
٤٦٨ هـ .
مطبعة دار الاتحاد العربى للطباعة سنة ١٣٨٨ هـ . ١٩٦٨ م .
- ١٢ - الاستيعاب فى معرفة الأصحاب :
ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (٤٠٣ هـ
١٠٧١ م) . تحقيق على محمد البجاوى .
مطبعة نهضة مصر .
- ١٣ - الإسرائيليات فى التفسير والحديث :
دكتور محمد السيد حسين الذهبى .

- دار النصر للطباعة (سنة ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م) .
- ١٤- الإسرائيلية والموضوعات في كتب التفسير :
دكتور محمد بن محمد أبو شهبه .
طبع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية سنة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
- ١٥- أسرار العربية :
ابن الأنباري : أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري
مطبعة الترقى - دمشق ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م .
- ١٦- أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد :
«رسالة نشرت مع كتاب جوامع السيرة» .
ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (٣٨٤ هـ - ٤٥٦ م)
تحقيق الدكتور إحسان عباس ، والدكتور ناصر الدين الأسد .
ط . دار المعارف - مصر .
- ١٧- الإصابة في تمييز الصحابة :
العسقلاني : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفى سنة ٨٥٢ هـ) .
حقق أصوله ، وضبط أعلامه ، ووضع فهرسه علي محمد البجاوي .
طبع دار الثقافة العربية - ومطبعة السعادة سنة ١٣٢٨ .
- ١٨- الأعلام : «قاموس تراجم» :
الزركلي : خير الدين الزركلي .
الطبعة الثالثة .
- ١٩- أعلام الموقعين عن رب العالمين :
ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية
«المتوفى ٧٥١ هـ - ١٣٥٠ م» .
راجعته وقدم له ، وعلق عليه طه عبد الرؤوف سعد .

- طبع دار الجليل - بيروت لبنان سنة ١٩٧٣ .
- ٢٠- الأغاني :
- أبو الفرج الأصفهاني : علي بن الحسين أبو الفرج الأصفهاني .
- «توفي ٣٥٦ هـ - ٩٦٧ م» .
- طبع بولاق سنة ١٣٧٥ هـ - ودار الكتب .
- ٢١- الأمالي :
- القالي : أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (٢٨٨ هـ - ٣٥٦ هـ) .
- مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م .
- ٢٢- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به :
- الباقلاني : أبو بكر بن الطيب الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ هـ .
- تحقيق محمد زاهد بن الحسن الكوثري .
- مؤسسة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م .
- ٢٣- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك :
- ابن هشام : أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله
- ابن هشام الأنصاري المصري المتوفى في سنة ٧٦١ هـ .
- مطبعة السعادة - الطبعة الثالثة سنة ١٩٤٩ .
- ٢٤- الإيضاح في علوم البلاغة :
- القزويني : جلال الدين محمد بن القاضي سعد الدين أبو القاسم
- عبد الرحمن بن إمام الدين عمر القزويني (٦٦٦ هـ - ٧٧٩) .
- شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي .
- مطبعة مكتبة الحسين التجارية - الطبعة الأولى ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م .
- ٢٥- الباحث الحثيث في اختصار علوم الحديث :

- ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي (٧٠١ هـ - ٧٧٤ هـ) .
طبع دار الفكر - بيروت - دار التراث العربي سنة ١٩٧٩ .
- ٢٦- الباعث الحثيث «شرح اختصار علوم الحديث» :
أحمد محمد شاكر .
الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م دار مصر للطباعة .
- ٢٧- البحر المحيط :
أبو حيان : محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي
الغرناطي المتوفى سنة ٧٤٥ هـ .
طبع القاهرة سنة ١٣٢٩ .
- ٢٨- البسء والتاريخ :
المنسوب إلى أبي زيد أحمد بن سهل البلخي المتوفى سنة ٩٣٤ م ، وهو
لمظهر بن طاهر المقدسي .
طبع باريس سنة ١٩١٦ .
- ٢٩- البداية والنهاية في التاريخ :
ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ
مكتبة المعارف - بيروت سنة ١٩٦٦ .
- ٣٠- البرهان في علوم القرآن :
الزركشي : أبو عبد الله ، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي
المتوفى ٧٩٤ هـ - ١٣٩١ م .
القاهرة - دار إحياء الكتب العربية سنة ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م .
- ٣١- بيان إعجاز القرآن :
الخطابي .
رسالة نشرت ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي ،

- وعبد القاهر الجرجاني . . .
- تحقيق محمد خليف الله - والدكتور محمد زغلول سلام .
- ٣٢ - البيان والتبيين :
- الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى المتوفى سنة ٢٥٥ هـ - ٨٦٩ م .
- طبع لبنان سنة ١٩٦١ .
- ٣٣ - تأويل مختلف الحديث :
- ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى المتوفى ٢٧٦ هـ - ٨٨٩ م .
- طبع دار الكتاب العربى - بيروت .
- ٣٤ - تاج العروس من جواهر القاموس :
- الزبيدى : أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسينى الواسطى الزبيدى .
- الطبعة الأولى - المطبعة الخيرية - مصر سنة ١٣٠٦ هـ .
- ٣٥ - التاريخ :
- يحيى بن معين : يحيى بن معين بن غياث بن زياد بن عون بن بسطام .
- (ولد ١٥٨ هـ - توفى ٢٣٣ هـ) .
- دراسة وترتيب وتحقيق الدكتور أحمد محمد نوزيوسف .
- الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- مطابع الهيئة العامة للكتاب .
- ٣٦ - تاريخ بغداد أو مدينة السلام :
- البغدادى : أبو بكر أحمد على الخطيب البغدادى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ
- مطبعة السعادة بمصر ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م .

- ٣١ - تاريخ الرسل والملوك :
الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ هـ - ٣١٠ هـ) .
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .
طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٦١ - الطبعة الثانية .
- ٣٢ - تاريخ القرآن :
دكتور عبد الصبور شاهين .
دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة .
- ٣٣ - تحذير الخواص من أكاذيب القصص :
السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين
السيوطي (٨٤٩ هـ - ٩١١ هـ) .
تحقيق الدكتور محمد لطفي الصباغ .
الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م المكتب الإسلامي - بيروت .
- ٣٤ - تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي :
السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين
السيوطي « ٨٤٩ هـ - ٩١١ م » .
راجع عبد الوهاب عبد اللطيف . .
الطبعة الأولى ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م .
- ٣٥ - تذكرة الحفاظ :
الذهبي : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (توفي سنة ٧٤٨ هـ - ١٣٤٧ م)
الطبعة الرابعة - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن
بالهند سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م - وطبعة دار إحياء التراث العربي .

- ٣٦ - التعريفات :
الجرجاني : علي بن محمد الشريف الجرجاني .
طبع لبنان سنة ١٩٦٩ .
- ٣٧ - تفسير القرآن العظيم :
ابن كثير : إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي «المتوفى سنة ٧٧٤ هـ» .
طبعة التجارية - طبعة بيروت سنة ١٩٦٦ .
- ٣٨ - تفسير القرآن الكريم : المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل :
البيضاوي : أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (توفي
سنة ٧٩١ هـ) .
الطبعة الثانية ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ م .
- ٣٩ - تقييد العلم :
البغدادى : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (٣٩٢ هـ
٤٦٣ هـ) .
صدره وحقه وعلق عليه يوسف العش .
الطبعة الثانية ١٩٧٤ - نشر دار إحياء السنة النبوية .
- ٤٠ - تهذيب الأسماء واللغات :
النووي : أبو زكريا محي الدين شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ .
طبع بيروت .
- ٤١ - تهذيب التهذيب :
العسقلاني : شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني
المتوفى سنة ٨٥٢ هـ .
الطبعة الأولى ١٣٦٩ هـ .

- ٤٢ — جامع الأصول في أحاديث الرسول
ابن الأثير : مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد : ابن الأثير الجزري
(٥٤٤ هـ - ٦١٦ هـ) .
حقق نصوصه عبد القادر الأرناؤوط .
ط . بيروت ١٣٨٩ - ١٩٦٩ م .
- ٤٣ — جامع بيان العلم وفضله ، وما ينبغي في روايته وحمله :
ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبي الأندلسي .
(٣٦٨ هـ - ٤٦٣ هـ) .
ضبط غريبه ، وصححه ، وراجع أصوله عبد الرحمن محمد عثمان .
مطبعة العاصمة - القاهرة - الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- ٤٤ — جامع البيان عن تأويل آي القرآن .
الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ .
طبع بولاق - طبع مصطفى الحلبي - دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٩ م .
- ٤٥ — الجامع لأحكام القرآن :
القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة
٦٧١ هـ .
طبعة سنة ١٩٥٢ ، دار الشعب .
- ٤٦ — جبهة اللغة :
ابن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري المتوفى سنة ٣٢١ هـ
طبعة مكتبة المثنى ببغداد .
- ٤٧ — حاشية السندي على سنن النسائي :
السندي : أبو الحسن نور الدين بن عبد الهادي السندي توفى سنة ١١٣٨ هـ
الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠ المطبعة المصرية .

- ٤٨ — حاشية الصبان على الأشموني :
الصبان : محمد بن علي الصبان .
مطبعة مصطفى محمد .
- ٤٩ — الحجة في القراءات السبع :
ابن خالوية : الحسين بن أحمد بن خالوية بن حمدان توفي سنة ٣٧٠ هـ
مطبعة دار الشروق — بيروت .
- ٥٠ — الحطام المتناثر في تضاعيف اللغة العربية :
دكتور عبد العزيز برهام .
- ٥١ — حلية الأولياء وطبقات الأصفياء :
أبو نعيم : أحمد بن عبد الله الأصبهاني . المتوفى سنة ٤٣٠ هـ .
مطبعة السعادة سنة ١٩٢٣ م ، الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م .
- ٥٢ — الحصائص :
ابن جني : أبو الفتح عثمان بن جني .
حققه محمد علي النجار .
مطبعة دار الهدى للطباعة والنشر — بيروت — الطبعة الثانية ، ومنطبعة
دار الكتب المصرية ١٣٧٦ — ١٩٥٦ م .
- ٥٣ — خلق أفعال العباد :
البخاري :
رسالة نشرت ضمن كتاب عقائد السلف .
- ٥٤ — دائرة المعارف الإسلامية : النسخة العربية .
تحرير وإعداد : إبراهيم زكي خورشيد ، وأحمد الشنتناوي ،
وعبد الحميد يونس .

- ٥٥ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور :
السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين
السيوطي (المتوفى سنة ٩١١ هـ - ١٥٠٥ م) .
نشر بيروت .
- ٥٦ - دراسات في القرآن والحديث :
الدكتور يوسف خليف .
دار غريب للطباعة - القاهرة سنة ١٩٨١ .
- ٥٧ - الرد على الجهمية :
السدarmi
رسالة نشرت ضمن كتاب عقائد السلف .
- ٥٨ - الرد على المريسي :
السدarmi .
رسالة نشرت ضمن كتاب عقائد السلف
- ٥٩ - رسالة في المفاضلة بين الصحابة :
ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (٣٨٤ هـ - ٤٥٦ هـ)
- ٦٠ - الرسالة القشيرية في علم التصوف :
القشيري : أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (٣٧٦ هـ - ٤٦٥ هـ)
طبعة سنة ١٣٦٧ - ١٩٥٧ م .
- ٦١ - الزهد :
أحمد بن حنبل : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني
نسخة مصورة - الناشر - دار عمر بن الخطاب للنشر والتوزيع .
- ٦٢ - سبل السلام : شرح بلوغ المرام من جميع أدلة الأحكام .
الصنعاني : محمد بن إسماعيل بن صلاح الصنعاني (١٠٥٩ هـ - ١١٨٢ هـ)

تحقيق إبراهيم عصر .

نشر دار الحديث .

٦٣ - سر صناعة الإعراب :

ابن جنى : أبو بكر عبد الواحد بن عرس بن فهد بن أحمد الأزدي .

حققه مصطفى السقا وآخرون .

الطبعة الأولى سنة ١٩٥٤ .

٦٤ - السنة قبل التدوين :

دكتور محمد عجاج الخطيب .

نسخة مصورة - الناشر مكتبة وهبة - عن الطبعة الأولى سنة ١٣٨٣ هـ

١٩٦٣ م .

٦٥ - سنن الترمذى :

الترمذى : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩ هـ - ٢٩٧ هـ) .

مطبعة مصطفى البابي الحلبي - الطبعة الأولى سنة ١٩٣٧ م .

٦٦ - سنن الدارمى :

الدارمى : عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد

التميمي السمرقندي ، المتوفى سنة ٢٥٥ .

نسخة مصورة - نشر دار إحياء السنة النبوية - بيروت .

٦٧ - السنن الكبرى :

البيهقي : أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ .

نسخة مصورة - دار الفكر - بيروت .

٦٨ - سنن المصطفى :

ابن ماجه : أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧ هـ - ٢٧٥ هـ) .

الطبعة الأولى - المطبعة التازية .

٦٩ - سنن النسائي :

النسائي : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر بن سنان بن دينار النسائي (٢١٥ هـ - ٣٠٢ هـ) .

المطبعة المصرية بالأزهر - الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠ م .

٧٠ - سير أعلام النبلاء :

الذهبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٢ م .

٧١ - السيرة النبوية :

ابن هشام : أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري (المتوفى سنة ٢١٣ هـ) طبع مؤسسة نبع الفكر العربي للطباعة . وشركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي .

٧٢ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب :

ابن العماد الحنبلي : عبد الحى بن العماد الحنبلي (المتوفى سنة ١٠٨٩) . ط . بيروت .

٧٣ - شرح ابن عقيل :

ابن عقيل : بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي (٦٩٨ - ٧٦٩ هـ) . مطبعة السعادة بمصر ، الطبعة الخامسة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٧ م .

٧٤ - شرح الأبي على صحيح مسلم (المسمى إكمال إكمال المعلم) .

الأبي : أبو عبد الله محمد بن خليفة الوشتاني الأبي المتوفى سنة ٨٢٧ هـ . مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٨ هـ .

٧٥ - شرح أشعار الهدليين :

السكرى : أبو سعيد الحسن بن الحسين السكرى .

حققه عبد الستار فراج .

مطبعة المدنى .

- ٧٦ - شرح السنوسى على صحيح مسلم المسمى «مكمل إكمال الأكمال» :
السنوسى : أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف السنوسى . المتوفى سنة
٨٩٥ هـ .
مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٨ : .
- ٧٧ - شرح السيوطى على سنن النسائى :
السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن سابق
الدين السيوطى .
طبع فى ذيل سنن النسائى - المطبعة المصرية - الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨ هـ
١٩٣٠ م .
- ٧٨ - شرح شافية ابن الحاجب :
الاسترايلى : رضى الدين محمد بن الحسن الاسترايلى سنة ٦٨٦ هـ
دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ١٣٦٥ هـ - ١٩٧٥ م .
- ٧٩ - شرح المفصل :
ابن يعيش : موفق الدين يعيش بن على بن يعيش النحوى المتوفى سنة
٦٤٣ هـ .
إدارة الطباعة المنيرية .
- ٨٠ - شرح المسند : «انظر المسند لأحمد بن حنبل» .
أحمد شاكر .
طبعة دار المعارف القاهرة ١٩٤٦ .
- ٨١ - شرح نهج البلاغة :
ابن أبى حديد (٥٨٦ - ٦٥٦ هـ) .

- قام بتحقيقه الشيخ حسن تميم .
دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر - بيروت .
- ٨٢ - شرح النووى على صحيح مسلم :
النووى : أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الجزامى الشافعى (٦٣١ هـ -
٦٧٦ هـ) .
نسخة مصورة - نشر مكتبة زهران .
- ٨٣ - شرف أصحاب الحديث :
البغدادى : أبو بكر أحمد بن على بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب
البغدادى «٣٩٢ هـ - ٤٦٣ هـ» .
طبع لاهور - باكستان ١٩٦٤ م .
- ٨٤ - شعر الهذليين فى العصر الجاهلى والإسلام :
دكتور أحمد كمال زكى .
دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة سنة ١٩٦٩ م .
- ٨٥ - الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العربية فى كلامها :
ابن فارس : أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا الرازى القزوينى .
(المتوفى سنة ٣٩٥ هـ) .
مطبعة المؤيد - القاهرة ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م .
- ٨٦ - صحيح البخارى :
البخارى : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه
طبع المطبعة الخيرية - وطبع دار الشعب .
- ٨٧ - صحيح مسلم بشرح النووى :
مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشان القشيرى
النيسابورى المتوفى سنة ٢٦١ هـ .

- نسخة مصورة عن طبعة المطبعة المصرية ومكتبتها - نشر مكتبة زهران
 ٨٨ - صفوة الصفوة :
- ابن الجوزي : جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي (٥١٠ - ٥٩٧ هـ) .
 الطبعة الثانية سنة ١٩٦٨ .
- ٨٩ - الصوفية في الإسلام :
 ا. ر. نيكلسون . .
 ترجمة نور الدين شريعة .
 طبعة سنة ١٩٥١ .
- ٩٠ - طبقات الفقهاء :
 الشيرازي : أبو إسحاق الشيرازي الشافعي (٣٩٣ - ٤٧٦ هـ) .
 حققه وقدم له الدكتور إحسان عباس .
 ط . بيروت سنة ١٩٧٠ .
- ٩١ - الطبقات الكبرى :
 ابن سعد : محمد بن سعد بن معن (توفي سنة ٢٣٠ هـ) .
 طبع دار بيروت للطباعة سنة ١٩٥٧ م .
- ٩٢ - عقائد السلف :
 دكتور على سامي النشار - عمار جمعي الطالبي .
 طبع منشأة المعارف سنة ١٩٧١ الإسكندرية .
- ٩٣ - العقد الفريد :
 ابن عبد ربه : أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي .
 مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٧٢ - ١٩٥٢ .
- ٩٤ - علل الحديث ومعرفة الرجال :
 المديني : علي بن عبد الله المديني (١٦١ - ٢٣٤ هـ) .

حققه وعلق عليه الدكتور عبد المعطى أمين قلعجى .
(الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م) .

٩٥ - علوم الحديث ومصطلحه :

دكتور صبحى الصالح .

طبع ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م - مطبعة دار العلم للملايين .

٩٦ - العواصم من القواصم :

ابن العربى : أبو بكر العربى توفى سنة ٥٤٢ هـ .

تحقيق محب الدين الخطيب .

الدار السعودية للنشر - الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ - جدة .

٩٧ - عيون الأثر فى فنون المغازى والشهائل والسير :

ابن سيد الناس .

الطبعة الأولى سنة ١٩٧٧ .

٩٨ - غريب القرآن ورغائب الفرقان :

النيسابورى : نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى .

على هامش جامع البيان فى تفسير القرآن لمحمد بن جرير الطبرى .

المطبعة الأميرية سنة ١٣٢٣ هـ .

٩٩ - غاية النهاية فى طبقات القراء :

ابن الجرى : شمس الدين أبو الخير محمد بن الجزرى (المتوفى ٨٣٣ هـ

١٤٢٩ م) .

عنى بنشره برجستر اسر .

طبعة سنة ١٣٥١ - ١٩٣٢ .

- ١٠٠ - فتح البارى بشرح صحيح البخارى :
ابن حجر العسقلانى : أبو الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى .
المتوفى (٨٥٥ هـ - ١٤٤٨ م) .
المطبعة الخيرية سنة ١٣١٥ هـ - المطبعة البهية ١٣٤٨ هـ .
- ١٠١ - فجر الإسلام :
أحمد أمين .
مطبعة الاعتماد ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٨ م .
- ١٠٢ - الثموائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة :
الشوكانى : محمد بن على الشوكانى المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ .
تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمى اليمانى .
مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٨٠ هـ .
- ١٠٣ - فى تاريخ العربية :
نهاد موسى .
- ١٠٤ - فى اللهجات العربية :
الدكتور إبراهيم أنيس .
الطبعة الرابعة - المطبعة الفنية الحديثة سنة ١٩٧٣ .
- ١٠٥ - فيض القدير شرح الجامع الصغير :
المنائى : محمد عبد الرؤوف المناوى .
مطبعة مصطفى محمد ، الطبعة الأولى ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٨ م .
- ١٠٦ - القاموس المحيط :
الفيروزابادى : محمد بن يعقوب الملقب بمجد الدين والمعروف —
بالفيروزابادى .
المطبعة الأميرية - القاهرة .

١٠٧ - القراءات الشاذة :

ابن خالوية : أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن حمدان بن خالوية .
الطبعة الأولى سنة ١٩٣٤ - المطبعة الرحمانية بمصر .

١٠٨ - القراءات القرآنية : تاريخ وتعريف .
الدكتور عبد الهادي الفضلي .

طبع دار العلم - الطبعة الثانية ١٩٨٠ .

١٠٩ . قواعد في علوم الحديث :

التهانوي : ظفر أحمد العثماني التهانوي

حققه وراجع نصوصه وعلق عليه عبد الفتاح أبو غده

الطبعة الثالثة - لبنان ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م مطابع دار القلم .

١١٠ - قوت القلوب

أبو طالب المكي : أبو طالب محمد بن أبي الحسن علي بن عباس المكي
(المتوفى ٣٨٦) - الطبعة الأولى (١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م) .
المطبعة المصرية .

١١١ - الكتاب :

سيبويه : أبو بشر عمرو الملقب سيبويه .

الطبعة الأولى المطبعة الأميرية بولاق سنة ١٣١٦ هـ .

١١٢ - كتاب الإبدال :

ابن السكيت . أبو يوسف يعقوب بن السكيت

طبع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٧٨ م .

١١٣ - الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل :

الزمخشري : محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري (٤٦٧-٥٣٨) .

مطبعة الاستقامة - القاهرة - الطبعة الأولى ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م .

- ١١٤ — لسان العرب :
- ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي
طبع بيروت ١٩٥٦ م — ١٣٧٥ هـ .
- ١١٥ — لطائف الإشارات :
- القشيري : عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة المكنى بأبي
القاسم المعروف بالقشيري .
طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب -- ودار الكاتب العربي للطباعة والنشر .
- ١١٦ — اللمع :
- الطوسي : أبو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي (توفي سنة ٣٧٨ هـ)
تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود — طه عبد الباقي سرور ..
مطبعة السعادة سنة ١٣٨٠ هـ -- ١٩٦٠ م .
- ١١٧ -- اللهجات العربية في القراءات القرآنية :
- دكتور عبده الراجحي .
مطبعة م.ك. محمد محمود مسعد بالإسكندرية سنة ١٩٦٨ .
- ١١٨ — مجموعة الرسائل والمسائل :
- ابن تيمية : تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية (المتوفى
سنة ٧٢٨ هـ — ١٣٢٨ م) .
الطبعة الأولى .
- ١١٩ — محاسن الاصطلاح (انظر مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح) :
- البلقيني : سراج الدين عمر البلقيني
تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن .
مطبعة دار الكتب سنة ١٩٧٤ .

- ١٢٠ — المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها
ابن جنى : أبو الفتح عثمان بن جنى .
تحقيق على النجدي ناصف والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلي .
مطبعة دار التحرير القاهرة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
- ١٢١ — المحدث الفاصل بين الراوى والواعى :
الرامهرمزي : الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي (٢٦٠ هـ - ٣٦٠ هـ)
الطبعة الأولى : بيروت ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .
- ١٢٢ — مجمع الزوائد ومنبع الفوائد :
الهيثمي : نور الدين الهيثمي :
طبع القدسي - القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ .
- ١٢٣ — مختصر تفسير ابن كثير :
محمد علي الصابوني .
طبعة دار القرآن الكريم - بيروت - الطبعة السابعة سنة ١٤٠٢ هـ -
١٩٨١ م .
- ١٢٤ — المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز :
أبو شامة : شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف
بأبي شامة المقدسي .
طبعة (١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م) دار صادر بيروت .
- ١٢٥ — المزهر في علوم اللغة وأنواعها :
السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين السيوطي
المتوفى سنة ٩١١ هـ - ١٥٠٥ م .
طبع دار إحياء الكتب العربية ، وطبع الحلبي سنة ١٩٥٨ .
- ١٢٦ — المساعد على تسهيل الفوائد :
ابن عقيل : بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي (٦٩٨ - ٧٦٩ هـ) .

تحقيق الدكتور محمد كامل بركات .

دار الفكر بدمشق ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

١٢٧ - المسند :

ابن حنبل : أحمد بن محمد بن محمد بن حنبل (المتوفى سنة ٢٤١ هـ - ٨٠٤ م) .

تحقيق أحمد محمد شاكر .

دار المعارف - القاهرة .

١٢٨ - المصاحف :

السجستاني . أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث .

الطبعة الأولى ١٩٣٦ م - ١٣٥٥ هـ المطبعة الرحمانية بمصر .

١٢٩ - مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية :

الدكتور ناصر الدين الأسد .

الطبعة الرابعة سنة ١٥٦٥ م - مطبعة دار المعارف بمصر .

١٣٠ - مصادر اللغة :

دكتور عبد الحميد الشلقاني .

مطبعة جامعة الرياض سنة ١٩٨٠ .

١٣١ - المعارف :

ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢١٣ هـ - ٢٧٦ هـ) .

تحقيق الدكتور ثروت عكاشة .

الطبعة الثانية - دار المعارف مصر - مطبعة دار الكتب سنة ١٩٦٠ .

١٣٢ - معاني القرآن :

الفراء : أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ - ٨٢٢ م .

مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٧٤ - ١٩٥٥ م .

- ١٣٣ - معجم الأدباء :
ياقوت الحموى .
طبع دار المأمون سنة ١٩٣٦ .
- ١٣٤ - معجم قبائل العرب القديمة والحديثة :
عمر رضا كحالة .
دار العلم للملايين - بيروت ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- ١٣٥ - معرفة علوم الحديث :
النيسابورى : أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابورى (٣٢١-٤٠٥) .
المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - الطبعة الثانية
سنة ١٩٧٧ م .
- ١٣٦ - معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار :
الدهبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الدهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ
تحقيق محمد سيد جاد الحق .
الطبعة الأولى - مطبعة دار التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٦٩ .
- ١٣٧ - مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم :
طاش كبرى زاده : أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده .
تحقيق كامل بكري أمين - عبد الوهاب أبو النور .
مطبعة الاستقلال الكبرى .
- ١٣٨ - مفتاح كنوز السنة :
الدكتور أ.ى. فنسلك .
نقله إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقي .
نسخة مصورة عن طبعة معارف لاهور سنة ١٣٩٧ - مطابع الشعب
سنة ١٣٧٨ هـ .

١٣٩ — مفردات ألفاظ القرآن :

الراغب الأصفهاني : أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل .
تحقيق نديم مرغشلي .

مطبعة التقدم العربي سنة ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م — دار الكتاب العربي .

١٤٠ — المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام :

الدكتور جواد علي .

الطبعة الأولى — بيروت سنة ١٩٧٠ م .

١٤١ — مقدمة ابن الصلاح :

ابن الصلاح : عثمان بن عبد الرحمن الصلاح « ٥٧٧ هـ — ٦٤٣ هـ » .
توثيق وتحقيق الدكتور عائشة عبد الرحمن .

مطبعة دار الكتب سنة ١٩٧٤ .

١٤٢ — الموطأ :

مالك : أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي (٩٣ هـ -- ١٧٩ هـ) .
رواية محمد بن الحسن الشيباني .

الطبعة الثانية ١٣٨٧ — ١٩٦٧ م .

١٤٣ — ميزان الاعتدال في نقد الرجال :

الذهبي : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ — ١٣٤٨ م
مطبعة الحلبي .

١٤٤ — النشر في القراءات العشر :

ابن الجزري : شمس الدين محمد بن محمد اللمشي المتوفى سنة ١٨٣٣ هـ —
١٤٢٩ م .

القاهرة : مطبعة مصطفى محمد .

١٤٥ -- نهاية الأرب في فنون الأدب :

النويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى (٦٧٧ - ٧٧٣هـ)
نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب .

١٤٦ . نيل الأوطار : شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخبار .

الشوكانى : محمد بن على بن محمد الشوكانى المتوفى سنة ١٢٥٥ هـ .

الطبعة العثمانية المصرية - . الطبعة الأولى سنة ١٣٥٧ هـ .

الطبعة الثانية ١٣٧١ - . ١٩٥٢ مطبعة مصطفى البابى الحلبي .

١٤٧ -- هداية السالك إلى توضيح أوضاع المسالك :

محمد محي الدين بن عبد الحميد .

طبع مع كتاب أوضاع المسالك إلى ألفية ابن مالك .

مطبعة السعادة . الطبعة الثالثة سنة ١٩٤٩ مصر .

فهرس الأعـلام

- | | |
|--|---|
| <p>ابن حزم ٤٣ ، ١٢٧ ، ١٣٦ .
 الحسن البصرى ٢٩ .
 الحسن بن الحر ١٣٧ ، ١٣٨ .
 الحسن بن على الجعفى ٣١ .
 أبو حيان ٦٨ .</p> <p style="text-align: center;">خ</p> <p>بن خالويه ٨٢ .
 الخطيب البغدادى ١٢٧ .
 أبو خيثمة ١٣٧ ، ١٣٨ .</p> <p style="text-align: center;">د</p> <p>أبو اللرداء ١٢٦ ، ١٥١ .
 ابن أبى الدنيا ١٠٠ .
 الديلمى ١٧١ .</p> <p style="text-align: center;">ذ</p> <p>أبو ذر ١٢٦ .
 الدهبى ١٢٧ .</p> <p style="text-align: center;">ر</p> <p>أبو رافع ١٣٤ .
 الربيع بن خيثمة ١٢٢ .</p> <p style="text-align: center;">ز</p> <p>الزبىدى ٦٣ .
 ابن الزبير ١٣٤ .
 زر بن حبيش ٣٩ ، ٥٣ ، ٨٠ .
 الزركشى ٣٨ .
 الزنجشى ٧١ .
 أبو زيد ٧٨ .
 زيد بن ثابت ١٥١ .
 زيد بن وهب ١١٩ .
 زينب الثقفية ١٣٤ .</p> | <p>إبراهيم أنيس ٧٧ ، ٨١ ، ٨٧ .
 إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ١٢٦ .
 ابن الأثير ٤٤ ، ١٣٦ .
 أحمد بن حنبل ٤٣ ، ٩٥ ، ١٧٠ .
 أحمد زكى ٥٦ .
 أحمد شاكر ١٢٧ .
 أبو إسحق ٣٧ .
 ابن اسحق ٢٤ .
 الأصمعى ٥٦ .
 الأعمشى ١٣٦ ، ١٣٩ .
 أبو أمامة ١٣٤ .
 ابن الأنبارى ٣٥ ، ٣٧ ، ٩٦ .</p> <p style="text-align: center;">ب</p> <p>البخارى ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٥ ، ٤٤ ، ٩٤ .
 أبو بكر ١٦٠ .</p> <p style="text-align: center;">ث</p> <p>أبو ثور العهنى ١٣٤ .</p> <p style="text-align: center;">ج</p> <p>جابر بن عبد الله ١٣٤ .
 أبو جعفر بن جرير الطبرى ٢٨ ،
 ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٣ .
 ابن جنى ٥٨ ، ٧٠ .
 ابن الجوزى ١٦٤ .</p> <p style="text-align: center;">ح</p> <p>ابن أبى حاتم ٩٤ ، ١٤٧ ، ١٦٨ .
 الحارث الأعور ١٥٢ .
 الحاكم النيسابورى ٩٤ ، ١٣٨ .
 الحجاج بن مالك ١٣٤ .
 ابن حجر العسقلانى ١١٥ ، ١٦٣ .</p> |
|--|---|

س

- سالم بن عبد الله ١٣٧ .
 سالم مولى أبي حذيفة ٣٤ .
 السلمي ١٢٢ .
 سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن
 عوف ١٢٦ .
 سعد بن معاذ ١٣٢ .
 سعيد بن المسيب ١٣٧ .
 أبو سعيد الخدري ١٣٤ .
 سفيان الثوري ١٣٦ .
 سلمان الفارسي ١٥٠ .
 سهم بن منجاب ١٣٥ .
 السيوطي ١١٥ .

ش

- شريح ١٣٥ ، ١٥١ ، ١٥٢ .
 شريك ١٣٧ .
 شعبة ١٢٦ ، ١٢٧ .
 الشعبي ١٣٥ .
 شقيق بن سلمة ٣٥ .
 الشوكاني ١٦٤ .
 شيان ٣٩ .
 ابن أبي شيبه ٩٤ ، ١٢١ .

ص

- صفوان بن عسال ١٣٢ .
 الصنعاني ٤٤ .

ط

- طارق بن شهاب ١٣٤ .
 الطبراني ٩٤ .
 أبو الطفيل ١٣٤ .

ع

- عاصم ٣٩ .
 عاصم الجعفي ٦٨ .
 عامر بن عبد الله بن الزبير ١٢٥ .
 عبد بن حميد ١٠٣ .
 عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ١٣٨ .
 أبو عبد الله الرحمن السلمي ١١٩ .
 عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود
 ١٠٦ ، ١٣٤ .
 عبد الرحمن بن يزيد ١٧٤ .
 عبد الله بن أبي إسحق ٦٨ .
 عبد الله بن بريدة ٣٦ .
 عبد الله بن سلام ١٥٠ .
 عبد الله بن عباس ٣٠ ، ٣٣ ، ٤٥ ، ٥٧ .
 ٥٨ ، ١٠٠ ، ١٣٤ ، ١٣٩ ، ١٥١ .
 عبد الله بن عمرو ٩٣ .
 عبد الله بن كثير ١٠٥ ، ١٢١ .
 عبد الله بن مسعود ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٣ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٥ .

أبو فزارة ١٣٧ .	١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ،
ق	١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ،
القاسم بن محمد ١٣٧ .	١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ،
ابن قتيبة ١٢٦ .	١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ،
القرطبي ٢٦ ، ٤٥ .	١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ،
الفزوي ٥٦ .	١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ،
قيس بن سكين ٩٩ .	١٧٤ ، ١٧٥ .
ك	أبو عبيدة ١٠٢ .
أبو كبير ٥٧ .	عثمان بن عفان ١٢ ، ١٢٦ .
ابن كثير ٩٦ ، ١٠٥ ، ١٢١ .	العراق ١٦٣ .
كعب ١٠٣ .	عطاء بن يسار ٩٣ ، ٩٤ ، ١٣٩ .
م	عقبة بن أبي معيط ٢٢ .
ابن ماجه ٤٥ ، ١٦٩ .	علقمة ٣٨ ، ١١٩ ، ١٣٦ ، ١٥١ ،
ابن المبارك ١٣٦ .	١٥٢ .
ابن مجاهد ٦٦ .	علي بن أبي طالب ٤٣ ، ١٣٩ .
محمد بن سيرين ١٥١ ، ١٥٢ .	عمر بن الخطاب ١١ ، ١٢ ، ٣٠ ،
محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم	٣٨ ، ٤٥ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٩٦ ،
٤٤ ، ٤٦ ، ٩٥ ، ١٣٠ ، ١٦١ ،	١٠٠ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،
١٦٤ ، ١٦٦ .	١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٥١ ، ١٧٤ .
محمد بن كعب القرظي ٣٧ .	ابن عمر ١٣٤ .
محمد بن يحيى الذهلي ٤٥ .	أبو عمر الشيباني ١١٩ .
ابن مردويه ١٦٨ .	عمرو بن حريث ١٣٤ .
مسروق ٣٦ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٣٥ ،	عمرو بن شرحبيل ١١٩ ، ١٥٢ .
١٤٨ ، ١٥١ ، ١٥٢ .	أبو عمرو بن العلاء ٥٦ .
أبو مسعود البليوي ٣٦ .	عمرو بن ميمون ١٥٠ .
مسلم بن حجاج القشيري ٢٧ ،	عيسى بن أبي عمر ٦٨ .
٤٥ ، ٩٤ .	ف
معاذ بن جبل ٣٤ ، ١٥٠ ، ١٥١ .	الفارابي ٥٥ .
ابن المنذر ٩٤ .	فاطمة ١٣٩ .
أبو موسى ٣٦ ، ١٣٤ ، ١٥٠ .	الفراء ٧١ ، ٨٧ .

ن

النسائي ٤٥ .

أبو نعيم ٣٧ .

نوح ٩٦٠ ، ٤٠ .

النووي ١١٥ ، ٣٤ .

هـ

أبو هريرة ١٣٤ .

هني بن نويرة ١٣٥ .

و

أبو وائل ١١٤ ، ١٢١ .

وكيع ١٣٦ .

ي

يحيى بن الجمان ١٣٦ .

فهرس الموضوعات

المقدمة : (٧ - ١٦)

الباب الأول : ثقافة عبد الله بن مسعود (١٧ - ١٠٥) .

الفصل الأول : القرآن (١٩ - ٤٠) .

إقبال المسلمين بعامة في عهد النبوة على درس القرآن «٢١» ، تعدد الروافد في ثقافة عبد الله بن مسعود «٢٢» ، الثقافة القرآنية وغلبيتها في تكوين شخصيته «٢٢» ، بدء اتصاله بالقرآن «٢٢ ، ٢٣» ، جهره بالقرآن في مكة ، وتعرضه لأذى قريش «٢٤ ، ٢٥» .

منهج عبد الله بن مسعود في درس القرآن .

قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن عليه «٢٥» ، شواهد على تلقي عبد الله القرآن من الرسول صلى الله عليه وسلم «٢٦» .

عرض عبد الله القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم «٢٦» ، شواهد مما عرضه عليه «٢٦ ، ٢٧» .

معيشة ابن مسعود في بيت النبوة ، وأثرها في تلقيه القرآن ، ومعرفة أحكام القراءة وضوابطها «٢٧» ، شروط قراءة القرآن : الطهارة «٢٧» ، التعوذ في بداية القراءة «٢٨» ، الترتيل «٢٨» .

فهم المقروء «٢٩» ، الاستماع والإنصات عند سماع القراءة «٢٩» . تعلم عبد الله بن مسعود أصول التلاوة «٢٩» ، شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم له بأنه يقرأ القرآن كما أنزل «٣٠» ، معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم أن عبد الله يقرأ القرآن غضا «٣٠ ، ٣١» . الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم عبد الله كيفية بدء التلاوة ، ويصحح له القراءة «٣١» ، شهادة

الصحابة لعبد الله بأنه أقرأهم للقرآن ، وأفضلهم في تجويده وترتيبه . « ٣٢ » .
عبد الله بن مسعود يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم فيما لا يعرفه من تفسير
القرآن « ٣٢ » .

شبهة عدم تعلم عبد الله القرآن في حياة النبي صلى الله عليه وسلم « ٣٣ » .
شبهة عدم جمع عبد الله بن مسعود القرآن قبل وفاة الرسول صلى الله عليه
وسلم « ٣٣ » .

الرد على الشبهات : النص على أن عبد الله أخذ عددا من السور من في
رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ورد في عد مناقبه « ٣٣ » ، نلقى عبد الله باقي
القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم بالمشاركة « ٣٣ » . تعلمه القرآن من غير
رسول الله صلى الله عليه وسلم « ٣٣ » . شواهد على أن عبد الله قد أتم أخذ
القرآن في عهد النبوة « ٣٤ » ، الإقرار له بأنه من أعلم الصحابة بكتاب الله
« ٣٥ » ، شواهد على عظم مكانة عبد الله في العلم بالقرآن « ٣٦ » .

مناقشة الزعم بأن عبد الله لم يتم ختم القرآن في حياة النبي صلى الله عليه
وسلم « ٣٦ » ، دعوى عدم معرفته سورة الأعراف حتى قدم الكوفة « ٣٧ » .
دعوى عدم معرفته المعوذتين « ٣٧ » ، دعوى أن سورة الشعراء لم تكن معه
« ٣٧ » .

الرد على هذه المزاعم : الرسول صلى الله عليه وسلم عد عبد الله بن مسعود
من المتميزين في العلم بالقرآن ولم يستثن منه سورة ما طالت أم قصرت « ٣٧ » ،
حديث نخلوا القرآن من أربعة : « من ابن أم عبد ... » يدل على صحته
حديث محمد بن كعب القرظي الذي عد عبد الله بن مسعود ممن ختموا القرآن
وبذلك لا يعتد بأنه مقطوع « ٣٧ » ، الذين أسندوا قراءتهم إلى عبد الله بن
مسعود لم يستثنوا من جملة القرآن شيئا « ٣٧ » .

إقبال عبد الله على حفظ القرآن «٣٨» ، إتمامه الحفظ في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعده من مناقبه «٣٨» ، شواهد على حفظ عبد الله القرآن «٣٨» ، حفظ عبد الله القرآن لا يعنى اختزانه فقط ، وإنما يضيف إلى ذلك عمله به . وتخليه بآدابه ، وتخليه عن نواهيه «٣٨» .

امتلاك عبد الله الأدوات التي تعين على التفسير «٣٩» : معرفته أسباب النزول «٣٩» . وقوفه على أماكن النزول «٣٩» ، استعانة عبد الله بعلمه في معرفة مقاصد الآيات ومعانيها «٣٩» ، شواهد من تفسيره تؤكد إحاطته بعلوم القرآن «٤٠» ، تأثر عبد الله في كثير من مروياته بأصول قرآنية «٤٠» .
الفصل الثاني : السنة «٤١ - ٤٩» .

السنة تمثل الرافد الثاني في ثقافة عبد الله بن مسعود «٤٣» ، عبد الله بن مسعود من الرواة أصحاب المئين «٤٣» ، تعلمه عبد الله كثيرا من أمور الدين من الرسول صلى الله عليه وسلم مثلما تعلم منه القرآن «٤٣» ، التشهد مما تعلمه عبد الله من الرسول صلى الله عليه وسلم «٤٤» ، الحكم بأن حديث عبد الله في التشهد أصح ما ورد في الباب «٤٤» ، الاختلاف في نصوص التشهد الواردة عن الصحابة اختلاف في مباح «٤٥» ، الرسول صلى الله عليه وسلم علم عبد الله بعض الأدعية «٤٥» ، خطبة الحاجة وكيف تعلمها عبد الله من الرسول صلى الله عليه وسلم «٤٦» . ما تعلمه عبد الله من الرسول صلى الله عليه وسلم مما يتصل بالصلاة «٤٧» ، اتجاه عبد الله إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بالسؤال فيما يحسه في نفسه «٤٧» ، الرسول صلى الله عليه وسلم يستشير في عبد الله بن مسعود الرغبة في معرفة ما يود أن يعلمه له «٤٨» ، أثر الحديث في فكر عبد الله بن مسعود «٤٨» ، تشببه بالرسول صلى الله عليه وسلم فيما يحب من الأعمال ، وما يكره منها «٤٩» .

الفصل الثالث : الدرس اللغوى « ٥١ - ٨٩ » .

الحشية من اللحن فى القراءة وجهت عبد الله إلى التفقه فى اللغة . والعناية بالشعر « ٥٣ » .

عناصر الدرس اللغوى عند عبد الله بن مسعود :

أولا : لغة هذيل .

الميراث اللغوى بعامة ، وصعوبة التعرف على طرائق القوم فى أدائه « ٥٤ »
الظواهر اللغوية كما نستخلصها من دواوين الهذليين وكتب اللغة ، وما ورد من القراءات هى السبيل إلى تبين لغة هذيل « ٥٤ » ، ورود لغة هذيل ضمن اللغات التى نزل بها القرآن دليل على ما كان فيها من صفاء ، وما كان لدى أبنائها من فصاحة فى اللسان « ٥٤ » ، إصرار عثمان حين أمر بجمع القرآن على أن يكون المملى من هذيل دليل على ما كان لدى أفرادها من سلامة فى النطق « ٥٥ » ، خلوص لغة هذيل وأثره فى الاتجاه إليها عند جمع اللغة « ٥٥ » ، أبو عمرو بن العلاء ودوره فى جمع اللغة من هذيل لبعدها عن شبهات الحضر « ٥٦ » ، حرص الأصمعى على شعر الهذليين « ٥٦ » . الغرابة فى لغة هذيل لا تفسد فصاحتها « ٥٦ » . ، شواهد مما ورد فى القرآن من الغريب فى لغة هذيل « ٥٧ - ٥٨ » ، تفرد لغة هذيل بخصائص معينة لفت العلماء إلى درسها « ٥٨ » ، تصدى ابن جنى للدرس بعض الظواهر فى لغة هذيل « ٥٨ » .

ظاهرة الفحفة : تعريفها « ٥٨ » ، الفحفة فى لغة هذيل « ٥٨ » ظاهرة الفحفة فى قراءة عبد الله بن مسعود « ٥٩ » ، عمر ينهى عبد الله بن مسعود عن الإقراء بلغة هذيل « ٥٩ » .

الأسباب التى تثير الشك فى نسبة الفحفة إلى هذيل « ٥٩ - ٦٠ » ،

وصف القدماء لظاهرة الفحفة مما يحمل على الشك فيها «٦٠» ، ورود ما يفيد عكس ظاهرة الفحفة في قراءة عبد الله بن مسعود يثير الشك فيما روى عنه منها «٦٠» .

الشواهد التي تدفع هذا الشك : ورود القراءة التي ظهرت فيها الفحفة منسوبة إلى عبد الله في كثير من المصادر «٦٠» ، رواية ما يخالف هذه الظاهرة عند عبد الله يرجع إلى مراوحته بين اللهجات في تعليم القرآن «٦٠» . عدم فشو ظاهرة الفحفة على لسانه يمكن تعليقه بعدم انتشارها بين كل بطون هذيل «٦١» .

التصدي للأقراء بلغة هذيل وغيرها من اللغات يؤكد الرغبة في نشر النص القرآني خاليا من الخصائص اللهجية «٦١» . احتمال أن تكون اللغة الهذلية قد غلبت على عبد الله في قراءة «عتى حين» فقرأ بها دون السماع من النبي صلى الله عليه وسلم ، فنبهه عمر إلى أن القرآن الكريم نزل بلغة قريش لا بلغة هذيل «٦٢» . ندرة وجود الظواهر اللهجية لهذيل بعامة في أشعار أبنائها . وبيان السبب في ذلك «٦٢» نطق الحاء عينا لم تنفرد به هذيل ، وإنما شاركتها ثقيف فيه «٦٢» . قراءة «عتى حين» في مكان «حتى حين» ربما كانت ثقفية ، وجرت على لسان عبد الله كأثر لنضج البيئة أو لتصديده للتعليم «٦٢» .

رأى من يقولون بأن قراءة «عتى حين» مصلوها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما عبد الله بن مسعود إلا متبعا في ذلك «٦٣» .
ظاهرة الاستنطاء :

تعريفها «٦٣» . عدم انفراد هذيل بها «٦٣» ، مناقشة الرأي القائل بأن الاستنطاء ظاهرة لغوية هذلية «٦٣» .

ظواهر لغوية هذلية لم تظهر في قراءة عبد الله بن مسعود .

١. — جمع الاسم الذى على وزن فعلة المعتلة العين جمعا جمع مؤنث سالم إذا كان مفتوح الفاء وعينه واو ساكنة ، أو ياء ساكنة على فعلات بفتح العين بعد الفاء المفتوحة « ٦٥ — ٦٦ » .

— كسر حرف المضارعة « ٦٦ » .

ظواهر لغوية هذلية وجدت في قراءة عبد الله بن مسعود .

— استعمال الكسر حيث تستعمل لهجات أخرى الضم « ٦٧ » .

— قلب ألف المقصور ياء وإدغامها في ياء المتكلم ، وفتح ياء المتكلم « ٦٨ » .

— حمل الألفاظ على دلالتها في لغة هذيل « ٦٨ » .

السبب في أن بعض الظواهر اللغوية الهذلية ظهرت في قراءة عبد الله بن مسعود في حين أن بعضها الآخر لم يرد فيما نسب إليه من قراءات « ٦٩ » .
ثانيا : لغة الحجاز :

الصلة بين عبد الله بن مسعود والبيئة الحجازية ، وتمثله للغتها « ٦٩ » .

ظواهر لغوية حجازية في قراءة عبد الله بن مسعود :

— إعمال ما عمل ليس « ٦٩ — ٧١ » .

— الفك أو الإظهار « ٧١ — ٧٣ » .

— الميل إلى الفتح « ٧٤ — ٧٥ » .

— تحقيق الهمزة « ٧٥ » .

— القراءة بحذف اللام الأولى ، وكسر الظاء في قوله تعالى « الذى ظلت

عليه عاكفا » « ٧٦ » .

— النطق بالذال في موضع الدال « ٧٦ — ٧٧ » .

— القراءة بالظاء في موضع الضاد «٧٧ — ٧٨» .

ثالثا : اللغة المشتركة :

اللغة الأدبية تمثل اللغة المشتركة في الجاهلية وأول الإسلام «٧٨» ، اللغويون
بدأ ظهور لهجات مغايرة للغة قبيلة العربي ولغة بيئته «٧٩» .

قراءات نسبت إلى عبد الله بن مسعود تغاير لهجة هذيل ، ولهجة الحجاز :
تحقيق الهزرة وهي لهجة بني تميم وقيس وبني أسد «٧٩» .

— القراءة بالرفع في قوله تعالى «ما هذا بشر» وهي قراءة بني تميم «٨٠» .

— القراءة بالإمالة في «طه» ، والإمالة تنسب إلى تميم وأسد وطىء ،

نارين وائل «٨١» .

القراءة بالضم في «ربيون» وفي مواضع أخرى ، والضم ينسب إلى

وأسد «٨١ ، ٨٢» .

القراءة بالإدغام وقد عرفت تميم به «٨٣ ، ٨٤» .

— اعتراف اللغة المشتركة بشقي ظاهرة الإدغام يفسر مجيئهما في قراءة

الله «٨٥» .

ميل عبد الله إلى الأخذ بظواهر لغوية تخالف أعراف البيئة يؤكد

خصيته المتميزة «٨٥» ، دلالة ورود ظواهر لغوية تمييزية بكثرة في قراءة

مسعود «٨٦ ، ٨٧» ، إزالة التعارض بين ظهور اللهجات المختلفة في

قراءات عبد الله «٨٨ ، ٨٩» .

الفصل الرابع : ثقافة أهل الكتاب «٩١» .

سبل انتقلها إلى عبد الله بن مسعود :

— حياة عبد الله بن مسعود في المدينة هيأت له أن يقف على أطراف

برة من ثقافة أهل الكتاب «٩٣» .

-- ما جاء في الكتب المقدسة مرافقاً للقرآن لتي رضا في نفوس المسلمين
«٩٣» .

شواهد على ذلك من قراءات عبد الله «٩٤» .

— ملازمة عبد الله بن مسعود للنبي صلى الله عليه وسلم أتاحت له أن
يشهد في حضرته أخبار اليهود ، وهم يذكرون له بعض ما جاء في كتبهم
«٩٤ ، ٩٥» .

— حضوره مجالس عمر التي كان يؤمها من أسلم من اليهود «٩٦» .
— الثقافة اليهودية التي كان ينشرها المسلمون ممن كانوا من أصل يهودي
«٩٦ ، ٩٧» .

موقف عبد الله بن مسعود من الإسرائيليات «٩٨» .
نماذج مما حمل على عبد الله من الإسرائيليات في كتب التاريخ «٩٨» ،
رد هذه الإسرائيليات لمعارضتها للشرع ، ومنافاتها للعقل «٩٩» ، المعارف
الإسرائيلية المنسوبة إلى عبد الله بن مسعود في كتب التفسير «٩٩ ، ١٠٠» .
ضوابط نقد الإسرائيليات بعامة من حيث السند والمتن «١٠١» ، معايير عبد
الله بن مسعود النقدية في رد الإسرائيليات «١٠٢» ، نماذج مما رده عبد الله بن
مسعود من الإسرائيليات «١٠٣» ، شواهد على تصحيح عبد الله بن مسعود ،
معارفه من ثقافة أهل الكتاب على القرآن «١٠٣» .

أثر ثقافة أهل الكتاب في تكوين عبد الله بن مسعود الثقافي ضيق للغاية ،
وهو بعيد عن مجال العقيدة «١٠٤» ، القول بأن المعارف الإسرائيلية لها دور
في التكوين الثقافي لبعض الصحابة لا يطعن فيهم ، ولا ينال منهم «١٠٤» .
ما ورد من الإسرائيليات منسوبة إلى بعض الصحابة لا يدل على واقعهم العقلي
والفكري «١٠٥» .

هجرة عبد الله بن مسعود إلى الحبشة في أول الإسلام عرفته بعض الألفاظ :
الحبشية « ١٠٥ » .

الباب الثاني : عبد الله بن مسعود : المربي والمعلم « ١٠٧ - ١٣٩ » .

الفصل الأول : في درس القرآن « ١٠٩ - ١٢٢ » .

عبد الله بن مسعود ومسئولية الدرس القرآني في الكوفة « ١١١ » ، وسائله
في جذب أصحابه لتعلم القرآن « ١١٢ » ، توجيههم إلى الاقتداء به في مراعاة
ضوابط القراءة « ١١٣ . ١١٤ » ، بيان الغاية من قراءة القرآن « ١١٤ » ، نهيم
عن هذا القرآن « ١١٥ » ، بيان النظائر التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم
يقرب بينها في صلاته « ١١٤ - ١١٥ » ، القراءة الحقة للقرآن تعني التأدب بأدابه
« ١١٦ » . المزالق التي حذر عبد الله أتباعه من الوقوع فيها عند القراءة « ١١٦ » .
« ١١٧ » . سمات حامل القرآن كما يحددها عبد الله « ١١٧ » ، الرسول صلى الله
عليه وسلم هو القدوة في إقراء عبد الله وتعليمه « ١١٨ » ، أصحاب عبد الله في
القراءة « ١١٩ » ، ذبوع قراءة عبد الله في العراق « ١١٩ » ، قراءة عبد الله هي
مصدر عاصم بن أبي النجود « ١١٩ » بعض ما أخذ على قراءة عبد الله بن مسعود
« ١٢٠ » .

تصدي عبد الله لتفسير القرآن : « ١٢٠ ، ١٢١ » ، اقتدائه بالرسول صلى
الله عليه وسلم في نهجه في التفسير « ١٢١ » . تخرجه من القول بالرأي في القرآن
« ١٢١ » . موقفه من الآيات المتشابهات « ١٢١ . ١٢٢ » ، اعتماد مفسري
الكوفة على تفسيره « ١٢٢ » ، عمل عبد الله على تعليم أتباعه الفقه « ١٢٢ » ،
توجيههم إلى تعلم الفرائض « ١٢٢ » .

الفصل الثاني : في درس الحديث « ١٢٣ - ١٣٩ » .

اضطلاع عبد الله بن مسعود بدرس الحديث في العراق « ١٢٥ » ، طول

الصحبة في مقلمة الأسباب أتاحت لعبد الله بن مسعود أن يحدث عن الرسول صلى الله عليه وسلم بما لم يتح لغيره سماعه «١٢٥» ، الرد على القائلين بأن عبد الله بن مسعود من المكثرين من الحديث «١٢٥» ، أسباب إقلال عبد الله بن مسعود من الرواية «١٢٦» نقد القول بأن عمر حبس ابن مسعود ضمن ثلاثة من الصحابة لإكثارهم من الحديث «١٢٦» ، أثر تشدد عمر في نهج عبد الله في رواية الحديث «١٢٧» ، الأسباب الذاتية في تشدد عبد الله في الرواية «١٢٨ ، ١٢٩» .

مقصد عبد الله في درس الحديث «١٢٩» ، خطة عبد الله في درس الحديث «١٣٠» ، منهج عبد الله في درس الحديث «١٣٠ ، ١٣١» ، الملامح المميزة لمنهج ابن مسعود ، وتأثير أتباعه بها في مجال درس الحديث : الإقلال من الرواية ، التثبت من الحديث . تصحيح الحديث على القرآن ، وشواهد على ذلك «١٣٢ ، ١٣٣» .

أثر عبد الله بن مسعود في سبق الكوفة إلى العناية بالحديث «١٣٤» ، أشهر الرواة عنه «١٣٤» ، أصح أسانيده «١٣٥ ، ١٣٦» ، أو هي أسانيد و ذكر من أرسلوا عنه «١٣٧» ، دور عبد الله في توجيه أتباعه للدرس الحديث «١٣٧» الإدراج في حديث ابن مسعود ، وشواهد من مروياته «١٣٧ ، ١٣٨» ، نسبة كثير من الموضوعات إليه «١٣٩» .

الفصل الثالث : المفاهيم الإسلامية في التعلم في فكر عبد الله بن مسعود «١٤١ - ١٥٢» .

— الاعتماد على الشعور الديني في إثارة الرغبة في التعلم «١٤٣» .

— الغاية من التعلم في ظل الإسلام «١٤٣» .

— ضرورة مناسبة الخبرة التعليمية لعقول التلاميذ «١٤٤» .

— تفسير عمليات التعلم تفسيراً دينياً ، فالتعلم عبادة ، والدراسة صلاة
« ١٤٤ » .

— العلم ليس في كثرة ما يرويه المتعلم ، وإنما فيما يفعله ، وهو يرى الله
الله فيه « ١٤٥ » .

— العلم لا يورث ، وإنما يكتسب بالتعلم « ١٤٥ » .
— قيمة العلم ليست في اختزانه ، وإنما في الاستفادة منه ، والعمل بموجبه
« ١٤٥ » .

— الأسئلة مفاتيح التعلم « ١٤٥ » .
— التربية الحقيقية ليست فيما يباهى الطالب به من النصوص المحفوظة ، وإنما
هي في القدرة على تعديل السلوك بحيث توافق الأفعال الأقوال « ١٤٦ » .
— من مظاهره غلبة الطابع الديني على فكر عبد الله بن مسعود
قوله بأن التذكر مرده إلى التقوى والصلاح ، والنسيان سببه الخطيئة « ١٤٦ » .
— القرآن والحديث هما الأصل في تفسير عبد الله عمليات التعلم « ١٤٧ » .
— مذاكرة العلم إحياء له « ١٤٧ » .
— العلم أمانة ، والعالم مستأمن إن أدرك الحقيقة فليس له أن يكتتمها
« ١٤٧ — ١٤٨ » .

— القدوة الصالحة في مجال التربية لها أهميتها وضرورتها « ١٤٩ » .
— الصحابة هم القدوة ، ولذلك وجب اتباعهم وأخذ العلم عنهم « ١٤٩ »
— العالم الحق هو من يخشى الله في قوله وعمله « ١٤٩ » .
— مسئوليات عبد الله العلمية في العراق ، والاعتراف له بالفضل « ١٥٠ » .
— انتشار العلم في العراق على يد أصحاب عبد الله بن مسعود « ١٥١ » .
— أشهر أصحاب عبد الله بن مسعود « ١٥١ » .

— اعزاز عبد الله بن مسعود بتلاميذه «١٥٢» .

الباب الثالث : أدب عبد الله بن مسعود : الخصائص والسمات «١٥٣» —

١٩٢ .

الفصل الأول : في الموضوعات والأفكار والأساليب «١٥٥ ... ١٧٨» .

أولا : في الموضوعات :

غلبة الزهد على أدب عبد الله بن مسعود «١٥٧» — أدب عبد الله بن مسعود في الزهد صورة صادقة لحياته «١٥٧» ، مبادئ الزهد في الإسلام تكشف عن نفسها فيما يحدث فيه عبد الله من الموضوعات «١٥٧ . ١٥٨» ، الدعوة إلى الانصراف عن الدنيا للفوز بنعيم الآخرة «١٥٨» — النظرة المقبضة إلى الدنيا تتضح في أدب عبد الله بن مسعود «١٥٨» ، شيوع الحديث عن الموت في أدب عبد الله بن مسعود «١٥٨ — ١٥٩» .

ثانيا : الأفكار :

غلبة السمة الدينية على الفكر الأدبي في صدر الإسلام «١٥٩» ، أدوات عبد الله بن مسعود الثقافية أعانته على التعبير عن أفكاره «١٦٠» ، الإيجاز هو السمة المميزة لأفكار ابن مسعود ، وشواهد على ذلك من أدبه «١٦٠» ، صدق عبد الله في إحساسه بأفكاره «١٦١» ، الأفكار الإسلامية تؤكد حضورها في خطب عبد الله بن مسعود «١٦٢» .

القرآن والحديث هما المنبعان الأساسيان لأفكار عبد الله بن مسعود ومعانيه «١٦٢» ، الوحدة الموضوعية متوفرة في خطب عبد الله بن مسعود رغم أنها في ظاهرها تبدو حكما متناثرة «١٦٣» .

مآخذ النقد في القديم على أدب عبد الله بن مسعود «١٦٣» مآخذ النظام على ابن مسعود واعتراض ابن قتيبة على هذه المآخذ «١٦٣» .

التركيز على صيغ معينة في نقل الأفكار «١٦٤» ، المحاور الفكرية التي
يلتزم حولها عبد الله بن مسعود في خطبه «١٦٥» ، تكرار الأفكار بألفاظها ،
وربما بعد الإضافة إليها أو التفصيل فيها ملحوظ في خطب عبد الله ومواعظه .
مواقف المسلمين من اتجاهات ابن مسعود الفكرية : «١٦٦» ، أتباع
عبد الله بن مسعود وحسن تلقى هذه الأفكار «١٦٦» ، ضيق العثمانيين بما
يذيعه عبد الله بن مسعود من أفكار .

أدب عبد الله بن مسعود يشف عن مكونات ثقافته «١٦٧» ، تتبع بعض
أفكار عبد الله في القرآن والحديث «١٦٧ ، ١٦٨» ، عبد الله بن مسعود يعتمد
إلى تصنيف أفكاره «١٦٨» ، تداخل معاني القرآن والحديث في أفكار عبد الله
ابن مسعود . والشواهد على ذلك «١٦٩ - ١٧٠» ، احتمال رفع أحاديث
عبد الله الموقوفة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم «١٧٠» ، تداخل ثقافة أهل
الكتاب في أفكار عبد الله «١٧٢» .

ثالثا : الأساليب :

أسلوب القسم : كثرة أسلوب القسم في القرآن بعامة «١٧٢ ، ١٧٣» ،
القسم بالذات الإلهية «١٧٢» . القسم بالقرآن «١٧٢ ، ١٧٣» القسم بالنبي
صلى الله عليه وسلم «١٧٣» . القسم بالملائكة «١٧٣» ، القسم بالطبيعة
وظواهرها «١٧٣» .

أسلوب القسم في أدب عبد الله بن مسعود ديني النزعة ، إسلامي الاتجاه ،
«١٧٣» . مقاصد القسم في أدب عبد الله «١٧٣» ، التأثير بأسلوب القرآن في
القسم وشواهد من أدب عبد الله «١٧٣» . القسم بذات الله «١٧٣» ، القسم

بصفات الله «١٧٤ : ١٧٥» ، التعليل لكثرة ورود القسم بالوحدانية في أدب عبد الله بن مسعود «٢٧٦» .

أسلوب الدعاء :

كثرة الدعاء في الأدب الإسلامي بعامة «١٧٦» الصبغة الإسلامية في أسلوب الدعاء عند عبد الله بن مسعود «١٧٦» ، تضمين الدعاء آيات من القرآن «١٧٧» ، تخير وقت السحر للدعاء «١٧٧» ، ممن يستجاب الدعاء «١٧٨» ، تأثير عبد الله في أدب الدعاء عند الصوفية «١٧٨» .

الفصل الثاني : الحس اللغوي «١٧٩ — ١٨٩» .

الاختلاف في الأداء من الأسباب الجوهرية التي تميز أدبا عن آخر «١٨١»

معرفة الفروق بين الكلمات مظهر للقدرة اللغوية التي تميز عبد الله بها «١٨١» ، موقفه من المراد بكلمة شح ، وكلمة بخل «١٨٢» ، ثقافته وأثرها في وقوفه على الاستعمال اللغوي للألفاظ «١٨٢» ، الشاهد في استخدام «عن» في قوله تعالى : «الذين هم عن صلاتهم ساهون» «١٨٢ ، ١٨٣» ، السياق عند ابن مسعود يحدد دلالة الألفاظ «١٨٣» ، تحديده لمعنى كلمة السحت بمعنى الرشوة في قضاء الحاجة ، وليس في الأخذ على الحكم «١٨٤» ، احتكامه إلى استعمال اللغوي لتحديد دلالة الألفاظ المشتركة ، والشاهد على ذلك في بيان معنى لفظ أمة «١٨٤» ، الوقوف على دلالات الألفاظ من خلال التعرف على استخدامهما في القرآن والحديث ، والشاهد على ذلك في تحديد كلمة أوام «١٨٥» ، الخروج بدلالة بعض الألفاظ إلى أمور غيبية بعيدة عن مادتها العلمية، والشاهد في كلمة «ويل» وكلمة «زخرف» «١٨٥» ألفاظ عبد الله

بعامة ذات ثراء فى دلالاتها «١٨٦» . لغة عبد الله بن دلالتها فى أدبه ،
ومفهومها فى مصطلحات الصوفية «١٨٧ - ١٩٠» .

الخاتمة «١٩٠ - ١٩٢» .

المصادر والمراجع ١٩٣ - ٢١٧

فهرس الأعلام ٢١٩ - ٢٢٢

فهرس الموضوعات ٢٢٣ - ٢٣٧

طبع بمطابع جريدة السفير

طبع بمطابع جريدة السفير

١ / ١٥٥٧٩٩



دار الخزانة العامة - الكويت
المجلد ١٥٥٧٩٩ - الصفحة ١